فَيْضُ النِخْلة على حديث النَخْلة

تأليف
شتا محمد

أريج المنهل للبحوث والدراسات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَيْضُ النِحلة
على
حديث النَخْلة

تأليف
شتا محمد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
محمد، شتا
فيض النحلة على حديث النخلة ـ الرياض
٢٨٠صـ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ـ.....ـ..ـ...ـ ...
١ ـ الحديث وعلومه
أ ـ العنوان
ديوي ... ./ ١٤٣٩

رقم الإيداع: ..../ ١٤٣٩

ردمك: ـ. .....ـ .. ـ ...ـ ...

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

الصف والتصميم والإخراج الفني: محمد عبد العزيز أبو الحمد
Email: mmm-١٩٨٧@hotmail.com
Email: mohamed.٥٥٥٢٥@yahoo.com
جوال: ٠٥٤٠٤١٦١٧٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله رب العالمين، جامع الأولين والآخرين ليوم الفصل والدين، حمدًا طيبًا يقتضي الزيادة من نعمه، ويجزل لنا النصيب من قسمه، يرزق الفهم من يشاء، ويفقه في الدين من يريد، وصلى الله على محمد نبي الرحمة، وهادي الأمة، وخاتم النبوة، أرسله بالفرقان إماما، وبالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا، بعثه حين ظهر الشرك، ودرس أثر الطاعة، وامتلأت الأرض جورًا وضلالة، فأتى بالنور بعد الظلمة، وبالألفة بعد الجفوة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما.

أما بعد:

فإن أولى ما نظر فيه الطالب، وعني به العالم بعد كتاب الله ﷻ سنن رسوله ﷺ فهي المبينة لمراد الله ﷻ من مجملات كتابه، والدالة على حدوده، والمفسرة له، والهادية إلى الصراط المستقيم صراط الله، من اتبعها اهتدى، ومن سلك غير سبيلها ضل وغوى، وولاه الله ما تولى.

وقد جعل الله ـجل شأنهـ في كل زمانٍ بقايا من أهل العلم يعكفون على سنة نبيه وكلامه وآثاره وأيامه، فيستنبطون الفوائد والأحكام والفروع والنكات، ويحيون بها الموات، ويبصّرون بنور الله أهل العمى؛ فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، ينفون عن كتاب الله وسنة نبيه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وجملة ما نحمد الله لهم عليه أنهم بينوا ما أنبهم من الحديث والأثر، واستخرجوا منهما الفوائد والعبر. فما زالت كتبهم تفوح بأريج الطيب،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما زالت شروحهم تموج بالفوائد الحسان من مسائل الفقه والنحو والبلاغة والإيمان، وسير الغابرين وأخبار الهالكين.

وكان من تلك المناهل الفوارة، ومن هذه الآثار المباركة حديث النخلة الذي رواه التلميذ النجيب ابن الأريب، ومقتفي أثر الحبيب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟!». فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة. قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله، أخبرنا بها. فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة». قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا[1].

ومن الحكمة في تخصيص النخلة بضرب المثل، ما أظهره الدكتور عبد الرزاق البدر بقوله: (والنخلة إنما حازت هذه الفضيلة العظيمة بأن جُعلت مثلا لعبد الله المؤمن؛ لأنها أفضل الشجر وأحسنه، وأكثره عائدة، ويكفيها فضيلة أنها خُصت من بين سائر الشجر بأن جُعلت مثلًا للمؤمن؛ مما يدل على كريم فضلها ورفيع قدرها وتنوع فضائلها، كثبات أصلها، وارتفاع فرعها، وإيتائها أُكُلَها كل حين، ووصفها بالبركة، وأنها لا يؤخذ منها شيء إلا نفع، ونحو ذلك مما يدل على فضل النخلة وتميزها وتشابهها مع المؤمن المطيع لله الذي قامت في قلبه كلمة الإيمان، وانغرست في صدره، وأخذت تثمر الثمار اليانعة، والخير المتنوع) أ. هـ.

---

(١) صحيح البخاري رقم (١٣١)، (١/ ١٣٦)؛ والحديث له طرق عند البخاري وعند غيره من الأئمة يأتي له بحث مستقل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورأيت أن أقدم هذه الدراسة المختصرة، جمعًا وترتيبًا، وعناية لما فتح الله به مما تناثر من النكات والفوائد والحكم من كتب أهل العلم ودواوينهم على هذا الحديث المبارك، ولهذا المثل الذي ضربه القرآن العظيم، والسنة المشتملة على بيان الإيمان وتقريبه، وإيضاح أصله وفرعه وشعبه وثمراته، ومن الله وحده العون والتوفيق.

* **على أن يكون الكتاب متضمنا ثلاثة مباحث**:

⇦ **المبحث الأول**: ذكر بعض ما كان عليه أهل العلم من استخراج الفوائد من الحديث النبوي والغوص في معانيه ومقاصده وأسراره.

⇦ **المبحث الثاني**: عرض روايات الحديث وزياداته المختلفة.

⇦ **المبحث الثالث**: عرض الفوائد والمسائل على الحديث الشريف.

✍ **وكتبه**

شتا محمد

الرياض، الأول من شهر الله المحرم، سنة ١٤٣٤هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول

ذكر بعض ما كان عليه أهل العلم من استخراج الفوائد من الحديث النبوي والغوص في أسراره

الاستنباط: استخراج الأمر الذي من شأنه أن يخفى على غير مستنبطه، ومنه استنباط الماء من البئر والعين، ومن هذا قول علي بن أبي طالب ﷺ وقد سئل: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه.

ومعلوم أن هذا الفهم قدر زائد على معرفة موضوع اللفظ وعمومه أو خصوصه، فإن هذا قدر مشترك بين سائر من يعرف لغة العرب، وإنما هذا فهم لوازم المعنى ونظائره ومراد المتكلم بكلامه ومعرفة حدود كلامه، بحيث لا يدخل فيها غير المراد، ولا يخرج منها شيء من المراد[1].

فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية، ومنشور الولاية النبوية، وفيه تفاوتت مراتب العلماء، حتى عد ألف بواحد، فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر، ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر:١] وما خُصَّ به ابن عباس من فهمه منها أنها نعي الله سبحانه نبيه إلى نفسه، وإعلامه بحضور أجله، وموافقة عمر له على ذلك، وخفائه عن غيرهما من الصحابة، وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سنًّا، وأين تجد في هذه السورة الإعلام بأجله لولا الفهم الخاص؟ ويدق هذا حتى

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٠٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس، فيحتاج مع النص إلى غيره، ولا يقع الاستغناء بالنصوص في حقه، وأما في حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها[١].

فالناس يختلفون في ورودهم على الحديث النبوي استنباطًا للمعاني، واستخراجًا للفوائد، وتتفاوت كذلك مشاربهم في إبراز الدقائق والنكات؛ لأنهم علموا أن الحديث النبوي هو المورد المعين؛ فاستنباط الأحكام منه بمنزلة الرجل يردُ على الماء فيستقي منه في إنائه فمقلّ ومستكثر.

*** وفيما يلي إيراد لبعض آثار القوم وحكاياتهم في هذا المطلب:**

من ذلك وصف ابن المنير لأبي عبد الله البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: (رَحِمَهُ اللَّهُ على البخاري، لقد أمعن في استنباط جواهر الحديث التي خفيت على الكثير). وموقع هذه الترجمة من الفوائد[٢].

وقال فيه القسطلاني في [إرشاد الساري]: (وأما بيان موضوعه، وتفرّده بمجموعه، وتراجمه البديعة المثال، البعيدة المنال، فاعلم أنه ـرحمه الله تعالىـ قد التزم ـمع صحة الأحاديث استنباطـ الفوائد الفقهية، والنكت الحكمية، فاستخرج بفهمه الثاقب من المتون معاني كثيرة، فرقها في أبوابه بحسب المناسبة، واعتنى فيها بآيات الأحكام، وانتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارات إلى تفسيرها السبل

(١) مدارك السالكين (١/ ٦٥).
(٢) المتواري (١/ ٦٥)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوسيعة؛ ومن ثم أخلى كثيرًا من الأبواب عن ذكره إسناد الحديث ...) أ. هـ[١].

وقال فيه النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ **مرة في (سننه)**: (نوع التراجم من أجل استنباط الفوائد).

ومن هذا الباب ما قاله صاحب [تحفة الأحوذي] في تهافت الشرّاح على حديث بريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حيث قال: (واعلم أن هذا الحديث قد استنبط أهل العلم منه فوائد كثيرة).

قال ابن بطال: (أكثر الناس في تخريج الوجوه في حديث بريرة حتى بلغوها نحو مائة وجه).

وقال النووي: (صنف فيه ابن خزيمة وابن جرير تصنيفين كبيرين أكثر فيهما من استنباط الفوائد منها فذكر أشياء) أ.هـ[٢].

ومن هذا أيضاً: ما قاله الذهبي في حق سراج الدين البلقينى: (... ثم نقل ابن فهد عن البرهان قوله: اجتمعت به ـأي: بالبلقيني ـ في رحلتي الأولى إلى القاهرة في سنة ثمانين، فرأيته إمامًا لا يجارى، أكثر الناس استحضارًا لكل ما يلقي من العلوم، وقد حضرت عنده عدة دروس مع جماعة من أرباب المذاهب، فيتكلم على الحديث الواحد من بعد طلوع الشمس، وربما أذن الظهر في الغالب وهو لم يفرغ من الكلام عليه، ويفيد فوائد جليلة لأرباب كل مذهب، خصوصًا المالكية)[٣].

---

(١) في إرشاد الساري (١/ ٢٣).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٢٦٦).

(٣) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (١/ ١٠٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومنهم الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ـرحمه الله تعالىـ:

قال الحافظ/ ابن حجر؛ في [الدرر الكامنة]: (وصنف الإلمام في أحاديث الأحكام، وشرع في شرحه، فخرج منه أحاديث يسيرة في مجلدين أتى فيهما بالعجائب الدالة على سعة دائرته في العلوم، خصوصًا في الاستنباط).

وقال ابن الزملكاني: (وإليه النهاية في التحقيق والتدقيق والغوص على المعاني).

قال زكي الدين عبد العظيم بن أبي الأصبغ صاحب [البديع] في كتابه: (ذكرت للفقيه الفاضل تقي الدين محمد بن علي بن وهب القيشري ـيعني: ابن دقيق العيدـ أبقاه الله تعالى، وهو من الذكاء والمعرفة على حالة لا أعرف أحدًا في زمني عليها، وذكرت له عدة وجوه المبالغة فيها، وهي عشرة، ولم أذكرها مفصلة، وغبت عنه قليلًا، ثم اجتمعت به، فذكر لي أنه استنبط فيها أربعة وعشرين وجهًا من المبالغة، يعني في قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، فسألته أن يكتبها لي، فكتبها بخطه، وسمعتها منه بقراءتي، واعترفت له بالفضل في ذلك) انتهى[(١)].

وقال عنه الأدفوي وهو يعدد مؤلفات الإمام ابن دقيق: (فكيف بـ[شرح الإلمام]، وما تضمنه من الأحكام، وما اشتمل عليه من الفوائد النقلية، والقواعد العقلية، والأنواع الأدبية والنكت الخلافية، والمباحث المنطقية

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٤/ ٩٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واللطائف البيانية، والمواد اللغوية، والأبحاث النحوية، والعلوم الحديثية، والملح التاريخية)[١].

ومنهم أبو بكر بن خزيمة، قال فيه أبو إسحاق الشيرازي: (وقال أبو بكر الصدفي: أبو بكر بن خزيمة يستخرج النكت والمعاني من حديث رسول الله ﷺ بالمناقيش)[٢].

ومنهم محمد بن أحمد البكري الشريشي، قال فيه العبادي في كتابه [ذيل طبقات فقهاء الشافعية]: (فصنف كتاب اسمه الكلام على حديث صفوان بن عسّال المرادي، أظنه حديثه في طلب العلم والمسح على الخفين، أخرجه الترمذي وأبو داود وغيرهم، واستنبط منه ثلاثة آلاف فائدة كلها مقصودة، فأخبر أنه بيّض منه النصف في مجلد كبير، وفيه فوائد وقواعد ونفائس واستنباطات غريبة، وقواعد مهمة، وسبب ذلك أن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد كان قد شرع في الإلمام ـوهو شرح الإمامـ وتكلم على أحاديث منه في مجلد كبير، ومما تكلم عليه حديث: «أمرنا بسبع ونهينا عن سبع...». فاستنبط منه سبعمائة فائدة، وتأخرت الهمم أن تصل إلى شيء من ذلك، فأراد الشيخ جمال الدين ـصاحب الترجمةـ أن يفتح الباب بعدما أغلق بابن دقيق العيد بأن يتكلم على حديث واحد أكثر مما تكلم هو على أحاديث كثيرة، وأول حديث تكلم عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات» فاستنبط منه أربعمائة فائدة وأكثر من ذلك). ا. هـ[٣].

(١) الطالع السعيد، للأدفوي (٥٧٥).
(٢) طبقات الفقهاء (١/ ١٠٦).
(٣) ذيل طبقات فقهاء الشافعية (١/ ٢٢٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر عن نفسه في مقدمة [الفتح]: (... ثانيًا ما يتعلق به غرض صحيح في ذلك الحديث من الفوائد المتنية والإسنادية من تتمات وزيادات، وكشف غامض، وتصريح مدلس بسماع، ومتابعة سامع من شيخ اختلط قبل ذلك منتزعاً كل ذلك من أمهات المسانيد والجوامع والمستخرجات والأجزاء والفوائد بشرط الصحة أو الحسن فيما أورده من ذلك، وثالثاً أصل ما انقطع من معلقاته وموقوفاته، وهناك تلتئم زوائد الفوائد، وتنتظم شوارد الفرائد، ورابعاً أضبط ما يشكل من جميع ما تقدم أسماءً وأوصافًا مع إيضاح معاني الألفاظ اللغوية، والتنبيه على النكت البيانية، ونحو ذلك، وخامسًا أورد ما استفدته من كلام الأئمة مما استنبطوه من ذلك الخبر من الأحكام الفقهية والمواعظ الزهدية، والآداب المرعية مقتصرا على الراجح من ذلك متحريًا للواضح دون المستغلق في تلك المسالك مع الاعتناء بالجمع بين ما ظاهره التعارض مع غيره ...)[1].

ومنهم أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥ هـ) صاحب [عمدة القاري شرح صحيح البخاري]؛ فقد قال في أول خطبة كتابه: (الحمد لله الذي أوضح وجوه معالم الدين، وأفصح وجوه الشك بكشف النقاب عن وجه اليقين بالعلماء المستنبطين الراسخين والفضلاء المحققين الشامخين الذين نزهوا كلام سيد المرسلين، مميزين عن زيف المخلطين

(١) فتح الباري (١/ ٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المدلسين، ورفعوا مناره بنصب العلائم، وأسندوا عمده بأقوى الدعائم، حتى صار مرفوعًا بالبناء العالي المشيد وبالإحكام الموثق المدمج المؤكد، مسلسلًا بسلسة الحفظ والإسناد، غير منقطع ولا واه إلى يوم التناد ، ولا موقوف على غيره من المباني ، ولا معضل ما فيه من المعاني ...). ا. هـ.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ بعد شرحه للحديث شرحًا مجملًا يقولُ: (بيان استنباط الفوائد). ثم يذكر ما تفيض به أفكاره من نكات وفوائد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني

الألفاظ والروايات التي جاء بها الحديث

أولاً: متن الرواية المعتمدة في الشرح.

عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم حدثوني ما هي؟». فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله، أخبرنا بها. فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة». قال عبد الله فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا[(١)]. أخرجه أحمد والبخاري في الصحيح.

وفي رواية عند البخاري في (صحيحه): «... إن من الشجر شجرة خضراء»[(٢)].

ثانياً: روايات الحديث والزيادات عليه.

الأول: من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « إن مثل المؤمن مثل شجرة لا يسقط ورقها، فما هي؟ » قال: فقالوا وقالوا فلم

---

(١) **صحيح**: رواه الأمام أحمد في المسند (٥٢٧٤) والبخاري في الصحيح (١٣١-٥٧٧١- ٦١)، ومسلم في صحيحه (٧٢٧٦)، والترمذي في سننه (٣٨٦٧)، وقال: "حديث حسن صحيح". ورواه مالك في الموطأ (٩٦٣)، والحميدي (٦٧٧)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٢٦١) وابن حبان (٢٤٦) والطبراني في المعجم الكبير مختصرًا (٣٢٩٣)، والبزار في البحر (١٣٦٠)، وابن منده في الإيمان (١٨٤)، والطحاوي في (التسوية بين حدثنا وأخبرنا) رقم (١)، كلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **صحيح بهذه الزيادة**: رواه البخاري في صحيحه (٦١٢٢)، والطبراني في الكبير، (١٣٢٩٣)، والبزار في البحر الزخار (١٧٢٩)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١٧٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يصيبوا، وأردت أن أقول: هي النخلة. فاستحييت، فقال النبي ﷺ: «هي النخلة»[(١)]. رواه أحمد وإسناده صحيح.

الثاني: عن عبد الله بن عمر قال ﷺ: «مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك»[(٢)]. رواه الطبراني وإسناده صحيح.

الثالث: عن مجاهد قال: صاحبت ابن عمر من مكة إلى المدينة، فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا هذه الحديث: «إن مثل المؤمن كمثل النخلة إن صاحبته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن جالسته نفعك، وكل شأنه منافع، وكذلك النخلة كل شأنها منافع»[(٣)]. رواه البيهقي وأبو نعيم، وفي سنده ضعف.

الرابع: عن أبي هريرة ﷺ قال: (مثل المؤمن الضعيف كمثل الخامة من الزرع، تميلها الريح مرة وتقيمها مرة، قال: قلت: فالمؤمن القوي؟ قال: مثل النخلة توتي أكلها كل حين في ظلها ذلك، ولا تميلها الريح)[(٤)]. رواه ابن أبي شيبة وغيره، والصحيح أنه موقوف على أبى هريرة.

---

(١) **سنده صحيح**: وبهذا اللفظ رواه الأمام أحمد في المسند (٤٨٥٩).

(٢) أخرجه الطبراني (١٢/ ٤١١، رقم ١٣٥١٤)، وصححه الألباني في السلسلة (٢٢٨٥).

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩٠٧٢)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٢٩) والرامهرمزي في الأمثال؛ وابن الشجري في الأمالي (١/ ٢٦)، وأورده البوصيري في إتحاف الخيرة (٥٥٤١) من طريق ليث بن أبى سليم عن مجاهد، إلا عند البيهقي فقد رواه ليث عن محمد بن طارق عن مجاهد، وليث ضعيف كثير الاختلاط، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: ليث بن أبي سليم مضطرب.

(٤) هكذا رواه موقوفا أبو بكر بن أبى شيبة (٢٠٢٣٦) والرامهرمزي في الأمثال (٣٦)، ورواه الداقطني في العلل مرفوعًا (١٦٤٣)، وصوب وقفه، ورواه أبو الشيخ في (أمثال الحديث ٣٣٢) من حديث أبي هريرة بلفظ: (مثل المؤمن القوي كمثل النخلة ومثل المؤمن الضعيف كمثل خامة الزرع). وقال محققه: «رجال إسناده ثقات». وفي كلامه نظر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخامس: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا يسقط لها أنملة أتدرون ما هي؟» قالوا: لا. قال: «هي النخلة لا تسقط لها أنملة، ولا يسقط لمؤمن دعوة»[(١)]. ذكره البوصيرى في [إتحاف المهرة]، وفيه من لا يعرف.

السادس: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس إذ أتي بجمار نخلة، فقال النبي ﷺ: «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم». فظننت أنه يعني النخلة، فأردت أن أقول: هي النخلة يا رسول الله. ثم التفت فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم، فسكت، فقال النبي ﷺ: «هي النخلة»[(٢)]. رواه البخاري في صحيحه.

السابع: عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي التي ضربت مثلا للعبد المؤمن، فما هي؟». فطفقوا يأتون شجر الوادي، فقال: «هي النخلة». قال عبد الله: فوقع في نفسي، ولكني استحييت أن أخبر بها[(٣)]. أخرجه الطبراني في الأوسط.

الثامن: عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتي بقناع جزء فقال: ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [الرعد: ٢٤، ٢٥] فقال: « هي النخلة » ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ

---

(١) **سنده ضعيف**: قال في بغية الباحث (٣١): حدثنا كثير بن هشام ثنا الحكم عن محمد بن ربيع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال فذكره و الحديث إسناده جيد لو لا جهالة محمد بن ربيع؛ لا يعرف. والأثر ذكره البوصيرى في إتحاف المهرة (٦١٦٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في صحيحه (٥٤٤٤) وابن حبان (٢٤٦) والمروزى في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٣) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١٦٠٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٥٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [الرعد: ٢٦] قال: «هي الحنظلة»[(١)]. رواه الترمذي وغيره، والصحيح أنه موقوف على أنس.

التاسع: عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ يومًا لأصحابه: «أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن». فجعل القوم يذكرون شجرًا من شجر البوادي، قال ابن عمر: وألقي في نفسي أو روعي أنها النخلة، فجعلت أريد أن أقولها فأرى أسنان القوم فأهاب أن أتكلم، فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة»[(٢)]. رواه مسلم في صحيحه.

العاشر: عن أبي رافع، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «مثل المؤمن القوي كمثل النخلة، ومثل المؤمن الضعيف كمثل خامة الزرع»[(٣)]. رواه الرامهرمزي والديلمي، وإسناده جيد.

الحادي عشر: عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم شجرةً يُنتفع بها، مثل المؤمِن، هي التي لا يُنْفَض ورقها». قال ابن عمر: أردتُ أن أقول هي النخلة، ففرِقْتُ من عمر، ثم سمعتُه بعدُ يقول: «هي النخلة»[(٤)]. رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر.

(١) **صحيح موقوفاً على أنس**: أخرجه الترمذي (٣١١٩) عن أبي الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي. والنسائي في الكبرى (١١٢٦٢)، والطبري في تفسيره (١٣/ ٢٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٨١١).

(٣) أخرجه الرامهرمزى (١/ ٧٩، رقم ٣٦) وغيره.

(٤) مسند أحمد (٥٩٥٥) بتعليق أحمد شاكر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث

الفوائد والمسالك التربوية في الحديث

⇦ **الفائدة الأولى**: **النخلة هي المراد من قوله تعالى:** ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المقصود بالشجرة الطيبة في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٤]. هي النخلة، واستدلوا بما روي عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ أتي بقناع جزء فقال: ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم:٢٤، ٢٥] فقال: «هي النخلة». ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦] قال: «هي الحنظلة».

وأخرج عبد الرزاق والترمذي وغيرهما عن شعيب بن الحجاب قال: كنا عند أنس، فأتينا بطبق عليه رطب، فقال أنس لأبى العالية: كل يا أبا العالية، فإن هذا من الشجرة التي ذكرها الله تعالى في كتابه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ...﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وعن مجاهد عن ابن عمر عن النبي ﷺ: في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: «هي التي لا تنفض ورقها». وظننت أنها النخلة[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥٦٧٤)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهو في مجمع الزائد، (٧/ ٤٤) بحذف آخره، وقال: «رواه أحمد، ورجاله ثقات».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعدّد السيوطي في [الدر المنثور] أقوالَ السلف في الآية فقال: وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر ﵄ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] قال رسول الله ﷺ: «أتدرون أي شجرة هذه؟». قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «هي النخلة». قال عبد الله بن عمر ﵄ فقلت: والذي أنزل عليك الكتاب بالحق لقد وقع في نفسي أنها النخلة، ولكني كنت أصغر القوم؛ فلم أحب أن أتكلم. فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا».

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «هل تدرون ما الشجرة الطيبة؟» قال ابن عمر ﵄: فأردت أن أقول: هي النخلة فمنعني مكان عمر، فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة».

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن ابن مسعود في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: هي النخلة.

وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس ﵄ في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: هي النخلة. ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ قال: بكرة وعشية.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: هي النخلة. وقوله: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ قال: هي الحنظلة.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والرامهرمزي عن عكرمة ﵄ في

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: هي النخلة لا يزال فيها شيء ينتفع به، إما ثمرة، وإما حطب. قال: وكذلك الكلمة الطيبة تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة[1]. انتهى من [الدر المنثور].

وحكى ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قول الجمهور قال: (واخْتُلف في هذه الشجرة الطيبة، التي ضرب الله بها المثل لكلمة الإخلاص، فقيل: غير معينة، وقيل: النخلة، وبه قال الجمهور).

وقال الآلوسي ما ملخصه: (والمراد بالشجرة الطيبة ـالمشبه بهاـ: النخلة عند الأكثرين، وروي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن زيد، وقد رجح ابن جرير أيضًا أن المراد بها النخلة فقال: واختلفوا في المراد بالشجرة الطيبة، فقال بعضهم: هي النخلة. وقال آخرون: هي شجرة في الجنة، وذهب آخرون إلى غير ذلك؛ فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنها شجرة جوز الهند. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم أنها شجرة في الجنة، وقيل: كل شجرة مثمرة كالنخلة، وكشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك، وأولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال: هي النخلة. لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك)[2].

(١) الدر المنثور (٥/ ٢٣).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (١٥/ ٥٦٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثانية**: نفع المؤمن وثمرة عمله.

الثابت من عموم الكتاب والسنة أن نَفْع المؤمن وإحسانه للآخرين نفعٌ مطلقٌ، لا يتقيد بعمل أو مكان أو شخص أو جماعة، قال ﷺ: «مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك»[(١)]. رواه الطبراني وإسناده صحيح.

قال الله تعالى عن عبده الصالح ونبيه الكريم عيسى ابن مريم عليه السلام : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ [مريم: ٣١] أي: كثير الخير والعطاء في أي مكان كالغيث أينما حل نفع .

فمن نفع المؤمن الظاهر أن جعل الله حلوله في المكان سببًا لخير أهل تلك البقعة: من دلالة على الحق، وتحذير من الباطل، ودفع للشبهات، والتحذير منها، ونشر للسنة، وتحذير من البدعة، وإعانة على النوائب، ورحمة بالضعيف والمسكين. ولا يُغفل ما ينضاف إلى ذلك من كونه لكل خير، مغلاقاً لكل الشر. ولذلك ـ في الغالب ـ إذا لقيه الجهلة والقساة والمفسدون فإما أن ينقلبوا صالحين، وتنفتح قلوبهم للإيمان والحكمة بفضل هداية الله لهم علي يديه، وإما أن يكفيه اللهُ والخلق شرهم وبغيهم.

مفتاحا

وبالجملة فما يحصل بسبب المؤمن من النفع والخير يرد على أقسام:

* **نفعٌ يلحق بالمؤمن ذاته**: فإن أولى من يذوق ثمرة العمل الصالح فاعله؛ حيث يكون خبيئة له في الآخرة، وفي حياته يجد في عمره وولده

(١) أخرجه الطبراني (١٢/ ٤١١، رقم ١٣٥١٤)، وصححه الألباني في السلسلة (٢٢٨٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وماله وأهله من البركة والخير ما تقر به عينه، ويجد من سرور النفس وانشراح الصدر وطمأنينة القلب ما يجعله أسعد الخلق، حتى وإن أحاطت به الكروب والهموم ومصائب الدنيا، فهو راض بما قسمه له ربه، عالم بأن ذلك كله من عنده، فيرضى ويسلم به.

*** نفعٌ يلحق ذا القربى منه والصديق والجار (خاصةً)، والمسلمين (عامة)**: حيث لما كان المؤمن وقّافًا عند حدود الله وأوامره، مراقبًا له ومراعيًا لحق غيره عليه، حريصًا على ألّا يفوت حقًّا إلا أداه أو خيرًا إلا نَحَله، أو معروفًا إلا بذله، كان لذلك الأثر الكبير في (الإحسان إليهم بماله وجاهه؛ فإنهم عباد الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، فهو أشرفهم عنده، وأكثرهم نفعًا للناس بنعمة يسديها، أو نقمة يزويها عنهم دينًا أو دنيا، ومنافع الدين أشرف قدرًا وأبقى نفعًا؛ قال بعضهم: وهذا يفيد أن الإمام العادل خير الناس ـأي: بعد الأنبياءـ لأن الأمور التي يعم نفعها ويعظم وقعها لا يقوم بها غيره، وبه نفع العباد والبلاد وهو القائم بخلافة النبوة في إصلاح الخلق ودعائهم إلى الحق، وإقامة دينهم، وتقويم أودهم، ولولاه لم يكن علم ولا عمل)[1].

يقول النبي ﷺ «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه دينًا، أو يطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني: مسجد المدينة) شهرًا، ومن كف

(١) فيض القدير (٣/ ٦٢٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[(١)].

ولو أننا عدّدنا ما يحل بالأمة عامة من منافع بما أودعه الله في الصالحين، لطال المقام جدًّا، ولكن حسبنا من ذلك ما قررته النصوص العامة من الوحيين في هذا الباب، ومختصر ما ذكرته في السطور السابقة.

* **نفعٌ يلحق غير المسلمين**: وهذا هو النفع الأعظم، وأجدى خير تراه أعينهم بل هو سنام الأمر وذروته، أن يدعوهم إلى الدين الحق، فيذروا ما كانوا عليه من الشرك والكفر، ويخرجوا من ظلمة الكفر إلى نور التوحيد ويسلموا وجههم لله ربهم، ومن ذلك العدل فيهم، وإنصافهم من غيرهم، ولو كانت خصومتهم مع قوم مسلمين.

يقول النبي ﷺ: «لا يَرحم اللهُ مَن لا يَرحَم الناسَ». وكلمة (الناس) لفظ عام يشمل كل أحد، قال ابن بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيه الحضُّ على استعمال الرحمة لجميع الخَلْق، فيدخل المؤمن والكافر والبهيمة المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي، والتخفيف في الحمل، وتَرْك التعدي بالضرب)[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٠٢٦)، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن ابن عمر رضي الله عنهما، والحديث ضعفه بعض المحدثين، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٠٦)، وللشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تعقيب على تحسين الألباني للحديث في (الإعلام في إيضاح ما خفي على الإمام)، (١٢)، والله تعالى أعلم.

(٢) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (١٠/ ٤٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٨٣] وهو لفظ عام أيضًا، وقيل في معناه: قولوا للناس معروفًا. وقيل: قولوا صدقًا في شأن محمد ﷺ وقيل: مروهم بالمعروف، وانهوهم عن المنكر. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (أمرهم أيضًا بعد هذا الخلق: أن يقولوا للناس حسنا أن يأمروا بـ [لا إله إلا الله] من لم يقلها ورغب عنها، حتى يقولوها كما قالوها، فإن ذلك قربة من الله ـجل ثناؤهـ. وقال الحسن: لين القول، من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه)[1]. وأي من هذه الأقوال فلا ريب في دخول الخير والنفع بها على غير المسلم ورجاء صلاح أمره به.

إن التعامل الحَسَن مع غير المسلمين هو الذي دفع الكثيرين منهم إلى دراسة الإسلام ومطالعة القرآن، والسؤال عن هذا الدين والرغبة فيه، وكان ذلك سببًا في قَبُولهم الإسلام، وانضمامهم إلى صفوف المسلمين، يقول الأستاذ علي الطنطاوي رحمه الله: (ضلَّ قوم زعموا أن الإسلام إنما انتشر بالسيف، لا والله، إنما انتشر بمِثْل هذه الأخلاق السماوية، إنما فتح المسلمون ثلاثة أرباع العالم المتمدن بهذا الإيمان الذي ملأ قلوبهم، وهذا النور الذي أشرق على نفوسهم، وهذه القوة التي عادت بها عليهم عقيدة التوحيد، وإن الفتح الإسلامي لهو الفتح الأعظم الذي لم يَعرِف التاريخ فتحًا مثله، وكثير هم الفاتحون الذين فتحوا بلادًا واسعة بسيوفهم،

(١) تفسير الطبري (٢/ ٢٩٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأخضعوها بجنودهم، وحكموها بقوتهم وسطوتهم، ولكن ليس فيهم مِثْل المسلمين الذين فتحوا البلاد بإيمانهم، وفتحوا القلوب بعدلهم، وفتحوا العقول بعِلْمهم، فكانوا أصحاب السلطان، وكانوا دعاة الإيمان:

مَلْكنا فكان العدلُ منا سجيَّة ... فلما ملكتُم سال بالدم أبطحُ
وحلَّلتم قتْلَ الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى نَمُن ونَصفَحُ
فحسْبُكم هذا التفاوتُ بيننا ... فكل إناء بالذي فيه يَنضحُ)[1].

نفعٌ يلحق البهائم والدواب والشجر: عدّ الإسلام الرفق بالبهائم والعجماوات ورحمتها والإحسان إليها من أسباب المغفرة لكبائر الذنوب، ومن موجبات الجنة، وليس أحد أحرص على ذلك وأسبق إليه من المؤمن؛ فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له». قالوا: وإن لنا في البهائم أجرًا؟. فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»[2]. وقال ﷺ: «إن الله كتَب الإحسانَ على كلِّ شيء؛ فإذا قتلتُم فأحسِنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسِنوا الذِّبحة، وليُحِدَّ أحدكم شفرتَه، وليُرِح ذبيحته»[3]. وقال ﷺ: «ما مِن مسلم غرس غرسًا، فأكل منه إنسان أو دابة، إلا كان له صدقة»[4]. وقال ﷺ: «الراحمون

(١) الفتح الإسلامي، مجلة الرسالة .. السنة: ١٤، العدد: (٦٦٢).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٥٥٠).
(٣) أخرجه مسلم، رقم (١٩٥٥).
(٤) أخرجه البخاري، رقم (٦٠١٢)، مسلم، رقم (١٥٥٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمْكم من في السماء»[(١)]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا.

* **نفع يلحق بالمكان الذي يحل فيه**: وهذا أمر زائد على ما سبق، وربما يصح القول بأنه جامع له، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقا على قوله ﷺ «هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»: (فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم؛ فلهم نصيب من قوله: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ [مريم: ٣١] فهكذا المؤمن مبارك أين حل، والفاجر مشئوم أين حل؛ فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكل مضاف إلى شكله وأشباهه)[(٢)]... ويأتي تفصيل ذلك في الكلام على الفائدة العاشرة إن شاء الله.

أما النخلة فمن تحسس خصالها وصفاتها، أو سأل خبيرًا بها عن غرسها وجنيها وطرحها وجملة منافعها فسيجلى له من عظيم النفع وفيض البركة التي وضعها الله ـتعالىـ في تلك الشجرة، فـ(بركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعًا، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته).

(١) أخرجه الترمذي (١٩٢٤).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (١٠١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الراغب الأصفهاني في [محاضرات الأدباء]: (... وقال ابن دريد: سألت أعرابيا فقلت: ما أموالكم؟ قال: النخل. فقلت: أين أنتم من غيره؟ قال: النخل سعفها صلاء، وجذعها غماء وليفها رشاء، وفروها إناء، ورطبها غذاء).

وقال جعفر بن محمد: (نعمت العمة لكم النخلة، وعمرها كعمر الإنسان، وتلقيحها كتلقيحه. وقيل: خير أموال الناس أشبهها بهم).

ووصف خالد بن صفوان لهشام النخل فقال: هن الراسخات في الوحل المطعمات في المحل، الملقحات تخرج أسفاطًا عظامًا وأوساطًا كأنها ملئت رياطًا، ثم تفتر عن قضبان اللجين منظومة باللؤلؤ المزين، فيصير ذهبًا أحمر منظومًا بالزبرجد الأخضر، ثم يصير عسلًا في لحاء معلقًا في هواء.

ووصفها بعضهم فقال: شريعة العلوق، سائحة العروق، صابرة على الجدوب، لا يخشى عليها عدو الذئب.

وقيل: إن النخلة تقول للنخلة أبعدي ظلك من ظلي أحمل حملي وحملك. وقيل: الحر بالخفي أن تقرب النخلة من النخلة وهو كما قيل: الحر بالخفي أذكار الإبل. وقال بعض البصريين: النخلة تقتل نفسها سنة وصاحبها سنة، لأنها تحمل سنة كثيراً وسنة قليلاً.

قال الشاعر:

لنا على دجلة نخلٌ منتخل نسلفه ماءً فيعطينا عسل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مسطر على قوامٍ معتدل يسقى بماءٍ وهو شيءٌ في الأكل[١].

وما أحسن تصوير ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ لهذه الأوجه حيث قال:

(وفيه ما تضمنه تشبيه المسلم بالنخلة من كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ووجوده على الدوام، وثمرها يؤكل رطبًا يابسًا، وبلحًا يانعًا، وهو غذاء ودواء، وقوت وحلوى وشراب وفاكهة وجذوعها للبناء والآلات والأواني، ويتخذ من خواصها الحصر والمكاتل والأواني والمراوح وغير ذلك، ومن ليفها الحبال والحشايا وغيرها ثم آخر شيء نواها علف للإبل ويدخل في الأدوية والأكحال، ثم جمال ثمرتها ونباتها، وحسن هيأتها وبهجة منظرها، وحسن نضد ثمرها وصنعته وبهجته ومسرة النفوس عند رؤيته؛ فرؤيتها مذكرة لفاطرها وخالقها وبديع صنعته وكمال قدرته وتمام حكمته ولا شيء أشبه بها من الرجل المؤمن؛ إذ هو خير كله، ونفع ظاهر وباطن وهي الشجرة التي حن جذعها إلى رسول الله لما فارقه شوقا إلى قربه وسماع كلامه، وهي التي نزلت تحتها مريم لما ولدت عيسى، وقد ورد في حديث في إسناده نظر أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم). أ. هـ.

وفى قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥] ما يدلل عليه ما جاء في أحدث البحوث العلميَّة عن الرُّطَب تقول: إنَّ فيه مادَّةً قابضة للرَّحِم تُساعِد على الولادة، وتُساعِد على منْع النزيف بعد الولادة، وإنَّ فيه مادَّة مُليِّنة، ومعلومٌ طبيًّا أنَّ المليِّنات

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٤/ ٥٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النباتيَّة تُفِيد في تسهيل وتأمين عمليَّة الولادة بتنظيفها للقولون.

يقول الدكتور المقدم ـحفظه اللهـ: (فالنخلة وإن حصل في وسط ثمرتها نواة لا خير فيها؛ فإن قيمة الثمرة لا تنقص بسبب النواة، فالتمر والبلح الذي يؤكل يكون في داخله تلك النواة التي ربما لا ينتفع بها، ولكن هل وجود هذه النواة يقدح في قيمة التمرة أو في قيمة هذه الثمرة؟ كلا، كذلك إذا كان مع الإنسان لا إله إلا الله؛ فإنه لا يقدح في إيمانك إن قصرت ببعض المخالفات). أ.هـ.

وقال لقمان لابنه: يا بني ليكن أول شيء تكسبه بعد الإيمان خليلًا صالحًا؛ فإنما مثل الخليل كمثل النخلة، إن قعدت في ظلها أظلتك، وإن احتطبت من حطبها نفعك، وإن أكلت من ثمرها وجدته طيبًا[1].

(١) أمثال العرب (١٠٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثالثة**: الصبر والتحمل ... القاسم المشترك.

إن من أوجه التقارب، ذاك الشبه الكبير في مطلق معنى الصبر والتحمل، فإن النخلة أصبر الشجر وأكثره تحمّلا على الرياح والجهد وندرة الماء وقلة التعهد، أما غيرها من الأشجار العظام فتميلها الريح تارة، وتقلعها تارة، وتقصف أفنانها، ولا صبر لكثير منها على العطش كصبر النخلة، ومن عاش في بلدان جزيرة العرب شاهد ذلك؛ ورأى تحملها للريح والعواصف وتقلبات المناخ .

يقول بعض الباحثين: وفي ذلك إشارة إلى القدرة الإلهية المبدعة التي تتجلي في خلق النخلة الباسقة، بهذا الطول الفارع، وإعطائها من القدرات البينة الظاهرة، والخفية المستترة، ما جعل من النخل مَضَرِبَ المثل في القرآن الكريم الذي ذكره في عشرين موضعًا، وفضله دومًا على غيره من أنواع الزروع والفاكهة، وجعله في مقابلة غيره من أنواع النباتات.

فمن القدرات الظاهرة للنخل: ثباته في الأرض، وارتفاعه فوق سطحها، ومقاومته للرياح، وتحمله للحرارة الشديدة والجفاف وقوته وتعميره، ووفرة إنتاجيته تحت أقسى الظروف، وتعدد أشجاره وثماره شكلًا ولونًا وطعمًا وحجمًا وفائدةً، وتعدد الفوائد المرجوة من كل جزء من أجزاء شجرته المباركة. أ. هـ[1].

أما المؤمن فهو صبور على البلاء لا تزعزعه رياح النكبات، حيث تحلّ به المصيبة أو البلاء فيعلم أن ذلك كله من عند الله تعالى فيرضى به ويسلم

(١) معجزة النخيل .. بين العلم والقرآن، مجلة الإعجاز العلمي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويعلم أيضًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، بل قد اجتمع فيه أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله فلا ينفك عنها، ولا يملُّ من تكرارها، والصبر عن معاصيه فهو أبعد الناس عنها مهما تزيَّنت له الشهوات، واعترضت سبله الشبهات، ومهما أغرته المغريات، أما الثالث فهو الصبر على أقدار الله ـتعالى ـ المؤلمة، قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠].

وعن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»(١).

ومع كل ما تعانيه النخلة من هذه القسوة من شدة الحر أو قوة الريح أو ندرة الماء، فإن ذلك لا يثنيها أبدًا عن أن تؤتي أكلها في كل حين بإذن ربها؛ طيبا مشبعا؛ يانع الثمرة وافر الطرح ظليل الموضع. كذلك المؤمن مع ما يجده من البلاء أو ضيق الرزق أو قصر ذات اليد أو تطاول الأعداء فإن ذلك لا يصده عن القيام بأشرف المهام وهي العبودية، وفيما سبق

(١) أخرجه أحمد (١٨٩٥٩)، ومسلم (٢٩٩٩)، والدارمي (٢٧٧٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إشارة قصيرة إلى هذه اللفتة، وإلا فإن موارد العلماء في هذا الباب وشروحهم كثيرة جدًّا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الرابعة**: **تفاوت الشجر والناس في النفع ـ وأنه درجات.**

كلما كمل العبد إيمانه أو قارب من الكمال ارتفعت عند ربه درجته، وإذا كان النخل يتفاوت جودة ونفعًا فكذلك أهل الإيمان يتفاوتون في الخير والفضل.

فمن الظاهر الجلي تفاوت النفع من الناس كسبًا أو عدماً، ومع ثبوت هذا بالدليل والبرهان الصريحين، إلا أنه في حديث الباب ما يشير إلى ذلك، فحرف (من) في قوله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها» للتبعيض، وفيه دلالة على مفهوم المخالفة بأن ما سوى النخلة من الشجر لا يساويها في المنافع، إذ إن الشجر منه ما هو نافع طيب يعود نفعه على الإنسان والدواب والطير، ومنه ما هو أدنى من ذلك في النفع، ومنه ما هو خبيث ضار يؤذي الخلق، ولا يُنتَفَعَ منه بشيء.

كذلك البشر منهم من تعدى نفعه إلى غيره فأعان على النوائب وأنفق في المعروف وأعطى لله، ودعا إلى الله على بصيرة، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأدى الحقوق، وصار مفتاحًا لكل خير، مغلاقًا لكل شر، وكان أضعف الإيمان منه أن يسلم الناس من شره.

يقول الشيخ عبد الكريم الخضير: (مع الرفق واللين والحرص على نفع الناس بقدر الإمكان، يسعى المسلم جاهدًا في نفع الخلق، وخير الناس أنفعهم للناس، ولا شك أن هذا النفع المتعدي لا يقدر قدره، ومن دل إلى هدى كان له مثل أجر فاعله، فبعض الناس يلقي كلمة في المسجد بين عوام، يظن أنها في خمس دقائق، أو ثلاث دقائق، تخرج من قلب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ينتفع بها شخص واحد، ما تتصور كيف تنفع هذا الشخص؟ وكيف يكون أثرها في حياة هذا الشخص؟ فكيف إذا انتفع بها أكثر من واحد؟ فكيف إذا تكرر هذا الفعل من هذا الفاعل أكثر من مرة؟) أ. هـ[١].

ومقابل ذلك من لم يكن له في الخير رغبة؛ فيفوته خير كثير، فإن كان مع ذلك عادمًا للنصح للعباد، لا يقصد نفعهم بوجه من الوجوه، وربما قصد إضرارهم وغشهم لأغراض نفسية، أو عقائد فاسدة، فقد أتي بالسبب الأعظم لحصول المضرات وتفويت الخيرات، وكان هذا الذي يصدق عليه أنه مفتاح للشر، مغلاق للخير؛ فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا[٢].

هكذا الناس يتفاوتون في قربهم وبعدهم عن دينهم وعن نفعهم لأمتهم؛ فأعظم الشجر نفعًا النخلة كما تواترت بذلك الأخبار والنصوص من القرآن والسنة وأقوال السلف وأهل الطب والزرع، كذلك أعظم الناس نفعًا المؤمن الذي حفظ الله في غيبه وشهادته، وصارت حياته خدمة لدينه الحنيف[٣].

وقد أفرد أبو حاتم السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا خاصًّا بالنخل[٤]، بيَّن فيه

---

(١) شرح جوامع الأخبار؛ من دروس الشيخ المفرغة.

(٢) من كتاب الرياض النضرة، لابن سعدي.

(٣) **يقول الربيع المليحى**: ومن هنا فإن على الدعاة اليوم أن يتسابقوا إلى نفع الناس، ودفع المكروه عنهم، وخاصة في هذا الزمن الذي كثر فيه الكلام، وقلّ فيه العمل، وظهر فيه الشح والأثرة، وتعانق فيه الفقر والجهل؛ فما أحوج الناس إلى الكلمة الحانية والمواساة الكريمة، والخدمة الجيدة، والنفع المتعدي، وبالذات في هذا العصر الذي ملَّ فيه الناس من جعجعة بلا طحين، وعلقت آمال كبيرة على الدعاة والمصلحين. مجلة البيان العدد (٢١٢).

(٤) كتاب النخلة؛ لأبى حاتم _ مطبوع.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فضله وخصائصه وأسماءه، وذكر أبحاثًا عديدة مفيدة متعلقة به، قال في أوله: («النخلة سيدة الشجر، مخلوقة من طين آدم صلوات الله عليه»[(١)]، وقد ضربها الله ﷻ مثلًا لقول: (لا إله إلا الله)؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم:٢٤] وهي قول: (لا إله إلا الله)، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهي النخلة.

فكما أن قول: (لا إله إلا الله) سيد الكلام، كذلك النخلة سيدة الشجر)[(٢)].

وقد ضرب الله ـتعالىـ مثلا عظيمًا لهذه الشجرة في كتابه الكريم؛ فقال ـجل شأنهـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٤- ٢٧].

(فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع.

ومما لا شك فيه أن (لا إله إلا الله) تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مُرض لله ﷻ ثمرة هذا الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ قول: (لا إله إلا الله) في قلب المؤمن، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يقول:

---

(١) الأثر الوارد في ذلك لا يثبت.

(٢) تأملات في مماثلة المؤمن للنخلة (٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء)[١].

وقال الربيع بن أنس: (كلمة طيبة هذا مثل الإيمان، والإيمان الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه وفرعه في السماء خشية الله)[٢].

والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن؛ فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوًّا، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كلما رفع العمل الصالح، وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقًا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقها ومراعاتها حق رعايتها.

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد المؤمن بها عارفًا بمعناها وحقيقتها نفيًا وإثباتا، متصفًا بموجبها، قائمًا قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته ـ فهذه الكلمة من هذا الشاهد أصلها ثبات راسخ في قلبه، وفروعها متصلة مثل النخلة والمؤمن بالسماء وهي مخرجة لثمرتها كل وقت.

قال محمد بن سعد: حدثني أبي، حدثني عمي، حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾

(١) الدر المنثور (٥/ ٢١).

(٢) تفسر الطبري (١٦/ ٥٦٨)، وتفسير بن أبى حاتم (٩/ ٢٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعني بالشجرة الطيبة: المؤمن، ويعني بالأصل الثابت في الأرض والفرع في السماء: يكون المؤمن يعمل في الأرض، ويتكلم فيبلغ قوله وعمله السماء وهو في الأرض.

وقال عطية العوفي في ضرب الله مثلًا كلمة طيبة كشجرة طيبة: (ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد إلى الله). أ. هـ[1].

يقول فخر الدين الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما الصفة الرابعة: فهي قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ فهذه الشجرة أولى بهذه الصفة من الأشجار الجسمانية؛ لأن شجرة المعرفة موجبة لهذه الأحوال، ومؤثرة في حصولها، والسبب لا ينفك عن المسبب؛ فأثر رسوخ شجرة المعرفة في أرض القلب أن يكون نظره بالعبرة كما قال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر:٢]، وأن يكون سماعه بالحكمة كما قال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]، ونطقه بالصدق والصواب كما قال: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

وقال عليه السلام: «قولوا الحق ولو على أنفسكم».

وهذا الإنسان كلما كان رسوخ شجرة المعرفة في أرض قلبه أقوى وأكمل كان ظهور هذه الآثار عنده أكثر، وربما توغل في هذا الباب فيصير بحيث كلما لاحظ شيئا لاحظ الحق فيه، وربما عظم ترقيه فيه فيصير لا يرى شيئا إلا وقد كان قد رأى الله تعالى قبله. فهذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى:

(١) الأمثال في القرآن (٣٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]، وأيضا فما ذكرناه إشارة إلى الإلهامات النفسانية والملكات الروحانية التي تحصل في جواهر الأرواح، ثم لا يزال يصعد منها في كل حين ولحظة ولمحة كلام طيب وعمل صالح وخضوع وخشوع وبكاء وتذلل، كثمرة هذه الشجرة)[1].

❁ ❁ ❁

(١) مفاتح الغيب (١٩/ ٩١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الخامسة**: **استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه، ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر واليقظة ... حدثوني ما هي؟.**

اختبارُ العالمِ حُضَّارَ مجلسه بالسؤال يعتبر لونًا من ألوان التعليم والتهذيب، وأسلوبًا من أساليب رفع الهمم، وطريقة لإثارة التفكر والتدبر وقلقلة رواكد الذهن؛ واختبار الذكاء، وجعل الطلاب يتطلعون إلى الجواب، ويفتشون عن المراد والمقصود؛ فطالب العلم أحيانًا يصاحبه الكسل، ويصيبه الملل، فبادئ أمره يكون كالشرارة المشتعلة التي تضيء لمن حولها، وما يلبث نورها قويًّا حتى يأخذ في النقصان شيئًا وشيئًا حتى يخفت. والشاهد لذلك قوله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، حدثوني ما هي؟».

بل إن شئت فقل: هذا نهجٌ قرآني. قال محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي [ت: ٥١٦هـ]: (باب طرح المسألة على الأصحاب ليختبر ما عندهم من العلم، ثم ساق قوله جل شأنه: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] فمن دقق النظر واصطحب التدبر في كلام الله ورسوله ﷺ خاصة ما كان محله الأمر والتوجيه والإرشاد انكشفت له السُحب عن سماء صافية من هذا المعنى).

وفى السنة أمثلة كثيرة على هذا الأسلوب التعليمي منها قوله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟». قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (الاستفهام هنا للاستعلام الذي يُراد به الإخبار؛ لأن المستفهِم تارة يستفهم عن جهل، ولا يدري فيسأل غيره وتارة يستفهم لتنبيه المخَاطَب لما يُلْقَى إليه أو لتقرير الحكم).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الطيبي: (وهذا سؤال إرشاد لا استعلام).

ومنه ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه؟». قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»(١).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(٢).

ولقد توارد النقل عن كثير من الأئمة أن من جملة ما امتاز به البخاري دقة نظره في تصرفه في تراجم أبوابه؛ حيث بوَّب بابًا بعنوان: (باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم).

قال المهلب: معنى طرح المسائل على التلاميذ لترسخ في القلوب وتثبت؛ لأن ما جرى منه في المذاكرة لا يكاد ينسى.

وقد بيَّن الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: أن في هذا الحديث من الفوائد (استفسار الشيخ تلميذه؛ ليختبر ما عنده، ويبيِّن له ما يشكل عليه منه)(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٩، رقم ٨٩١١)، والبخاري (١/ ١٩٧، رقم ٥٠٥)، ومسلم (١/ ٤٦٢، رقم ٦٦٧)، والترمذي (٥/ ١٥١، رقم ٢٨٦٨)، والنسائي (١/ ٢٣٠، رقم ٤٦٢)، والدارمي (١/ ٢٨٣، رقم ١١٨٣)

(٢) أخرجه مالك (١/ ١٦١، رقم ٣٨٤)، وعبد الرزاق (١/ ٥٢٠، رقم ١٩٩٣)، وأحمد (٢/ ٢٣٥، رقم ٧٢٠٨)، ومسلم (١/ ٢١٩، رقم ٢٥١)، والترمذي (١/ ٧٢، رقم ٥١)، والنسائي (١/ ٩٤، رقم ١٣٩)، وابن حبان (٣/ ٣١٣، رقم ١٠٣٨). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة (١/ ٦، رقم ٥).

(٣) شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٤٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت: ٧٦٣ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأما رمي الشيخ المسألة بين أصحابه ومن يحضره من الطلبة ليختبر ما عندهم فحسن لحديث «طرح النبي ﷺ شجرة لا ترمي ورقها هي مثل المؤمن وأنه وقع في نفس ابن عمر رضي الله عنهما أنها النخلة ولم يتكلم فقال النبي ﷺ: هي النخلة» متفق عليه. ثم إن أصاب واحد وأخطأ غيره جاز مدح المصيب لتزداد رغبته وحرصه ويجتهد أيضا المخطئ، وإن كان الأولى تركه)[1].

(لا يحصل العلم إلا بأدب، والآن تجد أن التربية الكمية غطت على التربية النوعية؛ هذا الكم الكبير الهائل الذي يتبع هذه الصحوة المباركة ـمع الأسفـ لا يصحبه كبير أدب، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون الأدب من النظر إلى سَمْت النبي ﷺ، وكان ـعليه الصلاة والسلامـ يتعاهدهم في ذلك، وكان يترك لهم الفرصة أن يناظر بعضهم بعضًا أمامه، ثم هو يصوِّب أو يسكت، فسكوته دالٌّ على استقامة الأمر على الجهتين، أو إذا أخطأ أحدهم كان يعقِّب عليه).

فمثلًا في حديث أبي هريرة الذي رواه الشيخان وابن حبان وغيرهم، قال ﷺ: «تسلف رجلٌ من رجلٍ ألف دينار، فقال: ائتني بكفيلٍ. قال: كفى بالله كفيلًا، فقال: ائتني بشهيد. قال: كفى بالله شهيدًا. قال: صدقت. فأعطاه الألف دينار يتاجر بها في البحر على أجل ـيعني: مدة زمنيةـ فلما

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٧٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حان موعد الوفاء، وجاء الرجل المدين بالألف دينار حتى يؤديها إلى صاحبه، وكان بينهما بحر، فحيل بينهما، ثم إن الرجل وضع الألف دينارٍ في خشبة وقذف بها في البحر، وذلك لما عجز أن يصل إلى صاحبه، وقال: ربّ جعلتك كفيلًا ووكيلًا فأوصل هذا الدَّين إلى صاحبه، ورمى بالخشبة في البحر، وصاحبه على الشاطئ الآخر ينتظر أي مركب، فلما لم يجد ووجد خشبةً تتأرجح أمامه في البحر قال: آخذها استدفئ بها أنا وعيالي، فأخذها وانطلق إلى داره، فلما وصل إلى الدار ضربها بقدومٍ، فإذا بالصرة تنزل من الخشبة، ففتحها فإذا برسالة من المدين إلى صاحبه: إنني عجزت عن الوصول إليك. وبعد ذلك انتظر الرجل مركبًا حتى وجدها، فركب وذهب إلى صاحبه بألف دينارٍ أخرى، فقال: ما منعني أن آتي إليك في الموعد إلا أنني لم أجد مركبًا، وهذا أول مركبٍ أجده، قال: هل أرسلت إليَّ شيئًا؟ قال: أقول لك هذا أول مركب!! فقال: ارجع راشدًا؛ فقد أدى الله عنك».

وفي رواية ابن حبان قال: «فقد أدى عنك وكيلك».

الشاهد من الحديث قال أبو هريرة: (قد رأيتنا تتعالى أصواتنا عند رسول الله ﷺ أيهما آمن من صاحبه). هم يتناظرون فيما بينهم من أكثر إيمانًا من الآخر[1].

* **فائدة**: قال بعض شرّاح صحيح مسلم المعاصرين: (ولا أظن أن أبا بكر وعمر امتنعا عن الجواب لأنهما لم يعلما ذلك وإنما لعلمهما أن النبي

(١) من شرح العلامة الحويني على (كتاب العلم) من صحيح البخاري.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ﷺ إنما طرح هذا السؤال ليستحث أفهام الحاضرين، أو بعض الحاضرين؛ ولذلك ربما يسأل عالم سؤالًا في مجلس من المجالس، وفيه من أهل العلم من فيه، فإذا أراد أحد أهل العلم أن يجيب على السؤال قال السائل: أنت تعلم أني ما قصدتك، وإنما قصدت أن يتعلم من لم يكن متعلمًا، يعني: قصدت أن يجيب غبراء أهل المسجد وعامة أهل المجلس، وأما أنت فيقينًا أنك تعلم ذلك، وأن هذا السؤال ليس موجهًا إليك؛ ولذلك لا يسمع منه الإجابة، فربما يكون كبار أصحاب النبي ـعليه الصلاة والسلامـ امتنعوا عن ذلك لهذا السب؛ فعبد الله بن عمر رضي الله عنهما إنما فهم أنهما لم يجيبا، أو أن الكبار لم يجيبوا عن هذا السؤال؛ فاستحيا لأنهم لم يجيبوا، كما أنه استحيا أن يتقدم بين يدي كبار الصحابة بالجواب). أ هـ.

والظاهر أن هذا الكلام فيه نظر وليس عليه دليل ؛ فقد جاء في بعض طرق الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثل المؤمن مثل شجر لا يسقط ورقها، فما هي؟». قال: فقالوا وقالوا، فلم يصيبوا، وأردت أن أقول: هي النخلة. فاستحييت، فقال النبي ﷺ: «هي النخلة»(١).

وقال: «فوقع الناس في شجر البوادي». وهذا لفظ عام يعم جميع الحاضرين، ولم يستثن منه أحدًا، وما ورد في بعض الروايات الصحيحة من سكوت أبي بكر وعمر ليس فيه دليل؛ فقد يكونا تكلما ثم سكتا، ولا

(١) بهذا اللفظ أخرجه أحمد في المسند (٤٨٥٩) وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط رحمه الله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يضيرهما رضي الله عنهما عدم معرفتهما في هذا الموطن بهذه المسألة مع حفظ حقهما في الفضل والسبق والعلم، وهذا هو الذي فهمه كثير من شرّاح الحديث.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السادسة**: **خير النخل ما زاد عمره وطابت ثمرته وخير الناس من طال عمره وحسن عمله.**

لا يتعطل النفع من النخلة أو يقل عطاؤها بطول عمرها، بل قد ورد عن بعض السلف ما يدل على طيب ثمرها بطول عمرها، وفيه يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنها ـأي: النخلةـ كلما طال عمرها ازداد خيرها وجاد ثمرها، وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيره وحسن عمله)[1].

من شأن المؤمن الازدياد والترقي إلى مقام القرب من ربه؛ فيكتسب في طول الأيام ما يقرِّبه إلى مولاه ويوصله إلى رضاه؛ فقد روى عبد الله بن بسر: أن أعرابيا قال: يا رسول الله من خير الناس؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»[2].

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في الفوائد: (فالسَنةُ شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجداد ـأوان قطع ثمر النخلـ يوم المعاد فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها، والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢٣٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٠، رقم ١٧٧٣٤)، وعبد بن حميد (١٨٢، رقم ٥٠٩)، والترمذي (٤/ ٥٦٥، رقم ٢٣٢٩) وقال: حسن غريب. والبيهقي (٣/ ٣٧١، رقم ٦٣١٨)، والضياء (٩/ ٨٣، رقم ٦٦). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٧/ ٨٩، رقم ٣٤٤٢٠)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١١٨، رقم ١٤٤١)، وابن قانع (٢/ ٨١)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٥١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك)[١].

وهذا مشاهد؛ فإن المؤمن ليفرح أشد الفرح عندما يرى أهل الشيب من المسلمين تَلهج ألسنتهم بقراءة القرآن وذكر الله، وقد وأوقفوا أنفسهم وأوقاتهم على طاعة الله والتزود من النوافل والقربات، وأعرضوا عن ملذات الدنيا وحطامها.

وإنه ليحزن أشدَّ الحزن عندما يرى من بلغ الستين أو السبعين أو الثمانين من المسلمين غارقًا في المعاصي، متلهفًا وراء الدنيا، متأثرا بمن هو أصغر منه، مقلدًا له في منكراته! لا يفكر في الموت وماذا أعدَّ له، ولا في الآخرة وماذا قدم لها، أمدَّ الله في عمره وأمهله لعله يرجع ويتوب فيغتنم ما بقي من عمره بعد أن ضيع شبابه وأهدر أوقاته، قبل أن لا تكون له حجة.

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن طلحة بن عبيد الله أن رجلين قدما على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فغزا المجتهد منهما فاستشهد، ثم مكث الآخر بعده سنة، ثم توفي، قال طلحة: فرأيت في المنام بينا أنا عند باب الجنة إذ أنا بهما، فخرج خارج من الجنة فأذن للذي توفي الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجع إليَّ فقال: ارجع فإنك لم يأن لك بعد. فأصبح طلحة يحدث به الناس، فعجبوا لذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وحدثوه

(١) الفوائد (١٦٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحديث، فقال: «من أي ذلك تعجبون؟» فقالوا: يا رسول الله، هذا كان أشد الرجلين اجتهادًا، ثم استشهد ودخل هذا الآخر الجنة قبله!! فقال رسول الله ﷺ: «أليس قد مكث هذا بعده سنة؟».قالوا: بلى. قال: «وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة؟» قالوا: بلى. قال رسول الله ﷺ فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض[(١)].

وروى أيضًا عن أبي بكرة: أن رجلًا قال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله». قال: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله»[(٢)].

وأخرج الإمام أحمد والنسائي في عمل اليوم والليلة بإسناد حسن عن عبد الله بن شداد: أن نفرًا من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي ﷺ فأسلموا قال: فقال النبي ﷺ: «من يكفينيهم؟». قال طلحة: أنا. قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبي ﷺ بعثًا فخرج فيه أحدهم فاستشهد، قال: ثم بعث بعثا آخر، فخرج فيهم آخر فاستشهد، قال: ثم مات الثالث على فراشه، قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استشهد أخيرا يليه، ورأيت الذي استشهد

(١) أخرجه ابن ماجه، وابن حبان، والبيهقي عن طلحة وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٠، رقم ٢٠٤٣١)، والترمذي (٤/ ٥٦٦، رقم ٢٣٣٠) وقال: حسن صحيح. والحاكم (١/ ٤٨٩، رقم ١٢٥٦) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي (٣/ ٣٧١، رقم ٦٣١٧)، وأخرجه أيضًا: الطيالسي (١١٦، رقم ٨٦٤)، وابن أبى شيبة (٧/ ٩٠، رقم ٣٤٤٢٤)، والدارمي (٢/ ٣٩٨، رقم ٢٧٤٢)، والبزار (٩/ ٩٢، رقم ٣٦٢٣)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٣٢٧، رقم ٥٤٤٩)، وفى الصغير (٢/ ٨١، رقم ٨١٨)، قال الهيثمي (١٠/ ٢٠٣): (إسناده جيد).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولهم آخرهم، قال: فدخلني من ذلك، قال: فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، قال: فقال رسول الله ﷺ: « ما أنكرت من ذلك، ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام؛ يكثر تكبيره؛ وتسبيحه؛ وتهليله؛ وتحميده »[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٦٣، رقم ١٤٠١)، قال الهيثمي (١٠/ ٢٠٤): لطلحة حديث رواه ابن ماجه في التعبير غير هذا، رواه أحمد فوصل بعضه وأرسل أوله، ورواه أبو يعلى والبزار فقالا: عن عبد الله بن شداد عن طلحة فوصلاه بنحوه، ورجالهم رجال الصحيح. وعبد بن حميد (٦٥، رقم ١٠٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السابعة**: **شجرة خضراء لا يحتّ ورقها صيفًا ولا شتاءً.**

جاء في رواية عند البخاري في صحيحه: «إن من الشجر شجرة خضراء...». الحديث[(١)].

أجمع العقلاء على أن دوام الخُضرة في الشجرة يدل على النضرة والبهجة، واستمرار الحياة والتجدد، ورجاء الخير؛ فبقاؤها على هيئتها يدل على كامل لباسها وزينتها طوال العام، ولا تفوت المؤمن هذه الصورة، فهو متجدد في نيته، مقبل بوجه طلق نَضِر على ربه، ليس له وجهان: وجه في الرخاء يطغى فيه ويغفل، ووجه في الشدة والضراء يقبل فيه ويتذكر.

يقول الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: (تلقاه العام بعد العام وهو على كلمة واحدة، وعلى نية واحدة، وعلى عمل واحد، أما المنافق فيتلون).أ هـ.

وهو في صدقه يعبد ربه في الرخاء والشدة، في المنشط والمكره، في عسره ويسره؛ فهو متزين بلباس التقوى، يعبد ربه حتى يأتيه اليقين؛ فأوقاته معمورة بما يناسبها، لكل ساعة من عمره وظيفته.

وقد رُوي في الأثر: «وذاكرُ الله في الغافلين كمثل شجرة خضراء في وسط شجر يابس»[(٢)]. أخرجه ابن عدي في الكامل، وفي رفعه ضعف.

وعن حميد بن هلال، قال: «مثل ذاكر الله في السوق كمثل شجرة

---

(١) **صحيح بهذه الزيادة**: رواه البخاري في صحيحه (٦١٢٢) والطبراني في الكبير (١٣٢٩٣) والبزار في البحر الزخار (١٧٢٩)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١٧٥٥).

(٢) **أخرجه مرفوعاً**: ابن عدي في الكامل، (٦/ ٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٨١)، وهو ضعيف جدًّا في سنده عمران القصير قال فيه البخاري: (منكر الحديث).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خضراء وسط شجر ميت»[١] قال العينى: ووجه الشبه في قوله: (كمثل شجرة خضراء) كثرة خيرها[٢].

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٥٢).

(٢) عمدة القاري لبدر الدين العيني الحنفي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثامنة**: **قلب المؤمن كقلب النخلة، بجامع الرقة واللين.**

قلب النخلة هو الجُمَّار، وهو الذي يكون في أصول العسب، وهو حلو أبيض لين رقيق، قال الخليل بن أحمد في [العين]: (الجمار: شَحمُ النخل الذي في قِمةِ رأسهِ، تُقطع قِمتُه ثم يكشط عن جُمّارةٍ في جوفها بيضاء كأنَّها قطعةُ سَنامٍ ضخمة، رخصةٌ تتفتَّتُ بالفَمِ، تؤكلُ بالعسل)[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن قلبها من أطيب القلوب وأحلاها، وهذا أمر خصت به دون سائر الشجر، وكذلك قلب المؤمن من أطيب القلوب)[(٢)].

وقد ثبت في هذا الباب ما أخرجه أحمد ومسلم من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفة المؤمنين من أهل الجنة فقال ﷺ: «وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»[(٣)].

يقول الملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفتح له ـأي: للمؤمنـ أبواب البر، و[رجل رحيم] أي: على الصغير والكبير، [رقيق القلب لكل ذي قربى] خصوصًا، و[مسلم] أي: لكل مسلم عمومًا).

قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ **مفسرًا لقوله**: (رحيم): (أي: يرق قلبه، ويرحم لكل من بينه وبينه لحمة القرابة أو صلة الإسلام).ا هـ.

والظاهر أن يراد بالرحيم صفة فعلية يظهر وجودها في الخارج،

---

(١) كتاب العين (٦/ ١٢٢).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢٣٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٦٢رقم ١٧٥١٩)، ومسلم (٤/ ٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥)، وأخرجه أيضًا: الطبراني (١٧/ ٣٥٨ رقم ٩٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبالرقيق صفة قلبية سواء ظهر أثرها أم لا، والثاني أظهر؛ فيكون باعتبار القوة والأول باعتبار الفعل، ويمكن أن تتعلق رحمة الرحيم إلى المعنى الأعم من الإنسان والحيوان الشامل للمؤمن والكافر والدواب فيكون الثاني[1].

(١) مرقاة المفاتيح (١٤/ ٢٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة التاسعة**: ضرب الأمثال ضرورة.

في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني؛ وذلك لأن المعاني العقلية المحضة قد لا يقبلها الحس والخيال والوهم، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال والوهم تلك المنازعة، وانطبق المعقول على المحسوس، وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (والله سبحانه ضرب الأمثال للناس في كتابه لما في ذلك من البيان، والإنسان لا يرى نفسه وأعماله إلا إذا مثلت له نفسه بأن يراها في مرآة، وتمثل له أعماله بأعمال غيره؛ ولهذا ضرب الملكان المثل لداود عليه السلام بقول أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ [ص: ٢٣، ٢٤].

وضرب الأمثال مما يظهر به الحال، وهو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧] لما كان حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مبناه في الأصل على ضرب المثل ناسب هنا عقد فصل نبين فيه أهمية ضرب الأمثال في القرآن والسنة)(٢).

لقد قرر غير واحد من العلماء أن من أعظم دلائل الإيمان التي اشتمل عليها القرآن ضرب الأمثال التي بها تتضح حقيقته، وتستبين تفاصيله

(١) تفسير الرازي (١٩/ ١٢٠).
(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٤٦، ٣٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وشعبه، وتظهر ثمرته وفوائده.

والمثل هو عبارة عن قول في شيء يشبه قولًا في شيء آخر بينهما مشابهة لتبيين أحدهما من الآخر وتصويره، ولا ريب أن ضرب الأمثال مما يأنس به العقل، لتقريبها المعقول من المشهو.

قال الحكيم الترمذي في مقدمة كتابه: (اعلم بأن ضرب الأمثال لمن غاب عن الأشياء وخفيت عليه الأشياء؛ فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء؛ فضرب الله لهم مثلًا من عند أنفسهم لا من عند نفسه؛ ليدركوا ما غاب عنهم، فأما من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فلا جرم ما ضرب الأمثال من نفسه لنفسه، وكيف ولا مثل له ولا شبيه له؛ فلذلك قال ـجل ذكرهـ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدي النفوس بما أدركت عيانا.

فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة فمن عقل الأمثال سماه الله ـتعالىـ في كتابه عالما لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣])[1].

وروى عن قتادة أنه كان يقول: اعقلوا عن الله الأمثال[2].

---

(١) الأمثال من الكتاب والسنة (١٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:(وقد اشتمل منها [أي القرآن] على بضعة وأربعين مثلا، وكان بعض السلف إذا قرأ مثلا لم يفهمه يشتد بكاؤه ويقول: لست من العالمين)[1].

ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد:١٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:٢٥]، وقال: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم:٤٥]، وقال: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان:٣٩]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١].

قال العلامة/ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: وبين في موضع آخر أن الحكمة في ضربه للأمثال أن يتفكر الناس فيها فيفهموا الشيء بنظيره، وهو قوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، ونظيره قوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وبيَّن في موضع آخر أن الأمثال لا يعقلها إلا أهل العلم، وهو قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].

---

(١) الكافية الشافية لابن القيم (٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبيَّن في موضع آخر أن المثل المضروب يجعله الله سببًا هداية لقوم فهموه، وسببًا ضلال لقوم لم يفهموا حكمته، وهو قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

وبيَّن في موضع آخر أنه تعالى لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما ولو كان المثل المضروب بعوضة فما فوقها، قيل: فما هو أصغر منها؛ لأنه يفوقها في الصغر، وقيل: فما فوقها أي: فما هو أكبر منها، هو قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً ﴾ [البقرة: ٢٦]؛ ولذلك ضرب المثل بالعنكبوت في قوله: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١]، وضربه بالحمار في قوله: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة:٥] الآية، وضربه بالكلب في قوله: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، إلى غير ذلك، والعلم عند الله تعالى[(١)].

ومن حكمته تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان، وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى؛ إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والشاهد بالغائب، وقد أكثر تعالى في القرآن وفي سائر كتبه من الأمثال[(٢)].

(١) أضواء البيان (٥/ ٢٦).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٨٧، ٤٨٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتخصيص أهل العلم بتعقلها يدل على علو قدرها، فأهل العلم هم أهلها الطالبون لها المدركون لأهميتها، والمتدبرون لها والمنتفعون بها، ومن جهة أخرى فإن من علمها واعتنى بها كان ذلك دليلاً على علمه وفقهه.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين، والسبب في ذلك أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها؛ لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها؛ فيبذلون جهدهم في معرفتها، وأما من لم يعقلها مع أهميتها فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم؛ لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى؛ ولهذا أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها)[1].

ويقول الدكتور/ علي صبح: (بلاغة التصوير الأدبي في ضرب المثل: جاء الحديث الشريف على سبيل ضرب المثل من الواقع الذي يعيش فيه الإنسان؛ فقد جمع في المثل بين النخلة وما يتعلق بها من الثمار والجريد والليف، والساق ودوامِ الخضرةِ طوال العام، والإيواء إلى ظلها وقاية من الحر وحلاوة الثمر، وتستريح الأذنُ إلى حفيف السعفِ والجريد وغيرها

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦/ ٨٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مما هو مألوفٌ، وبين المسلم وما يصدر عنه من الطاعات وعمل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلاهما يُشبِه الآخر في دوام الانتفاع وعمومه.

لكن الشأن في ضرب الأمثال أن يكون المشبهُ به هو المحس في الواقع كالشجرة هنا، ويكون المشبهُ هو المسلم، حتى تتجسم المعاني المجردةُ في صورة محسوسةٍ تدرك بجميع الحواس، وهي شجرةُ النخيل، فهي هنا تقديرًا في موقع المشبه هنا؛ لأنها أقربُ إلى الفهم من المعاني المجردة في المسلم وهو المشبه.

لكن روعة البلاغة في الحديث الشريف أنْ جاء التشبيهُ التمثيلي مقلوبًا، فكان المشبهُ هو النخلةُ المحسوسةُ، والمشبهُ به هو المسلمُ، للدلالة على أن المسلم أبلغُ في صفاته المعنوية والخلقية من النخلة المحسوسة للتصريح بأن المسلم أعزُّ عند الله وعند الناس، وأن النخلة مع أنها شبيهةٌ به في جميع منافعها إلا أن منافع المسلم أكثر منها؛ لاستكثاره من الخير والعمل الصالح والتمسك بالفضائل، والتحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن القبيح والصفات الذميمة، علاوة على تميزه عن الخلائق بالعقل والتكليف)[1].

*** ومن الكتب التي ألفت في هذا الباب:**

[الأمثال] للرامهرمزي، [أمثال الحديث] لأبي الشيخ الأصبهاني، [الأمثال في الحديث] لابن حيان، [المستقصى في الأمثال]، للزمخشري،

(١) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف (٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[مجمع الأمثال] للإسفرائني، [الأمثال]، للميداني، [الأمثال في القرآن] لابن قيم الجوزية، [الأمثال] للمفضل الضبي، [الأمثال] لأبي عبيدة، [جمهرة الأمثال] للعسكري، [مختصر ثمرات القلوب في الأمثال] لعبد الرءوف المناوي، [كتاب الأمثال] لابن الأنباري، [الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة في الأمثال] لأبي الفضل جعفر بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن مختار الأفضلي، [الأقوال العربية في الأمثال النبوية] لابن خلف المصري سليمان، [كتاب الأمثال] لأبي العباس المفضل بن سلمة الضبي الكوفي، [كتاب الأمثال] لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري [كتاب الأمثال] لأبي عثمان سعدان بن المبارك الضرير، [كتاب الأمثال] للأصمعي عبد الملك بن قريب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة العاشرة**: بركة المسلم.

في رواية للحديث عند البخاري وابن حبان يقول النبي ﷺ : «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم». اللام في «لما» للتأكيد، و«ما» اسم موصول اسم «إن».

في هذا الفصل يرد معنى زائد على ما سبق من ذكر نفع المؤمن، وأقول ذلك لدفع إيهام التكرار؛ فبركة المسلم هي في طاعته لله تعالى، وما يجري الله على يديه من النفع للمسلمين، وما يغيث الله تعالى به العباد من المطر والخير والنصر، وما يدفع عنهم من الشر ببركة طاعته وصلاحه ودعائه، فهذا حق وثابت؛ فأينما وُجدت وحلَّت اتسعت الأوقاتُ وتضاعفت الطاقات، وإن فُقدت أو رَحَلَت فيخرج الإنسانُ من هذه الحياة ـمهما طال عمره وكثُر سعيُهـ بلا زاد قدَّمه، ولا أثر خلَّفه ولا خير يذكر به.

*** معنى البركة اللغوي والاصطلاحي:**

قال في [القاموس المحيط]: (البركة محركة: النَّمَاء والزيادة والسعادة والتبريك: الدعاء بها، وبريك: مبارك فيه، وبارك الله لك وفيك وعليك، وباركك وبارك على محمد وعلى آل محمد: أدام له ما أعطاه من التشريف والكرامة، وتبارك الله: تقدَّس وتنزه صفة خاصة بالله تعالى، وبالشيء: تفاءل به، وبرك بروكا وتِبراكا: استناخ كبرك وأبركته، وثبت وأقام)[1].

(١) القاموس المحيط. لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والفرق بين البركة والزيادة: أن البركة هي الزيادة والنماء من حيث لا يوجد بالحس ظاهرًا؛ فإذا عهد من الشيء هذا المعنى خافيا عن الحس، قيل هذه بركة.

وقيل: اشتقاقها من البروك، وهو اللزوم والثبوت، لثبوتها في الشيء.

ويوصف بها كل شيء لزمه وثبت فيه خير إلهي.

وليس لضدها اسم معروف؛ فلذلك يقال فيه: قليل البركة، ولا يسند فعل البركة إلا إلى الله، فلا يقال: بارك زيد في الشيء، وإنما يقال: بارك الله فيه. وإلى هذه الزيادة أشير بما روي أنه: لا ينقص مال من صدقة، لا إلى النقصان المحسوس؛ فإذن كل بركة زيادة، وليس كل زيادة بركة. أ.هـ[1].

في المسلم ومعه من البركة بما معه من إسلام وعلم وتقوى، ومتابعة رسول الله ﷺ، وهذه بركة عمل، وكلما كان المسلم أكثر اقتداء بالرسول ﷺ واتباعًا له كان أكثر بركةً في نفسه وعمره وعمله ورزقه، ويعود ذلك على أهله وجاره وصديقه؛ فالتبرك بأهل العلم والتقوى هو الانتفاع بعلمهم والاقتداء بهم في التقوى والعمل الصالح، لا التمسح بقبورهم.

*** بركة المؤمنين في مجالسهم:**

ومن بركة المؤمن قوله ﷺ: «هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم». فإن هذا الرجل الذي آوى إلى مجلس الذكر لم تكن نيته فيه، ولكن جلس لحاجة من حوائج الدنيا؛فنال ببركة الجلساء الصالحين الرحمة والمغفرة

(١) الفروق اللغوية للعسكري (٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن هذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، ولهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١] فهكذا المؤمن مبارك أين حل؛ والفاجر مشئوم أين حل.

يقول ابن القيم في رسالة إلى أحد إخوانه: (بسم الله الرحمن الرحيم، الله المسئول المرجو الإجابة أن يحسن إلى الأخ علاء الدين في الدنيا والآخرة، وينفع به، ويجعله مباركًا أينما كان؛ فإن بركة الرجل تعليمه للخير حيث حل ونصحه لكل من اجتمع به؛ قال الله تعالى إخبارا عن المسيح: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: معلمًا للخير، داعيًا إلى الله، مذكرًا به، مرغبًا في طاعته؛ فهذا من بركة الرجل، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة ومحقت بركة لقائه والاجتماع به، بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به فإنه يضيع الوقت في الماجريات، ويفسد القلب، وكل آفة تدخل على العبد فسببها ضياع الوقت وفساد القلب، وتعود بضياع حظه من الله ونقصان درجته ومنزلته عنده؛ ولهذا وصى بعض الشيوخ فقال احذروا)[1].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ قال مجاهد وعمرو بن قيس والثوري: وجعلني معلمًا للخير. وفي رواية عن مجاهد: نفاعًا. وقال ابن جرير: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي، سمعت وهيب بن الورد مولى بني مخزوم قال: لقي عالم عالما هو فوقه في العلم، فقال له: يرحمك الله ما

(١) رسالة ابن القيم إلى بعض إخوانه (٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذي أعلن من عملي؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده، وقد أجمع الفقهاء على قول الله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ وقيل: ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان)[1].

والحاصل أن البركة ملازمة للمؤمن كما لازمت هذه الشجرة المباركة.

*** وجود الصالحين قد يكون مانعًا من نزول العذاب:**

وهذا معنى لطيف جدًّا، فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال:٣٣] أي: المشركين، (وَهُمْ) أي: المؤمنون (يَسْتَغْفِرُونَ)؛ فالضمير (هم) لا يعود على المشركين، وإنما يعود على المؤمنين المستضعفين الذين كانوا موجودين بين ظهرانيهم؛ فهذا الوجه سر بلاغته أن فيه دلالة على أن بركة المؤمن متعدية، حتى إنها لتطال من يستحق نزول العذاب، فوجود الصالحين يكون مانعًا من نزول العذاب.

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح:٢٥] التزيل: التميز، أي: لو تميز الذين آمنوا من الذين كفروا منهم لعذبنا الذين كفروا، وقيل: التزيل: التفرق، أي: لو تفرق هؤلاء من هؤلاء، وقيل: لو زال المؤمنون من بين أظهرهم، والمعاني متقاربة، والعذاب الأليم هو القتل والأسر والقهر[2].

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٤٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الحادية عشرة: لا تسقط للنخلة أنملة ولا تسقط للمؤمن دعوة.**

أخرج أبو محمد الحارث بن أبي أسامة في (البغية) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا يسقط لها أنملة، أتدرون ما هي؟» قالوا: لا. قال: «هي النخلة لا تسقط لها أنملة ولا يسقط لمؤمن دعوة»[1] والحديث إسناده جيد لولا جهالة محمد بن ربيع، إلا أنه يشهد له ما ورد من الأحاديث والآثار المروية في إجابة دعوة العبد المؤمن.

والأنملة: طرف الأصبع، ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الأصبع والجزء الصغير، يقول ابن الجوزي رحمه الله: (اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة، أو يعوض بما هو أولى له عاجلًا أو آجلًا؛ فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه؛ فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض) ا.هـ.

وقد استدل العلماء على ذلك بعدة أحاديث منها:

* ما رواه أبو سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذن نكثر، قال: الله أكثر وأطيب ». رواه أحمد

(١) **سنده ضعيف**: قال في بغية الباحث (٣١): حدثنا كثير بن هشام ثنا الحكم عن محمد بن ربيع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال فذكره والحديث إسناده جيد لو لا جهالة محمد بن ربيع؛ لا يعرف. والأثر ذكره البوصيري في إتحاف المهرة وسكت عنه (٦١٦٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وغيره[١].

* وجاء في الحديث التصريح بأن إعطاء العبد إحدى هذه الخصال الثلاث يعد استجابة لدعائه، قال ﷺ: «ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، أو يستعجل. قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: يقول: دعوت ربي فما استجاب لي» رواه أحمد والترمذي[٢].

فهذا كله من استجابة الدعاء، والله تعالى يرضى لعبده المؤمن ما فيه الخير والنفع؛ ومن ثم فعلى العبد أن يجتهد في الدعاء محسنا ظنه بربه، عالما أن الخير لا يأتي إلا من قبله تعالى، ثم يرضى بعد ذلك بما يقدره الله ويقضيه، ويعلم أن دعاءه مستجاب إن استوفى الشروط، وانتفت عنه الموانع، ولكن قد يختلف نوع الإجابة بحسب ما تقتضيه حكمة الله تعالى.

قال في [تحفة الأحوذي]: (واعلم أن لإجابة الدعاء شروطًا، منها: الإخلاص؛ لقوله تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر: ١٤].

ومنها: أن لا يكون فيه إثم ولا قطيعة رحم، ومنها أن يكون طيب المطعم والملبس؛ لحديث أبي هريرة عند مسلم وغيره عن النبي ﷺ: أنه ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغْبَر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٢، رقم٢٩١٧٠)، وأحمد (٣/ ١٨، رقم ١١١٤٩)، وعبد بن حميد (٢٩٢، رقم ٩٣٧)، وأبو يعلى (٢/ ٢٩٦، رقم ١٠١٩)، والحاكم (١/ ٦٧٠، رقم ١٨١٦) وقال: صحيح الإسناد.
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (باب ١٥٣، رقم ٣٩٥٧) وقال: غريب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!
ومنها أن لا يستعجل لحديث أبي هريرة ﷺ الآتي)[1].

(١) تحفة الأحوذي (٨/ ٢٧٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثانية عشرة**: حُسْن الهيئة وبهجة المنظر.

النخلة ... تلك الشجرة الباسقة ذات الطلع النضيد، عروس الأشجار، الشامخة بطولها، تشق عنان السماء بفروعها، وهي عروس بثمارها الشهية التي تتدلي حولها بمنظر يتجلى فيه عظمة خالقها تعالى فتسر الناظرين.

قال ابن القيم ـرحمه الله تعالىـ: (وحسن هيأتها وبهجة منظرها وحسن نضد ثمرها وصنعته وبهجته ومسرة النفوس عند رؤيته؛ فرؤيتها مذكرة لفاطرها وخالقها وبديع صنعته وكمال قدرته وتمام حكمته، ولا شيء أشبه بها من الرجل المؤمن؛ وهو كذلك لا يتغير مظهره إلا إلى الأحسن، وكذلك المؤمن يزداد حسنًا وجمالًا بطاعته لربه وتقواه له)[1].

فالعبد المؤمن مأمور بحسن ملبسه، من طهارة ونظافة وجمال هندام وستر عورة، وألا يكون فيه تشبه بغير المسلمين أو لباس شهرة، يقول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف:٣١]، وأخرج أحمد وغيره عن أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة، فقال: «هل لك من مال؟». فقلت: نعم. قال: «من أي مال؟» قلت: من كل قد آتاني الله، من الإبل والرقيق والغنم، قال: «إذا آتاك الله مالا فلير عليك».

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حسنًا ونعله حسنةً، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»[(١)].

وإن أعظم لباس يحب أن يراه الله تعالى على عبده هو لباس التقوى؛ ﴿يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فالنخلة رغم جمالها الأخاذ لها شكل ظاهري واحد لا يتغير إلا للأحسن؛ فيزداد حسنها بظهور ثمرها ودنو قطوفها.

قال الله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق:١٠].

قال أبو محمد البطليوسي: (والطلع: أول ما يطلع في النخلة من حملها قبل أن ينشق عنه غشاؤه الذي يستره، فإذا انشق عنه غشاؤه، قيل له: الضحك، لأنه أبيض يشبه انشقاقه وبروزه بظهور الأسنان عند الضحك. والطبيع بكسر الطاء والباء وتشديدهما: الطلع بعينه)[(٢)].

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ معطوفة على قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩]. يعني: وأنبتنا به النخل، ﴿بَاسِقَاتٍ﴾، أي: عاليات، ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾، أي: منضود بحيث يكون متراكبًا بعضه إلى جنب بعض على أحسن صورة وأحكمها؛ يكون مرتبطا بهذا الشمراخ إلى أن يحين وقت أكله، فإذا حان وقت أكله سهل جدا أن يتناوله الإنسان بدون أن يتأثر هذا الرطب أو هذا التمر.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧) وغيره.

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (١/ ١١٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله ﴿بَاسِقَاتٍ﴾: حال من النخل مقدرة؛ لأنها وقت الإنبات لم تكن طوالًا، وإنما خص النخل بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها، ولذلك شبه رسول الله ﷺ المسلم بها، ولأنها أيضًا مع فرط طولها دقيقة الجذور جدًّا؛ فكانت لذلك آية خاصة، وقوله ﴿لهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ الجملة حال من الضمير في (بَاسِقَاتٍ) على التدخل أو حال أخرى من النخل.

يقول الشاعر:

أيا نخلتي وادي بُوانةَ حبّذا ... إذا نام حُرّاسُ النخيل جناكُما

فطيبكُمُا أَرْبَى على النَّخْل بهجة ... وزاد على طُول الفَتاءِ فَتاكم

قال بعض الأعراب: صليت المغرب مع رسول الله ﷺ فسمعته يقرأ: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ فوالله ما علمت ولا أدري ما قرأ بعدها، ولأنني وقفت عندها.

قال الراغب في [غريب القرآن]: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾؛ **أي:** طويلات، والباسق هو الذاهب طولا من جهة الارتفاع، ومنه بسق فلان على أصحابه علاهم. أ هـ.

وفيه تشبيه بتطلع المسلم إلى معالي الأمور، يقول ابن القيم في [مدارج السالكين]: (إن الله ينظر إلى همم الناس، وإلى نياتهم، ولا ينظر إلى صورهم ﷻ ولا إلى هياكلهم ولا إلى أموالهم، **يقول الشاعر:**

ونخلٍ باسقاتٍ كالعذارىَ ... ثَنَّى في غدائرِها الطِّوالِ

خَلعنَ الحسنَ منعكساً عليهِ ... فآنسنَ الحقيقةَ بالخيالِ

وحلَّى ألسُنَ الأطيارِ منهُ ... وقال لها اذكري باري جَمالي).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثالثة عشرة**: فقه وفوائد التعليم بالألغاز.

الإلغاز من جملة المهارات والفنون التي تصل بها الفوائد والمعاني من العلم إلى المتعلم، وهو أسلوب مُقتفى أثره بين أهل العلم المتقدمين؛ فهو أدب موروث وتركة غنية، وبها يقرب المعنى المراد بدون كثير مشقة فيسهل على المتلقي أخذه، ويرسخ به المطلوب في ذهنه، وبه أشار كثير من الشراح إلى الشاهد من قوله ﷺ: «فحدثوني ما هي؟».

يقول برهان الدين ابن فرحون (ت: ٧٩٩ هـ): (فمن أحسن ما أجم به العالم نفسه محاضرة الطلاب بألغاز فروع الأصحاب؛ لأنها تحد الأذهان، وتفتح الجنان، وتفاضل بين الأقران، والعمل بها ثابت في الصحيح، وهي في البخاري نص صريح؛ ففي البخاري: باب طرح الإمام المسألة على أصحابه يختبر ما عندهم من العلم، ثم ساق حديث الباب [حديث عبد الله بن عمر] بطوله ـ ثم قال : قال العلماء في هذا دليل على أنه ينبغي للعالم أن يمرن أصحابه بإلقاء المسائل العويصات عليهم ليختبر أذهانهم في كشف المعضلات وإيضاح المشكلات.

وقد ألف العلماء في ذلك تواليف عديدة، وهذا النوع (يقصد الألغاز الفقيهة) يسميه العلماء (الألغاز) وأهل الفرائض يسمونه (المعميات)، والنحاة يسمونه (المعمي)، واللغويون يسمونه الأحاجي) ا. هـ[1].

مفهوم اللغز: **قال الجوهري**: (اللغز في الأصل: جحر اليربوع مفرع من جحره الأصلي، وذلك أنه يحفر جحرًا له منفذان، وهو المسمى

(١) درة الغواص في محاضرة الخواص (٦٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالنافقاء، ثم يولِّد من ذلك الجحر جحرًا آخر يمينا أو شمالًا ليخفي به مكانه). ا.هـ.

وبيَّن حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ) المقصود بالألغاز، فقال: (هي علم تعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية، لكن بحيث لا تنبو عنها الأذهان السليمة، بل تستحسنها وتنشرح إليها).

وقد بيَّن -رحمه الله تعالى- في كلام طويل أن علم الألغاز من فروع علم البيان، والغرض من هذا العلم امتحان الأذهان والتندر في المجالس، وأشار إلى أن مبادئ هذا العلم مأخوذة من كلام الملغزين وأصحاب المعمي، وبعضها أمور تخيلية تعتبرها الأذواق، ومسائلها راجعة إلى المناسبات الذوقية بين الدال والمدلول الخفيّ على وجه يقبلها الذهن السليم، ومنفعتهما تقويم الأذهان وتشحيذها.

وعلماؤنا الأوائل صنفوا في الألغاز العلمية، وأجادوا في جمعها وتقييدها وتحقيقها؛ لأنهم رأوا أن فيها لونًا من ألوان التفهيم وإعمال الفكر وإطالة النظر وشحذ الذهن لاستخراج الجواب الصحيح، ومن أهل العلم من صنف في هذا العلم للجمع بين الجدة والطرفة وزرع الملح والنوادر المفيدة في قلوب الطلاب.

ومن أشهر كتب الألغاز: [الألغاز] لحمزة بن أحمد الدمشقي (ت: ٨٧٤هـ)، و[الذخائر الأشرفية في الألغاز الحنفية] لابن الشحنة الحلبي (ت:٨١٥هـ)، و[طراز المحافل في ألغاز المسائل] لعبد الرحيم الإسنوي (ت:٧٧٢هـ).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتجد بعضاً منها في [تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر] لابن أبي أصيبع المصري (ت: ٦٥٤ هـ)، و[نهاية الأرب في فنون الأدب] للنويري (ت: ٧٣٣هـ)، إضافة إلى الكتب التي صنّفها فقهاء الأحناف في الحيل الشرعية.

من أداب المُلْغِز والمُلْغَز له: وفي الحديث الشريف أدب من جملة الآداب التي ينبغي للمعلم أن يتحلى بها مع طلابه، وكذلك الطلاب مع معلميهم.

من ذلك الإشارة إلى أن الملْغز له (وهو المختَبر باللغز) ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال؛ لأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فطن إلى الجمار الذي أتي به إلى رسول الله ﷺ حيث وافق عبد الله بين حضور الجمار وقت سؤال النبي عن شجرة لا يسقط ورقها.

أما الملْغِز (وهو المعلم) ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية وطلب التندر بالجواب؛ بحيث لا يجعل للملغز له بابًا يدخل منه؛ بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه؛ لأن الغاية من ذلك هي إبلاغ العلم.

الألغاز ليست من الأغلوطات: وما سبق لا يدخل في باب الأغلوطات المنهي عنها، يقول الأمام البغوي رحمه الله في [شرح السنة]، (١/ ٣٠٨): (أما ما روي عن معاوية أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات)[1].

(١) **ضعيف:** أخرجه الأمام أحمد في المسند (٢٣٠٥٨)، وأبو داود (٣١٧٣) والطبراني في الأوسط (٨٤٢٢) وسعيد بن منصور في السنن (١١٣٣)، والبيهقي في السنن (٣٠٣)، وابن بطة في الإبانة (٣٠١) ومعرفة الصحابة أبى نعيم (٥٢٧٣) من طريق الأوزاعي عن عبد الله بن سعد عن الصنابحي عن معاوية ومداره على عبد الله بن سعد وهو ضعيف. والطبراني في المعجم الكبير(١٦٣٠٨) من طريق سليمان بن ←

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال الأوزاعي: هي شِرَار المسائل، فمعناه: أن يقابل العالم بصعاب المسائل التي يكثر فيها الغلط، ليستزل ويستسقط فيها رأيه.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: أنذرتكم صعاب المنطق. يريد المسائل الدقاق والغوامض، وإنما نهى عنها لأنها غير نافعة في الدين، ولا يكاد يكون إلا فيما لا يقع أبدًا، ويكره للرجل أن يتكلف بسؤال ما لا حاجة به إليه، فإن دعت الحاجة إليه فلا بأس، كما روي أن عمر أراد إظهار فضل عبد الله بن عباس على القوم، فسألهم عن قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ﴾ [النصر: ١][(١)].

*** قال الشيخ الحويني ـحفظه اللهـ في شرح كتاب العلم من [صحيح مسلم]:**

وفي رواية مجاهد عن ابن عمر قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ أُتي بجُمّارٍ فقال: «من الشجر شجرة بركتها كالمسلم». قال: فأريت أنها النخلة للجمّار. فلاحظ الذكاء! أول ما رأى الجمّار في يده وقال: «من الشجر شجرة بركتها كالمسلم». فربط ما بين الجمّار وبين النخلة، وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للمُلْغِز ـأي: المختبِرـ أن لا يعمي ويغلق الباب

⇐ داود الشاذكوني ثنا عبد الملك بن عبد الله الكفاني ثنا إبراهيم بن أبي عبلة عن رجاء بن حيوة عن معاوية بن أبي سفيان وسليمان متروك وعبد الملك مجهول. ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٧٣١) من طريق محمد بن عقبة يعني الشيباني، ثنا بقية بن الوليد، عن سليمان بن فلان، عن الأوزاعي، عن عبادة بن نسي، عن قيس بن خارجة. وبقية مدلس وسليمان مجهول. والحديث أورده الدارقطني في العلل (١٢١٩) وبين اضطرابه والاختلاف على الأوزاعي فيه من أربعة أوجه.

(١) شرح السنة للبغوي (١/ ٣٠٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على الملغَز له، يعني: لا تغلق عليه كل الأبواب، يلزم أن تفتح له بابًا يفهم منه السؤال.

والقصد ليس التعجيز والاختبار، بل القصد أنك تدربه، فإن لم تفتح له بابًا لا يستطيع أن يصل إلى الصواب، فينبغي أن يلتفت المرء إلى قرائن الأحوال حتى يعلق الحكم الصحيح على القرينة.

وقد ابتكر علماؤنا الأوائل طرائق سديدة لحفظ العلم والأوقات، واحتالوا حيلًا شرعية لتحفيز الهمم إلى شغل فراغ الطلاب ومؤانسة الجلساء، وإذكاء روح التنافس الشريف للمفاضلة بين الأذكياء، وقياس سرعة البديهة بين النُبهاء، وتعد الألغاز العلمية من أجمل تلك الطرائق، وقد شغف بها الكبار والصغار، وبات الكثيرون على مسامرة الأحاجي والمعمَيات وعويص المسائل والنوادر.

*** طرق الإفادة من الألغاز العلمية:**

أولًا: تدريب النفس على العزيمة والإصرار على مجاوزة العجز. قال بعض السلف: (ما لزم أحد الدعة إلا ذل، وحب الهوينا يكسب الذل، وحب الكفاية مفتاح العجز)[1].

وتعد الألغاز الفقهية لونًا من ألوان ترسيخ الأحكام الشرعية في نفوس طلبة العلم الشرعي، أبدع فيه العلماء منذ القرن السادس الهجري، وقد دون الفقهاء ألغازهم على الأبواب الفقهية كي يتقوى الطلاب على الملكة الفقهية، ولتحصل لهم الدُربة على استخراج المقاصد والأحكام

(١) محاضرات الأدباء (١/ ٤٤٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الأدلة مع إعمال فكر وإطالة نظر.

جاء في مقدمة [حلية الطراز في حل مسائل الألغاز على مذهب الإمام أحمد بن حنبل] لأبي بكر بن زيد الجراعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أما بعد: فإن إلغاز المسائل برمزها من السائل مما تثير النفوس، وتحرك البواعث، وتنشط الهمم على استحضار أحكام الحوادث، وقد سلك المصطفى عليه السلام هذا المعنى مع أصحابه وتعاطاه، وقد حضره ابن عمر ورآه، ونقله البخاري في صحيحه ورواه: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدِّثوني ما هي؟». فوقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة».

وهذا تنبيه على التيقظ للمسائل المشكلة، وقد قال البخاري: «باب طرح الإمام على أصحابه المسألة».

واعلم أن من الألغاز ما لا يُدرك إلا بالتوقيف عليه، ولا يُدرك بالتأمل والتفكر، وهذا لا يدل العلم به ولا الجهل به على شيء بالكلية، وإنما هو إتعابٌ للنفس وضياع للأزمنة.

ومنها ما يُدرَك غالبا بغزارة العلم، وإدامة العمل، وكثرة الاستحضار، وإصابة الفكر، وجودة الذهن، كقولنا: «إنسانٌ أتلفَ ماله وجب على غيره غرامته» وهذا القسم هو المثير للفوائد والمقيد للشوارد) ا.هـ[1].

ثانيًا: شحذ الهمة في تنويع المواد المقروءة؛ فينبغي على المرء أن يقرأ

(١) حلية الطراز في حل مسائل الألغاز (مخطوط ـ ق ٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في الطب والفلك وعلوم الأرض إلى جانب العلوم الإسلامية والعربية.

ثالثًا: التقرب إلى الله تعالى في شغل الأوقات والساعات بكل نافع ومفيد، وهذا لا يحصل إلا بتحريك القلب إلى استحضار أهمية العبادات ومجاهدة النفس في الصد عن الانغماس في اللذات الدنيوية الفانية، وقد قال رسول الله: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلاباً مِنَ القِدْرِ إذا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا»(١).

رابعًا: تذكير الصغار والكبار بفوائد الألغاز العلمية، وأنها من العلوم المقوية لمدارك العقل والتفكير، وحثهم على الاعتناء بها لتحصيل ملكة التدبر وتعزيز سرعة البديهة.

خامسًا: الدعاء للعلماء والمربين من السلف والخلف الذين قيدوا لنا هذه العلوم النافعة، وسهروا على تهذيبها وتنقيحها، ووجوب التأسي بسيرتهم والوقوف على فضائل أعمارهم.

وقد قال الإمام أبو إسحاق الشيرازي صاحب [المهذب]: (كنت أعيد كل درس مائة مرة، وإذا كان في المسألة بيت شعر يستشهد به حفظت القصيدة كلها من أجله)(٢).

وعلى كلٍّ فإن الألغاز العلمية لون من ألوان الثقافة العربية الأصيلة، ينبغي على المعلمين والمربين أن يحسنوا الإفادة منها، في خلواتهم وأوقات فراغهم في المدارس والمعاهد والمراكز العلمية، وأن يحتسبوا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في [المسند]: (٦/ ٧٠) والطبراني في الكبير (٦٠٣) والحاكم (٣١٤٢) وصححه.

(٢) علو الهمة (١٨٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في ذلك؛ فإن الوقت أمانة، والفراغ أمانة، وكل مخلوق سوف يسأل عن أمانته أحفظها أم ضيعها؟!

ويحسن التنبيه أيضًا إلى عدم الإغراق في الاشتغال بالألغاز؛ فإن المبالغة في العناية بها قد تؤدي إلى التقصير في طلب كثير من العبادات الفاضلة، والتوسط مطلب، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا .. والله المستعان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الرابعة عشرة: المؤمن على عملٍ جارٍ وأجرٍ سارٍ بعد موته.**

لا تنقطع البركة بموت المؤمن، بل تبقى آثارها وما قدم من خير؛ فينفع الله تعالى بها من يشاء من عباده، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. إنه ذاك الرجل المبارك في حله وترحاله، كالغيث أينما وقع نفع، وحيثما حل أجرى الله على يديه الخير، وكما كان عزمه على ديمة عمله الصالح ما بقي في حلقه رمق كان جزاء الله ـجل شأنهـ له ديمة الأجر بعد انقطاع أجله.

(إن من عظيم نعم الله على عباده المؤمنين أن هيأ لهم أبوابًا من الخير والبر والإحسان عديدة يقوم بها المؤمن في حياته، ويجري ثوابها عليه بعد مماته، فأهل القبور في قبورهم مرتهنون، وعن الأعمال منقطعون، وعلى ما قدموا في حياتهم محاسبون ومجزيون، بينما هذا المؤمن في قبره الحسنات عليه متوالية، والأجور والأفضال عليه متتالية، ينتقل من دار العمل، ولا ينقطع عنه الثواب والأجر، تزداد درجاته وتتنامى حسناته، وتتضاعف أجوره وهو في قبره، فما أكرمها من حال! وما أجمله وما أطيبه من مآل!)[1].

هذه سبعة أبواب يجري للعبد ثوابها وأجرها بعد موته إذا عملها في حياته، ربما لا يبذل فيها المؤمن مالًا كثيرًا ولا جهدًا كبيرًا، ومع ذلك يجري له ثوابها ويدوم أجرها، ويبقى أثرها بعد موته في قبره، أخرج ابن

(١) من خطبة الجمعة يوم ١/ ١١/ ١٤٢١هـ؛ للشيخ/ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علّمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته»(١).

وروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات العبد انقطع عنه عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(٢).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه أن عمل الميت منقطع بموته، لكن هذه الأشياء لما كان هو سببها من اكتسابه الولد، وبثه العلم عند من حمله عنه، أو إيداعه تأليفًا بقي بعده وإيقافه هذه الصدقة بقيت له أجورها ما بقيت ووجدت.

يقول شيخنا العلامة/ العباد البدر ـحفظ الله تعالىـ: قوله: (أو علم ينتفع به)، المقصود بالعلم: العلم الذي يأخذه عنه تلاميذه، ويأخذ عنهم تلاميذهم وهكذا، أو عن طريق كتابة العلم، والمؤلفات النافعة التي يخلفها الإنسان وتبقى بعده سنين طويلة، وقد تمكث مئات السنين، فإنه كلما انتفع من هذه المؤلفات منتفع وصل إليه ثوابه، وقد مضى على موته

---

(١) **حسنه الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح ابن ماجه (١٩٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٢، رقم ٨٨٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٨، رقم ٣٨)، ومسلم (٣/ ١٢٥٥، رقم ١٦٣١)، وأبو داود (٣/ ١١٧، رقم ٢٨٨٠)، والترمذي (٣/ ٦٦٠، رقم ١٣٧٦) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١/ ٨٨، رقم ٢٤٢). وأخرجه أيضًا: النسائي (٦/ ٢٥١، رقم ٣٦٥١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مئات السنين، ولهذا جاء عن ابن الجوزي في كتابه [صيد الخاطر] أنه قال: إن الكتاب الذي يخلفه الإنسان يعتبر ولده المخلد، كأنه قد خلد ولدًا يدعو له، فيكون ذلك الكتاب معناه أنه خالد وأنه باق، وأنه يمكث المدة الطويلة التي يعود عليه فيها نفعه بعد وفاته بمئات السنين، فالعلم الذي يخلفه الإنسان سواء كان عن طريق تعليم التلاميذ، والتلاميذ يأخذ عنهم تلاميذ وهكذا، ويتسلسل حتى يصل إليه نفعه، ويصل إليه فوائده، وكذلك المؤلفات؛ ولهذا نجد أن هناك من مضى على موتهم مئات السنين، ومع ذلك ذكرهم مخلد، يأتي ذكرهم في المؤلفات، أو في الأسانيد، أو الفتوى، فيقال: قال فلان كذا، وقال فلان رَحِمَهُ اللَّهُ كذا، وأفتى فلان بكذا، وروى فلان كذا، فيأتي ذكرهم مع أنه كان في زمانهم أناس كثيرون لا يعرفون عنهم شيئًا لا في حياتهم ولا بعد موتهم، ولكن خلد ذكرهم العلم النافع الذي ورثوه وخلفوه.

وقوله: (أو ولد صالح يدعو له) سواء كان ولده من صلبه المباشر، أو ممن هو من نسله، وسواء كان من أبنائه أو من بناته؛ لأن هؤلاء كلهم أولاد له، وكلهم أبناء له القريب والبعيد وإن نزل، ابن الابن وإن نزل، كما في الفرائض، إذ كلهم يقال لهم: أبناء، فأولاد البنين وأولاد البنات يعتبرون أولادًا للميت، فإذا دعوا له بدعاء فإن ذلك ينفعه.

وخص من الأولاد الولد الصالح؛ لأن هذا هو مظنة الدعاء، وهو الذي ينفع نفسه وينفع غيره، أما إذا كان فاسدًا فلن ينفع نفسه ولا غيره ولا أصله؛ لأنه منصرف عن الدعاء بالكلية، بل قد يحصل منه دعاء عليه، كما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جاء في الحديث: «إن من الكبائر أن يسب الرجل والديه». قيل: وكيف يسب الرجل والديه؟! قال: «يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه» فقد يتسبب في أن يذكروا بسوء.

إذن ذكر الصلاح هنا لأن الصالح هو الذي ينفع نفسه وينفع غيره؛ لأنه هو الذي يشتغل بالدعاء لنفسه ولغيره، وقد جاءت زيادات في أحاديث، ولكن غالبها أو كلها تفاصيل وجزئيات ترجع للصدقة الجارية، وقد ذكرها بعض أهل العلم، وذكر صاحب [عون المعبود] أن السيوطي أوصلها إلى إحدى عشرة، وذكر فيها شعرًا، وأنه سبقه ابن العماد فأوصلها إلى ثلاث عشرة، وأنه ساق الأحاديث التي وردت فيها، وهي غالبا ترجع إلى جزئيات للصدقة الجارية[1].

(١) من شرح سنن أبي داود بمجلس الشيخ ـ حفظه الله ـ بالمسجد النبوي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الخامسة عشرة**: أسماء النخلة في مراحل عمرها.

هاك مُلحة لا بأس بإيرادها هنا، فقد وضع العربُ للنخلة أسماءً من حين تبدو صغيرة إلى أن تكبر، وكذلك للرطب من حين يكون طلعًا إلى أن يصير رطبًا؛ فتقول العرب لصغار النخل: الجثيث والهراء والودي والفسيل والأشاء.

قال الثعالبي في [فقه اللغة]: (إذا كانت النخلة صغيرة فهي الفسيلة والودية، فإذا كانت قصيرة تتناولها اليد فهي القاعد، وفي [غريب المصنف]: العضيد، والجمع: عضدان.

فإذا صار لها جذع لا يتناول منه المتناول فهي جبارة، فإذا ارتفعت عن ذلك فهي الرقلة والعيدانة، فإذا زادت فهي باسقة، فإذا تناهت في الطول مع انجراد فهي سحوق.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فصل في نعوتها: إذا كانت النخلة على الماء فهي كارعة ومكرعة، فإذا حملت في صغرها فهي مهتجنة، فإذا كانت تدرك في أول النخل فهي بكور، فإذا كانت تحمل سنة وسنة لا تحمل فهي سنهاء، فإذا كان بسرها ينثر وهو أخضر فهي خضيرة، فإذا دقت من أسفلها وانجرد كربها فهي صنبور، فإذا مالت فبني تحتها دكان تعتمد عليه فهي رجبية. فإذا كانت منفردة عن أخواتها فهي عوانة، ويقال للطلع: الكافور، والضحك، والإغريض، فإذا انعقد سمته السياب، فإذا اخضر قبل أن يشتد سمته الجدال، فإذا عظم فهو البسر، فإذا صارت فيه طرائق فهو المخطم، فإذا تغيرت البسرة إلى الحمرة فهي شقحة فإذا ظهرت الحمرة فهو الزهو

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أزهى، فإذا بدت فيه نقط من الإرطاب نصفها فهي المجزع، فإذا بلغ ثلثيها فهي حلقانة، فإذا جرى الإرطاب فيها فهي منسبتة)[١].

* **فائدة: قال السيوطي في [المزهر]**: (وفي قوله: والنخلُ يسمى الشجر فائدة لطيفة؛ فإني رأيت في كتاب [عمل من طب لمن حب] للشيخ/ بدر الدين الزركشي بخطِّه: إن النخلة لا تسمى شجرة وأن قوله فيها: «إن من الشجر شجرةَ لا يسقط ورقها ...» الحديث على سبيل الاستعارة لإرادة الإلغاز وما ذكره الزّجاجي يردّه ويمشي الحديثُ على الحقيقة)[٢].

(١) فقه اللغة للثعالبي (٦٨).
(٢) المزهر (١٠٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السادسة عشرة**: سرور الوالد بنجابة ولده.

نجابة الأولاد وصلاحهم من أعظم نعم الله على الإنسان؛ فقد فُطر الآباء على السرور بنجابة الأولاد واستقامتهم، بل يحرص الكثيرون منهم على إظهار ذلك بين الأقارب والأصدقاء، خاصة في حضرة أهل الفضل والعلم، وفى الغالب يكون هذا الشعور فطري يشترك فيه المؤمن وغير المؤمن، لكن لما كان الأمر فيه تعبد لله تعالى ناسب ذكره في هذا الباب، وقد أحسن الشاعر حين قال:

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد

وكأني أنظر إلى الصحابي الملهم عمر ﷺ وقد تهلل الوجه منه، وتبشبش وهو يقول لولده عبد الله لما أخبره بما حدثته نفسه بأن الشجرة هي النخلة: (لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا).

يقول د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان[1]: إن الأبناء زينة الحياة الدنيا وبهجتها، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦]، وسعادة المرء في صلاحهم وفلاحهم ونجابتهم، ومن خير ما يكتنز إذا المرء مات من بعد وفاته الولد الصالح؛ لأن الإنسان ينقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له.

وصلاح الأولاد ونجابتهم له علاماته وأسبابه، وهو أمر شاق له تبعاته ومسئولياته، وتربيتهم والوصول بهم إلى طريق النجابة ليس أمرًا سهلًا،

(١) الطريق إلى نجابة الأولاد (٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بل هو تعهد مستمر، وصبر ومصابرة، وعلى الأبوين في كل مرحلة من مراحل نمو أولادهم واجبات ومسئوليات، إن هم غفلوا عنها ربما تعثروا وتبددت مواهبهم.

ولأن للعرب والمسلمين اهتمامًا ظاهرًا في تحصيل النجابة؛ فقد حفلت كتب التراث بكثير من المرويات في هذا الباب، فإن من المهم تقريب ذلك إلى الآباء والمربين.

فهذا المبارك والد الإمام الحجة شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك، كان عبدًا رقيقًا أعتقه سيده، ثم عمل أجيرًا عند صاحب البستان، وفي يوم خرج صاحب البستان مع أصحاب له إلى البستان، وقال للمبارك: ائتنا برمان حلو فقطف رمانات، فإذا هي حامضة، فقال صاحب البستان: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟! فقال له: أنت لم تأذن لي لأعرف الحلو من الحامض؟ فقال: أنت من كذا وكذا سنة تحرس البستان وتقول هذا؟! وظن أنه يخدعه، فسأل الجيران، فقالوا: ما أكل رمانة واحدة منذ عمل هنا، فقال له صاحب البستان: يا مبارك ليس عندي إلا ابنة واحدة فلمن أزوجها؟ قال المبارك: اليهود يزوجون للمال، والنصارى للجمال، والعرب للحسب، والمسلمون يزوجون للتقوى. فمن أي الأصناف أنت؟ زوّج ابنتك للصنف الذي أنت منه. فقال: وهل يوجد أتقى منك؟! ثم زوّجه ابنته.

فكان من ثمرة ذلك شجرة يانعة مباركة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أكلًا من جهاد، وزهد، وعلم، وصدقة، إنه عبد الله بن المبارك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا والد الإمام البخاري يقول عند موته: والله لا أعلم أني أدخلت على أهل بيتي يومًا درهمًا حرامًا أو درهمًا فيه شبهة. فجاء حديث الرسول الصحيح مجموعًا على يد ولده محمد بن إسماعيل البخاري، أصح الكتب بعد كتاب الله.

وورد عن محمد بن المنكدر أن قال لولده: والله يا بني إني لأزيد في صلاتي ابتغاء صلاحك.

هكذا كان فقههم ﷺ لقضية صلاح الذرية، وعلموا ما هو الشيء النفيس والغالي الذي يكتنزوه لأولادهم حتى ينفعهم فيما هم مقبلون عليه من العواقب والمشقات.

كان أحد العلماء ـوهو أبو المعالي الجويني ـ ينسخ بالأجرة، ويتكسب وينفق على زوجته الصالحة وابنه الرضيع، وكان قد أوصى زوجته ألا تمكِّن أحدًا من إرضاعه، فدخل مرَّة وقد أخذته إحدى الجارات فرضع قليلاً، فما كان منه إلا أن أدخل إصبعه في فيه ولم يزل يفعل ذلك حتى قاء جميع ما شربه وهو يقول: يسهل عليّ أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير لبن أمه.

*** النجابةُ بلا خلق وأدب (بلاءٌ):**

لا قيمة لنبوغٍ تنقصه الأخلاق الفاضلة، والقيم النبيلة؛ ولذا فإن نجابة الأبناء وحسن أخلاقهم من النعم التي ينبغي أن يشكر عليها العبدُ خالقه، غير أن هذه النعمة لا تهبط على المرء من السموات السبع، ولا تتنزل على الناس بالمصادفات، بل هي اجتهادات، وجملة تداخلات بين عوامل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كثيرة، أهمها وأبرزها الدور التربوي الكبير الذي تقوم به الأسرة ممثلة في الوالد، والوالدة، والجد، والجدة ... إلى آخر الامتدادات، وكذلك المدرسة، وغيرها من مكونات البيئة المحيطة بالأبناء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السابعة عشرة**: **حنين الجذع وعظيم محبة المؤمنين للرسول.**

حنين الجذع اليابس وأنينه أغرب من اخضراره وإثماره، فإن الإثمار والاخضرار صفة قائمة فيه، والحنين والأنين لا يكونان في جنسه بحال، وإنما حنت على فقد ما كانت تأنس به من الذكر، وخصت به من الشرف والبركة.

لقد كان مسجد النبي ﷺ مبنيًّا على جذوع من نخل؛ فكان ﷺ إذا أراد أن يخطب يستند إلى أحد هذه الجذوع دائما، ومكث على ذلك زمنًا، فلما كثر الناس وأصبح المسجد يمتلئ بالمصلين، وربما لا يرى من في الصفوف الأخيرة النبي ﷺ لا سيما من النساء، فجاءت إحدى نساء الأنصار إليه فقالت: يا رسول الله، إن لي غلامًا نجارًا، فإن شئت أمرته ليصنع لك منبرًا. فوافق النبي ﷺ على هذا الأمر، فصُنِعَ للنبي منبر من ثلاث درجات، ووُضِعَ في المسجد بجانب ذلك الجذع الذي كان النبي ﷺ يخطب إليه دائمًا، فلما خرج النبي ﷺ للخطبة، مر بجانب ذلك الجذع، ولم يخطب عنده، وتعداه ورقى المنبر ليخطب عليه، فلما أحس الجذع أن النبي ﷺ تركه، حزن وجزع وأخذ يبكي ويصيح حتى كاد أن يتصدع حزنًا على رسول الله، فقال النبي ﷺ «ألا تعجبون لحنين هذه الخشبة؟».

فأقبل الناس وارتجَّ المسجد من حنينها حتى كثر البكاء في المسجد، فنزل النبي ﷺ فوضع يده عليها يهدهدها[1].

---

(١) **هدهد الشيء**: حركه: ويقال هدهدت الأم صبيها: حركته حركة رفيقة منظمة لينام، انظر: المعجم الوسيط (٢/ ١٠١٧) [هدهد].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم ضمه إليه، فجعل يئن أنين الصبي الذي يُسكَّت حتى سكت، فقال النبي: «أما والذي نفس محمد بيده لو لم أحتضنه لحن هكذا إلى يوم القيامة حزنًا على رسول الله». ثم أمر النبي ﷺ به فدفن تحت منبره.

يقول جابر: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر»[1].

وعن جابر ﷺ قال: (كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار «جمع عشراء، وهى الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها»، حتى جاء النبي فوضع يده عليها، فسكنت) رواه البخاري.

قال الحسن: (يا معشر المسلمين، أيكون الجذع أشد حنينًا للنبي ﷺ منكم؟!!). خشبة تكون أكثر حنينًا للنبي ﷺ منكم، وذاك الذي أراد أن يرسل إلى من يحب شيئًا، فلم يجد، فبكى وأنشد قائلًا:

أرسلت دمعي للحبيب هديةً ... ونصيب قلبي من هواه ضلوعه

قال اجتهد فيما يلوح بقتلنا قلت ... ابتهج جهد المقل دموعه

ومن لوازم الشبه في الباب يقول الدكتور محمد المختار الشنقيطي: (وهذا من معجزاته ـصلوات الله وسلامه عليهـ وإذا كان الجذع يحنُّ إليه ـعليه الصلاة والسلامـ وتكمن المحبة حتى من الجذع؛ فكيف بمن

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر [كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم:٣٣٩٠]، وعن جابر [في الموضع السابق رقم: ٣٣٩٢]، وأخرجه الترمذي عن ابن عمر [كتاب الجمعة، باب ما جاء في الخطبة على المنبر، رقم: ٥٠٥]، ثم قال: وفي الباب عن أنس وجابر وسهل بن سعد وأبي بن كعب وابن عباس وأم سلمة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شرفه الله باتباعه، وشرفه الله ﷻ بهذا الخير الذي أجراه الله على يديه ﷺ إلى يوم الدين؛ فإنه أولى بالمحبة، والحنين إلى سنته ومتابعته ولزوم طريقته ومنهجه، فحن الجذع؛ لأن كل شيء من مخلوقات الله الجامدة والنباتات يريد طاعة الله ﷻ وهذا الجذع مع كونه جمادًا لكن الله ﷻ جعل فيه هذا، أنطقه الله الذي أنطق كل شيء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثامنة عشرة**: الفرق بين التمثيل والقياس.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (المثل في الأصل هو الشبيه، وهو نوعان؛ لأن القضية المعينة إما أن تكون شبهًا معينًا، أو عامًّا كليًّا؛ فإن القضايا الكلية التي تعلم وتقال هي مطابقة مماثلة لكل ما يندرج فيها، وهذا يسمى قياسًا في لغة السلف واصطلاح المنطقيين، وتمثيل الشيء المعين بشيء معين هو أيضًا يسمى قياسًا في لغة السلف واصطلاح الفقهاء، وهو الذي يسمى قياس التمثيل.

ثم من متأخري العلماء ـكالغزالي وغيرهـ من ادعى أن حقيقة القياس إنما يقال على هذا، وما يسميه تأليف القضايا الكلية قياسًا فمجاز من جهة أنه لم يشبه فيه شيء بشيء وإنما يلزم من عموم الحكم تساوي أفراده فيه ومنهم من عكس كأبي محمد بن حزم فإنه زعم أن لفظ القياس إنما ينبغي أن يكون في تلك الأمور العامة، وهو القياس الصحيح.

والصواب ما عليه السلف من اللغة الموافقة لما في القرآن كما سأذكره: أن كليهما قياس وتمثيل واعتبار، وهو في قياس التمثيل ظاهر، وأما قياس التكليل والشمول فلأنه يقاس كل واحد من الأفراد بذلك المقياس العام الثابت في العلم والقول وهو الأصل كما يقاس الواحد بالأصل الذي يشبهه فالأصل فيهما هو المثل والقياس هو ضرب المثل وأصله ـوالله أعلمـ تقديره فضرب المثل للشيء تقديره له كما أن القياس أصله تقدير الشيء بالشيء ومنه ضرب الدرهم وهو تقديره وضرب الجزية والخراج وهو تقديرهما والضريبة المقدرة والضرب في الأرض

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأنه يقدر أثر الماشي بقدره وكذلك الضرب بالعصا لأنه تقدير الألم بالآلة وهو جمعه وتأليفه وتقديره كما أن الضريبة هي المال المجموع والضريبة الخلق وضرب الدرهم جمع فضة مؤلفة مقدرة وضرب الجزية والخراج إذا فرضه وقدره على مر السنين والضرب في الأرض الحركات المقدرة المجموعة إلى غاية محدودة ومنه تضريب الثوب المحشو وهو تأليف خلله طرائق طرائق؛ ولهذا يسمون الصورة القياسية الضرب كما يقال للنوع الواحد ضرب لتألفه واتفاقه وضرب المثل لما كان جمعا بين علمين يطلب منهما علم ثالث كان بمنزلة ضراب الفحل الذي يتولد عنه الولد ولهذا يقسمون الضرب إلى ناتج وعقيم كما ينقسم ضرب الفحل للأنثى إلى ناتج وعقيم وكل واحد من نوعي ضرب المثل ـوهو القياسـ تارة يراد به التصوير وتفهيم المعنى، وتارة يراد به الدلالة على ثبوته والتصديق به؛ فقياس تصور وقياس تصديق فتدبر هذا، وكثيرًا ما يقصد كلاهما، فإن ضرب المثل يوضح صورة المقصود وحكمه.

* **وضرب الأمثال في المعاني نوعان هما نوعا القياس:**

أحدهما: الأمثال المعينة التي يقاس فيها الفرع بأصل معين موجود أو مقدر، وهي في القرآن بضع وأربعون مثلًا، كقوله: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة: ١٧] إلى آخره، وقوله: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ [البقرة:٢٦٤]،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

فإن التمثيل بين الموصوفين اللذين يذكرهم من المنافقين والمنفقين المخلصين منهم والمرائين وبين ما يذكره سبحانه من تلك الأمثال هو من جنس قياس التمثيل الذي يقال فيه: مثل الذي يقتل بكودين القصار كمثل الذي يقتل بالسيف، ومثل الهرة تقع في الزيت كمثل الفأرة تقع في السمن ونحو ذلك؛ ومبناه على الجمع بينهما؛ والفرق في الصفات المعتبرة في الحكم المقصود إثباته أو نفيه وقوله: مثله كمثل كذا. تشبيه للمثل العلمي بالمثل العلمي لأنه هو الذي بتوسطه يحصل القياس فإن المعتبر ينظر في أحدهما فيتمثل في علمه وينظر في الآخر فيتمثل في علمه ثم يعتبر أحد المثلين بالآخر فيجدهما سواء فيعلم أنهما سواء في أنفسهما لاستوائهما في العلم ولا يمكن اعتبار أحدهما بالآخر في نفسه حتى يتمثل كل منهما في العلم فإن الحكم على الشيء فرع على تصوره)[1].

*** ويزيد تلميذه ابن القيم ـرحمه الله تعالىـ ذلك إيضاحًا فيقول:**

ولكن أين في الأمثال التي ضربها الله ورسوله على هذا الوجه فهمنا أن الصداق لا يكون أقل من ثلاثة دراهم أو عشرة قياسا وتمثيلا على أقل ما يقطع فيه السارق هذا بالألغاز والأحاجي أشبه منه بالأمثال المضروبة للفهم كما قال إمام الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في جامعه الصحيح: [باب من شبه أصلا معلوما بأصل مبين قد بين الله حكمهما

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٥٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليفهم السامع] فنحن لا ننكر هذه الأمثال التي ضربها الله ورسوله ولا نجهل ما أريد بها وإنما ننكر أن يستفاد وجوب الدم على من قطع من جسده أو رأسه ثلاث شعرات أو أربع من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] وأن الآية تدل على ذلك وأن قوله ﷺ في صدقة الفطر: «صاع من تمر أو صاع من شعير أو صاع من أقط أو صاع من بر أو صاع من زبيب» يفهم منه أنه لو أعطى صاعًا من إهليج جاز، وأنه يدل على ذلك بطريق التمثيل والاعتبار، وأن قوله ﷺ: «الولد للفراش» يستفاد منه ومن دلالته أنه لو قال له الولي بحضرة الحاكم: زوجتك ابنتي. وهو بأقصى الشرق وهي بأقصى الغرب فقال قبلت هذا التزويج وهي طالق ثلاثًا، ثم جاءت بعد ذلك بولد لأكثر من ستة أشهر أنه ابنه وقد صارت فراشا بمجرد قوله: قبلت هذا التزويج. ومع هذا لو كانت له سرية يطؤها ليلًا ونهارًا لم تكن فراشًا له، ولو أتت بولد لم يلحقه نسبه إلا أن يدعيه ويستلحقه، فإن لم يستلحقه فليس بولده، وأين يفهم من قوله ﷺ: «إن في قتل الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل». أنه لو ضربه بحجر المنجنيق أو بكور الحداد أو بمزراب الحديد العظام حتى خلط دماغه بلحمه وعظمه أن هذا خطأ شبه عمد لا يوجب قودًا.

وأين يفهم من قوله ﷺ: «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن يكن له مخرج فخلوا سبيله؛ فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير له من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن يخطئ في العقوبة». أن من عقد على أمه أو ابنته أو أخته ووطئها فلا حد عليه وأن هذا مفهوم من قوله: «ادرءوا الحدود بالشبهات». فهذا في معنى الشبه التي تدرأ بها الحدود، وهي الشبه في المحل أو في الفاعل أو في الاعتقاد، ولو عرض هذا على فهم من فرض من العالمين لم يفهمه من هذا اللفظ بوجه من الوجوه، وأن من يطأ خالته أو عمته بملك اليمين فلا حد عليه مع علمه بأنها خالته أو عمته، وتحريم الله لذلك ويفهم هذا من: «ادرءوا الحدود بالشبهات». وأضعاف أضعاف هذا مما لا يكاد ينحصر.

فهذا التمثيل والتشبيه هو الذي ننكره وننكر أن يكون في كلام الله ورسوله دلالة على فهمه بوجه ما.

قالوا: ومن أين يفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل: ٦٦] ومن قوله: ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ [الحشر:٢] تحريم بيع الكشك باللبن وبيع الخل بالعنب ونحو ذلك؟!!

قالوا: وقد قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:١٠] ولم يقل: (إلى قياساتكم وآرائكم) ولم يجعل الله آراء الرجال وأقيستها حاكمة بين الأمة أبدًا.

وقالوا: وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] فإنما منعهم من الخيرة عند حكمه وحكم رسوله، لا عند آراء الرجال وأقيستهم وظنونهم، وقد أمر سبحانه رسوله باتباع ما أوحاه إليه خاصة، وقال ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِلَيَّ ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقال: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ﴾ [الشورى:٢١] قالوا: فدل هذا النص على أن ما لم يأذن به الله من الدين فهو شرع غيره الباطل.

قالوا: وقد أخبر النبي ﷺ عن ربه ـتبارك وتعالىـ أن كل ما سكت عن إيجابه أو تحريمه فهو عفو عفا عنه لعباده يباح إباحة العفو؛ فلا يجوز تحريمه ولا إيجابه قياسًا على ما أوجبه أو حرمه بجامع بينهما؛ فإن ذلك يستلزم رفع هذا القسم بالكلية وإلغاءه؛ إذ المسكوت عنه لا بد أن يكون بينه وبين المحرم شبه ووصف جامع أو بينه وبين الواجب؛ فلو جاز إلحاقه به لم يكن هناك قسم قد عفي عنه، ولم يكن ما سكت عنه قد عفا عنه بل يكون ما سكت عنه قد حرمه قياسًا على ما حرمه وهذا لا سبيل إلى دفعه، وحينئذ فيكون تحريم ما سكت عنه تبديلًا لحكمه، وقد ذم تعالى من بدل غير القول الذي أمر به فمن بدل غير الحكم الذي شرع له فهو أولى بالذم، وقد قال النبي ﷺ: «إن من أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم على الناس من أجل مسألته». فإذا كان هذا فيمن تسبب إلى تحريم الشارع صريحا بمسألته عن حكم ما سكت عنه فكيف بمن حرم المسكوت عنه بقياسه وبرأيه؟[1].

❁ ❁ ❁

(١) إعلام الموقعين (١/ ٢٨٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة التاسعة عشرة**: فائدة بلاغية.

قال الجُرْجاني رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا قول النبي ﷺ: «مَثَلُ المؤمِن كمثل النَّخلة أو مثل الخامة». لا تستطيع أن تتعاطى الاستعارة في شيء منه فتقول: رأيت نخلة أو خامة على معنى رأيت مؤمنًا، إن من رام مثل هذا كان كما قال صاحب الكتاب: ملغزا تاركًا لكلام الناس الذي يسبق إلى أفئدتهم، وقد قدمت طرفًا من هذا الفصل فيما مضى، ولكنني أعدته هاهنا لاتصاله بما أريد ذكره.

فقد ظهر أنه ليس كل شيء يجيء فيه التشبيه الصريح بذكر الكاف ونحوها، يستقيم نقل الكلام فيه إلى طريقة الاستعارة، وإسقاط ذكر المشبه جملة، والاقتصار على المشبه به، وبقي أن نتعرف الحكم في الحالة الأخرى، وهي التي يكون كل واحد من المشبه والمشبه به مذكورًا فيه، نحو زيد أسد ووجدته أسدًا، هل تساوق صريح التشبيه حتى يجوز في كل شيئين قصد تشبيه أحدهما بالآخر أن تحذف الكاف ونحوها من الثاني، وتجعله خبرا عن الأول أو بمنزلة الخبر؟ والقول في ذلك أن التشبيه إذا كان صريحا بالكاف، ومثل، كان الأعرف الأشهر في المشبه به أن يكون معرفة، كقولك: هو كالأسد وهو كالشمس وهو كالبحر وكليث العرين وكالصبح وكالنجم وما شاكل ذلك، ولا يكاد يجيء نكرة مجيئا يرتضى نحو هو كأسد وكبحر وكغيث.

إلا أن يخصص بصفة نحو كبحر زاخر، فإذا جعلت الاسم المجرور بالكاف معربًا بالإعراب الذي يستحقه الخبر من الرفع أو النصب، كان

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلا الأمرين ـالتعريف والتنكيرـ فيه حسنًا جميلًا، تقول: زيد الأسد والشمس والبحر، وزيد أسد وشمس وبدر وبحر.

وإذ قد عرفت هذا فارجع إلى نحو (فإنك كالليل الذي هو مدركي) بق إلى أفئدتهم، وقد قدمت طرفا من هذا الفصل فيما مضى، ولكنني أعدته هاهنا لاتصاله بما أريد ذكره. فقد ظهر أنه ليس كل شيء يجيء فيه التشبيه الصريح بذكر الكاف ونحوها، يستقيم نقل الكلام فيه إلى طريقة الاستعارة، وإسقاط ذكر المشبه جملة، والاقتصار على المشبه به، وبقي أن نتعرف الحكم في الحالة الأخرى، وهي التي يكون كل واحد من المشبه والمشبه به مذكورا فيه، نحو زيد أسد ووجدته أسدا، هل تساوق صريح التشبيه حتى يجوز في كل شيئين قصد تشبيه أحدهما بالآخر أن تحذف الكاف ونحوها من الثاني، وتجعله خبرا عن الأول أو بمنزلة الخبر؟ والقول في ذلك أن التشبيه إذا كان صريحا بالكاف، ومثل، كان الأعرف الأشهر في المشبه به أن يكون معرفة، كقولك: هو كالأسد وهو كالشمس وهو كالبحر وكليث العرين وكالصبح ...[1].

❁ ❁ ❁

(١) أسرار البلاغة للجرجاني (٢٤٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة العشرون**: حسن أدب الأصاغر في حضرة الأكابر.

من عظيم الفوائد المستخرجة من الحديث توقير الكبير ومعرفة الفضل لأهله، وعدم التقدم بين من عُرفوا بالعلم بما ينتقص من حقهم وهيبتهم؛ فالأدب عند الأكابر وفي مجالسة السادات منهم يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا والخير في الأولى والعقبى، ولقد تعلم عبد الله وتربى في مدرسة النبوة، فاستضاء بهذا النور، وارتوى من هذا النبع الذي هداه الله به إلى أحسن الأخلاق وأقومها.

قال ابن عمر لما علم الجواب ورأى نفسه أصغر الحاضرين: «فاستحييت».

وفى رواية قال: «ثم التفت فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكت».

وفى رواية ثالثة: «وفى القوم أبو بكر وعمر».

ورابعة عند ابن حبان: «فأردت أن أقول: هي النخلة، فمنعني مكان أبي».

ولو أنه أجاب ما كان لأحد أن يلومه؛ لأنه من جملة الحاضرين الذين توجه المثل والسؤال إليهم.

قال ابن بطال: (ولهذا المعنى قال ﷺ: « كبر كبر »[1]. فأمر أن يبدأ

---

(١) أخرجه أحمد (١٦١٣٥)، والبخاري (٦٧٦٩)، ومسلم (١٦٦٩)، وأبو داود (٤٥٢٠) وفى الحديث: أن عبد الله بن سهل ومحيصة خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم فأخبر محيصة أن عبد الله قتل وطرح في فقير أو عين فأتى يهود فقال: أنتم والله قتلتموه. قالوا: ما قتلناه والله. ثم أقبل حتى قدم على قومه فذكر لهم فأقبل هو وأخوه حويصة وهو أكبر منه وعبد الرحمن بن سهل فذهب ليتكلم وهو الذيكان بخيبر فقال النبي ﷺ لمحيصة: «كبر كبر» يريد السن فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأكبر بالكلام، فكان ذلك سنة، إلا أنه دل حديث ابن عمر أن معنى ذلك ليس على العموم، وأنه إنما ينبغي أن يبدأ بالأكبر فيما يستوي فيه علم الكبير والصغير، فأما إذا علم الصغير ما يجهل الكبير؛ فإنه ينبغي لمن كان عنده علم أن يذكره وينزع به وإن كان صغيرًا، ولا يعد ذلك منه سوء أدب، ولا تنقصًا لحق الكبير في التقدم عليه؛ لأن النبي ﷺ حين سل أصحابه عن الشجرة التي شبهها بالمؤمن، وفيهم ابن عمر وغيره ممن كان دونه في السن لم يوقف الجواب على الكبار منهم خاصة، وإنما سأل دونه في السن لم يوقف الجواب على الكبار منهم خاصة، وإنما سأل جماعتهم ليجيب كل بما علم، وعلى ذلك دل قول عمر لابنه: لو كنت قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا).

وقد تواتر عن رسول الله النبي ﷺ الحث على إكرام الكبير، وتوقيره، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي موسى ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم»[١] كما أخرج الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عن أنس ﷺ قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقِّر كبيرنا»[٢].

وذكر بعض العلماء أن مقتضى هذه الصيغة، وهي قول الشارع ـعليه الصلاة والسلامـ: (ليس منا) التحريم، ومن العلماء من جعلها كبيرة.

وأخرج الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن أنس ﷺ أنه قال: جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله

(١) صحيح البخاري (٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود والبخاري في الأدب من حديث عبد الله بن عمرو؛ بسند حسن .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال رسول الله لأبي بكر: «لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه»[(١)].

وذكر ابن الجوزي عن ابن سعيد الأشج أنه قال: حدثنا ابن إدريس، عن ليث، قال: كنت أمشي مع طلحة بن مصرف فقال: لو كنت أسن مني بليلة ما تقدمتك.

وروى الحسن بن منصور قال: كنت مع يحيى وإسحاق بن راهويه يومًا نعود مريضًا فلما حاذينا الباب تأخر إسحاق، وقال ليحيى: تقدم أنت، قال: يا أبا زكريا أنت أكبر مني.

وما زال السلف ـرحمة الله عليهمـ يوصون الأبناء بامتثال ذلك الخلق، والحث على التحلي به، وعدم التفريط فيه؛ فهذا البخاري يروي أن قيس بن عاصم السعدي أوصى بنيه حين حضرته الوفاة وصية طويلة جاء فيها: (وسودوا أكابركم؛ فإنكم إذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة، وإذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس، وزهدوا فيكم).

وامتد ذلك التقدير والتقديم لكبار السن حتى في كتابة الأحاديث وترتيب المسانيد حين تأليف الكتب، فها هو بقيّ بن مخلد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت:٢٧٦هـ) يقول: لما وضعت مسندي جاءني عبيد الله بن يحيى وأخوه إسحاق؛ فقالا: بلغنا أنك وضعت مسنداً قدمت فيه أبا مصعب الزهري ويحيى بن بكير وأخرت أبانا؟فقال: أما تقديمي أبا مصعب؛ فلقول رسول

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٦٠، رقم ١٢٦٥٦)، وابن حبان (١٢/ ٢٨٦، رقم ٥٤٧٢)، والحاكم (٣/ ٢٧٣، رقم ٥٠٧٠). قال الهيثمي (٥/ ١٦٠): رواه أحمد، وأبو يعلى بنحوه، والبزار باختصار، وفى الصحيح طرف منه، ورجال أحمد رجال الصحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله (قدموا قريشاً ولا تقدموها) وأما تقديمي ابن بكير؛ فلقول رسول الله: (كبّر كبّر)، يريد السنة ومع أنه سمع [الموطأ] من مالك سبع عشرة مرة، وأبوكما لم يسمعه إلا مرة واحدة، قال: (فخرجا ولم يعودا).

قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: [باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال].

أي هذا باب في بيان إكرام الكبير لما روى الحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا وأخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمر وذكر عبد الرزاق أن في الحديث من تعظيم جلال الله أن يوقَّر ذا الشيبة في الإسلام قوله ويبدأ الأكبر بالكلام لأنه من آداب الإسلام ومحاسن الأخلاق ولكن ليس هذا على العموم لأنه إنما يبدأ الأكبر به فيما إذا استوى فيه علم الصغير والكبير وإذا علم الصغير ما يجهل الكبير فالصغير يقدم حينئذ ولا يكون هذا سوء أدب ولا نقص في حق الكبير قوله والسؤال أي ويبدأ الأكبر أيضا بالسؤال وهذا أيضا إذا استوى الكبير مع الصغير وإذا كان الصغير أعلم يقدم على الكبير وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو صبي وهناك مشيخة[1].

*** فائدة:**

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنه لا يكره أن يجيب بما يعرف في حضرة أبيه، وإن لم يعرفه الأب، وليس في ذلك إساءة أدب).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في الطب النبوي**: (وفيه ما كان عليه الصحابة من

(١) عمدة القاري (٢/ ٤٠٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحياء من أكابرهم وإجلالهم، وإمساكهم عن الكلام بين أيديهم).أ هـ.

ومن تقديم الأسن في وجوه الإكرام عامة: أن النبي ﷺ قال: «أمرني جبريل أن أقدم الأكابر»[(١)].

قال عبد الله بن ناصر بن عبد الله السدحان في كتابه [العقوق]: (ولقد تطبّع أفراد المجتمع المسلم بذلك الخلق وتوارثوا توقير الكبير واحترامه وتقديره انقيادًا لتعاليم دينهم، واتباعًا لسنة رسولهم؛ فكان الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ من أشد الناس توقيرًا لإخوانه، ولمن هو أسن منه، فقد روى عنه المروزي أنه جاءه أبو همام راكبًا على حماره، فأخذ له الإمام أحمد بالركاب. وقال المروزي: رأيته فعل هذا بمن هو أسن منه من الشيوخ).

وها هي كتب التاريخ تسطر بأحرف ساطعة موقف عمر رضي الله عنه مع ذلك الشيخ اليهودي الكبير، فيذكر أبو يوسف في كتابه [الخراج]: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه فقال: من أيّ أهل الكتب أنت؟ قال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر رضي الله عنه بيده فذهب به إلى منزله، فرضخ له ـأي: أعطاهـ من المنزل بشيء، ثمَّ أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته ثمَّ نخذله عند الهرم، ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ [التوبة:٦٠] فالفقراء هم المسلمون والمساكين من أهل

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٢٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٢)، بلفظ: «أَمَرَنِي جِبْرِيلُ أَنْ أُكَبِّرَ». والحديث صحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٧٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه).

وهذا خالد بن الوليد من بعد عمر رضي الله عنهما يمارس دوره في رعاية المسنِّين ويعطيهم حقهم من الرعاية والعناية في المجتمع، حتى وإن لم يكونوا مسلمين؛ فلقد صالح أهل الحيرة، وجاء في صلحه معهم أنه قال: (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ـ طرحت جزيته، وعيل من بيت المسلمين).أ هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الواحدة والعشرون: تشبيه الثواب بثمرة النخل.**

هذا وجه آخر للتمثيل بين المؤمن والنخلة يرويه ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع، قيل يا رسول الله وما خُرفة الجنة؟ قال جناها»[(١)].

قال ابن الأنباري رَحِمَهُ اللَّهُ: يريد في اجتناء ثمر الجنة، من قولهم: خرفت النخلة أخرفها، فشبه النبي ﷺ ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه المخترف من الثمار[(٢)].

والخرفة بالضم، اسم لما يخترف من النخيل حين يدرك، يعني أن العائد للمريض فيما يجوز من الثواب كأنه على نخيل الجنة يجني منها ثمارها.

قال ابن سيده رَحِمَهُ اللَّهُ **في المخصص**: (الاخترف ـ لقط الثمر بسرا كان أو رطباً ويقال أتلنا بخرفة طيبة ـأي: برطب اخترافه الذي يلتقط والمخرف ـ الزبيل الذي يخترف فيه وما أشبهه وإذا اشترى الرجل نخلتين أو ثلاثاً إلى العشر يأكلهن قيل قد اشترى مخرفاً جيداً [وقال] الأصمعي: المخرف ـجنيـ النخل وفي الحديث «عائد المريض على مخارف الجنة حتى يرجع»)[(٣)].

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٩، رقم ٢٥٦٨).
(٢) شرح السنة (٥/ ٢١٦).
(٣) المخصص (٢/ ٣٩٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثانية والعشرون: في الحديث رد على المشبهة والمعطلة بأن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات.**

هذه قاعدة مهمة يُضبط بها كثير من المسائل والفروع التي انزلق بها كثير من الناس في باب صفات الله ـتعالىـ وهى: أن الاشتراك في الاسم لا يستلزم الاشتراك في المسمى، والاشتراك في الوصف لا يلزم منه تماثل الموصوفين فإذا قلت: الله الرحيم، أو الله الكريم، وسمي أحد الناس كريماً، فهذا الاشتراك هو بالنسبة للاسم والصفة، وهو لا يدل على الاستواء، فكرم الله ـجل وعلاـ فيه الكمال المطلق، وكرم المخلوق ناقص ولو كان كرمه ككرم حاتم الطائي. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

والقول بتشبيه الله تعالى بخلقه قد اندثر القائلون به أو كادوا، إذ قليل العقل يكفي لمعرفة بطلانه.

وأما تعطيل صفات الله به فقد ذهب كثير من السلف إلى أن كل معطل مشبه، ولا يستقيم له التعطيل إلا بعد التشبيه. لأنهم شبهوا أولاً فقالوا: إننا لا نعرف من هذه الصفات إلا ما نعرفه من نفوسنا فصاروا ينفونها لئلا يقعوا في التشبيه إذا أثبتوها، ثم إنهم عطلوه، وألحقوه بالمعدومات أو بالجمادات، فصاروا مشبهين له بالناقصات، فصار التشبيه الأخير أشر من التشبيه الأول؛ لأن المعطل يلزمه أن يكون مشبهاً ولا ينفك عن التشبيه؛ إذ كل معطل مشبه؛ لأنه يشبه بالناقصات أو المعدومات، تعالى الله وتقدس.

قال الشيخ ابن عثيمين في تقريب التدمرية: فصل: الاشتراك في الأسماء

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات:

فصل

واعلم أن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات، كما دل على ذلك السمع، والعقل، والحس.

* **أما السمع**: فقد قال الله عن نفسه: ﴿ إِنَّ اللهَّ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَّ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [النساء: ٥٨]. وقال عن الإنسان: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]. ونفي أن يكون السميع كالسميع والبصير كالبصير فقال:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأثبت لنفسه علماً وللإنسان علماً، فقال عن نفسه: ﴿عَلِمَ اللهُّ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقال عن الإنسان: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لهَُمْ وَلا هُمْ يحَِلُّونَ لهَُنّ﴾ [الممتحنة:١٠]. وليس علم الإنسان كعلم الله تعالى، فقد قال الله عن علمه: ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨] وقال: ﴿إِنَّ اللهَّ لا يخَْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]. وقال عن علم الإنسان: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

* **وأما العقل**: فمن المعلوم بالعقل أن المعاني والأوصاف تتقيد وتتميز بحسب ما تضاف إليه، فكما أن الأشياء مختلفة في ذواتها فإنها كذلك مختلفة في صفاتها وفي المعاني المضافة إليها، فإن صفة كل موصوف تناسبه لا يفهم منها ما يقصر عن موصوفها أو يتجاوزه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولهذا نصف الإنسان باللين، والحديد المنصهر باللين، ونعلم أن اللين متفاوت المعنى بحسب ما أضيف إليه.

* **وأما الحس**: فإننا نشاهد للفيل جسماً وقدماً وقوة، وللبعوضة جسماً وقدماً وقوة، ونعلم الفرق بين جسميهما، وقدميهما، وقوتيهما.

فإذا علم أن الاشتراك في الاسم والصفة في المخلوقات لا يستلزم التماثل في الحقيقة مع كون كل منها مخلوقاً ممكناً، فانتفاء التلازم في ذلك بين الخالق والمخلوق أولى وأجلى، بل التماثل في ذلك بين الخالق والمخلوق ممتنع غاية الامتناع.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثالثة والعشرون: أوجه ضعيفة في تأويل الحديث.**

هذه بعض الأوجه الضعيفة في تشبيه النخلة بالمؤمن، ساقها البعض لكن أنكرها أهل العلم عند تناولهم لشرح الحديث.

* أن النخلة إذا قطعت رأسها ماتت بخلاف باقي الشجر.
* وقال بعضهم لأنها لا تحمل حتى تلقح.
* وقال بعضهم لأنها تموت إذا مزقت أو فسد ما هو كالقلب لها.
* وقال بعضهم لأن لطلعها رائحة المني.
* وقال بعضهم لأنها تعشق كالإنسان.
* أو لأنها تموت إذا غرقت.
* لأنها تشرب من أعلاها.

قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ **في العمدة:** (وقال بعضهم وجه التشبيه أن النخلة إذا قطعت رأسها ماتت بخلاف باقي الشجر وقال بعضهم لأنها لا تحمل حتى تلقح وقال بعضهم لأنها تموت إذا مزقت أو فسد ما هو كالقلب لها وقال بعضهم لأن لطلعها رائحة المني وقال بعضهم لأنها تعشق كالإنسان وهذه الأقوال كلها ضعيفة من حيث إن التشبيه إنما وقع بالمسلم وهذه المعاني تشمل المسلم والكافر)[1].

وأنكر ذلك أيضا الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: وأما من زعم أن موقع التشبيه بين المسلم والنخلة من جهة كون النخلة إذا قطع رأسها ماتت، أو لأنها لا تحمل حتى تلقح، أو لأنها تموت إذا غرقت، أو لأن لطلعها رائحة مني

(١) عمدة القاري (٢/ ٤٠٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآدمي، أو لأنها تعشق، أو لأنها تشرب من أعلاها، فكلها أوجه ضعيفة؛ لأن جميع ذلك من المشابهات مشترك في الآدميين لا يختص بالمسلم، وأضعف من ذلك قول من زعم أن ذلك لكونها خلقت من فضلة طين آدم فإن الحديث في ذلك لم يثبت، والله أعلم[١].

(١) فتح الباري (١/ ٩٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الرابعة والعشرون** (تتمة للفائدة السابقة): **تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون نظيره من جميع الوجوه.**

قال العلامة/ عطية سالم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس من الضروري أن يشبه المشبهُ المشبَهَ به في كل الصور، فقد يقال: فلان كالنخلة، والنخلة طويلة، ولها جذع خشن، وعلى رأسها الجريد، وتثمر البلح ثم الرطب، فهل هو كالنخلة بهذه الصفات كلها، أو أنه كالنخلة في بعض صفاتها؟! فحين نقول: فلان كالنخلة، أي: في الطول، ولا يعني ذلك المشابهة في الثمرة والجريد والجذع الخشن، بل يكفي أن يشبهها في صفة واحدة.

قال أبو يعقوب السكاكى: لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقا من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس.

فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولا وقصراً، والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة إنساناً وفرساً وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعين يأبى التعدد فيبطل التشبيه لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر والشيء لا يتصف بنفسه كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما لرجوعه على طلب الوصف حيث لا وصف وأن التشبيه لا يصار إليه إلا لغرض وأن حاله تتفاوت بين القرب والبعد وبين القبول والرد، هذا القدر المجمل لا يحوج على دقيق نظر إنما المحوج هو تفصيل الكلام في مضمونه وهو طرفا التشبيه ووجه التشبيه والغرض في

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التشبيه وأحوال التشبيه ككونه قريباً أو غريباً مقبولاً أو مردوداً فظهر من هذا أن لا بد من النظر في هذه المطالب الأربعة فلننوعه أربعة أنواع)[١].

(١) مفتاح العلوم (٣٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الخامسة والعشرون: العلم مواهب، ومواهبه لا تختص بكبر سنٍّ أو حسب.**

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **في الفتح:** (وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه؛ لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء).

قال محمد بن محمد المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: (العلم مواهب من الله يؤتيه من يشاء ينال بالتقوى والعمل لا بالحسب وقال أبو الحارث سمعت أبا عبد الله يقول إنما العلم مواهب يؤتيه الله من أحب من خلقه وليس يناله أحد بالحسب ولو كان بالحسب كان أولى الناس به أهل بيت رسول الله ﷺ وقال أحمد بن أبي الحواري قال لي أحمد بن حنبل يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي سليمان الداراني، فقال أحمد: سبحان الله بلا عجب، فقال أحمد بن حنبل ـ سبحان الله ـ وطولها بلا عجب، فقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول: إذا عقدت النفوس على ترك الآثام، جالت في الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علما فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وقعد ثلاثا وقال سمعت في الإسلام بحكاية أعجب من هذه إلي)[1].

بل كان أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجمع كبار المهاجرين والأنصار في مجلسه ليشاورهم في أحوال المسلمين، وربما يأتي بعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فيقول له بعض المهاجرين، يا أمير المؤمنين: إنك تأتي معنا

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٥٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بـ عبد الله بن عباس، وهو غلام صغير، كلنا لنا أولاد في مثل سنه، فقال: إنه فقيه عالم ثم قال لهم: يا معشر المهاجرين! أرأيتم قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١_٣] ما تقولون في هذه السورة؟ فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ إذا جاء نصر الله والفتح أن يسبحه ويحمده ويستغفره، لا نعلم إلا ذلك، قال: فما تقول يا ابن عباس؟ قال: يا أمير المؤمنين هذا أجل رسول الله ﷺ، أخبره به ربه قال عمر: والله ما أعلم منها إلا ما تعلم يا ابن عباس!!.

فعلم الصحابة ﷺ، لماذا كان عمر يقرب ابن عباس ﷺ فكانت هذه السورة إيذانا بقرب أجل رسول الله ﷺ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السادسة والعشرون**: **الشوكة من النخلة موضع الغلظة من المؤمن على المخالفين لأمر الله وهدى رسوله ﷺ.**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (حتى شوكها وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله والغضب إذا انتهكت محارم الله فهو لله وبالله ومع الله قد صحب الله بلا خلق وصحب الناس بلا نفس)[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد طابق بعض الناس هذه المنافع وصفات المسلم وجعل لكل منفعة منها صفة في المسلم تقابلها فلما جاء إلى الشوك الذي في النخلة جعل بإزائه من المسلم صفة الحدة على أعداء الله وأهل الفجور فيكون عليهم في الشدة والغلظة بمنزلة الشوك وللمؤمنين والمتقين بمنزلة الرطب حلاوة ولينا أشداء على الكفار رحماء بينهم)[٢].

فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن،فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم[٣].

ويفهم من قوله تعالى ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] أن المؤمن يجب عليه أن لا يلين إلا في الوقت الذي يناسب اللين فيه، وألا يشتد إلا في الوقت الذي يناسب الشدة فيه، لأن اللين في محل الشدة

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٩٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢٣٢).

(٣) تيسير الكريم المنان (١/ ٢٣٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضعف، وخور، والشدة في محل اللين حمق، وخرق، وقد قال أبو الطيب المتنبي:

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل[١]

ثم ثنى بالثناء على أصحابه ﷺ فقال: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] كما قال ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار، رحيما برا بالأخيار، غضوبا عبوسا في وجه الكافر ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] وقال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا». وشبك ﷺ بين أصابعه، كلا الحديثين في الصحيح[٢].

(١) أضواء البيان (١/ ٤١٦).

(٢) تفسير القران العظيم (٤/ ٢٤٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السابعة والعشرون: اختلاف الظواهر سببٌ لاختلاف البواطن والعكس.**

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما في الشجرة التي يضرب بها المثل لكلمة الإيمان. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [الرعد:٢٤، ٢٥] وهي كلمة التوحيد والشجرة كلما قوي أصلها وعرق وروي قويت فرعها. وفروعها أيضا إذا اغتذت بالمطر والريح أثر ذلك في أصلها. وكذلك «الإيمان» في القلب و«الإسلام» علانية ولما كانت الأقوال والأعمال الظاهرة لازمة ومستلزمة للأقوال والأعمال الباطنة كان يستدل بها عليها)[١].

وإذا قام بالقلب التصديق به والمحبة له لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه ودليله ومعلولة كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضا تأثير فيما في القلب فكل منهما يؤثر في الآخر لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له والفرع يستمد من أصله والأصل يثبت ويقوى بفرعه[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه الاستقامة:** (وهذا الحسن والجمال الذي يكون عن الأعمال الصالحة في القلب يسري إلى الوجه والقبح والشين الذي

---

(١) الإيمان (٨٨).

(٢) .....

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يكون عن الأعمال الفاسدة في القلب يسري إلى الوجه كما تقدم ثم إن ذلك يقوى بقوة الأعمال الصالحة والأعمال الفاسدة فكلما كثر البر والتقوى قوى الحسن والجمال وكلما قوى الإثم والعدوان قوى القبح والشين حتى ينسخ ذلك ما كان للصورة من حسن وقبح فكم ممن لم تكن صورته حسنة ولكن من الأعمال الصالحة ما عظم به جماله وبهاؤه حتى ظهر ذلك على صورته.

ولهذا ظهر ذلك ظهورا بينا عند الإصرار على القبائح في آخر العمر عند قرب الموت فنرى وجوه أهل السنة والطاعة كلما كبروا ازداد حسنها وبهاؤها حتى يكون أحدهم في كبره أحسن وأجمل منه في صغره ونجد وجوه أهل البدعة والمعصية كلما كبروا عظم قبحها وشينها حتى لا يستطيع النظر إليها من كان منبهرا بها في حال الصغر لجمال صورتها.

وهذا ظاهر لكل احد فيمن يعظم بدعته وفجوره مثل الرافضة وأهل المظالم والفواحش من الترك ونحوهم فإن الرافضي كلما كبر قبح وجهه وعظم شينه حتى يقوى شبهه بالخنزير وربما مسخ خنزيرا وقردا كما قد تواتر ذلك عنهم ونجد المردان من الترك ونحوهم قد يكون أحدهم في صغره من أحسن الناس صورة ثم إن الذين يكثرون الفاحشة تجدهم في الكبر أقبح الناس وجوها حتى إن الصنف الذي يكثر ذلك فيهم من الترك ونحوهم يكون أحدهم أحسن الناس صورة في صغره وأقبح الناس صورة في كبره وليس سبب ذلك أمرا يعود إلى طبيعة الجسم بل العادة المستقيمة تناسب الأمر في ذلك بل سببه ما يغلب على احدهم من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفاحشة والظلم فيكون مختشاً ولوطياً وظالماً وعوناً للظلمة فيكسوه ذلك قبح الوجه وشينه[١].

(١) الاستقامة (١/ ٢٦٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثامنة والعشرون**: فائدة للقاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ **(الأحوال العشرة)**.

قال القاضي عياض -رحمه الله تعالى- في سبب تشبيه النخلة بالمؤمن: (وقيل: لأَن أحوالها من حين تطلع إلى تمام ثمرها عشرة، كما أن أحوال المؤمن من التوبة إلى المعرفة عشرة: التوبة، ثم الصلاح، ثم الاجتهاد، ثم الخوف، ثم الرجاء، ثم الإرادة، ثم الاستقامة، ثم المحبة، ثم الرضي، ثم المعرفة.

وثمر النخل عشرة: طلع، ثم إغريض، ثم بلح، ثم سياب، ثم جرال، ثم بسر، ثم زهو، ثم ثعد، ثم رطب، ثم تمر)[1].

❁ ❁ ❁

(١) إكمال المعلم (٨/ ١٧٣). وقال الجوهري في الصحاح: (الأغريض): ما يشق عنه الطلع.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة التاسعة والعشرون: أطيب الثمار (صنو) أطيب الكلام.**

كما تتنوع ثمرات النخيل في الفضل والطعم واللون كذلك يتنوع الكلام ويتفاضل فأعظمه وأنفعه ما تجدد به الإيمان في القلوب فأحياها بعد موت، وسقاها بعد ظمأ و(ليس في الكلام شيء أحسن ولا أطيب من كلمة الإخلاص، فكذلك ليس في الثمار شيء أحلى ولا أطيب من الرطبة، وهي النخلة، أصلها ثابت في الأرض، وفرعها، يعني رأسها، في السماء، هكذا الإخلاص ينبت في قلب المؤمن، كما تنبت النخلة في الأرض، إذا تكلم بها المؤمن، فإنها تصعد إلى السماء، كما أن النخلة رأسها في السماء، كما أن النخلة لها فضل على الشجر في الطول، والطيب، والحلاوة، فكذلك كلمة الإخلاص لها فضل على سائر الكلام)[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٢٤، ٢٥] فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مرضي لله عَزَّوَجَلَّ ثمرة هذا الكلمة، وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

(١) تفسير مقاتل (٢/ ١٨٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رضي الله عنهما قال: «أصلها ثابت قول لا إله إلا الله في قلب المؤمن وفرعها في السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء».

وقال الربيع بن أنس: «كلمة طيبة هذا مثل الإيمان والإيمان الشجرة الطيبة وأصلها الثابت الذي لا يزول الإخلاص فيه وفرعه في السماء خشية الله» والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوا التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل رفع العمل الصالح حين وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقها ومراعاتها حق رعايتها ...)[1].

(١) الأمثال في القرآن (٢/ ٣٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الثلاثون: أصلها ثابت وفرعها في السماء.

(غرس الله شجرة محبته ومعرفته وتوحيده في قلوب أولياءه).

أخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ، قال: «من يخبرني عن شجرة مثلها مثل المؤمن، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؟» قال عبد الله: فأردت أن أقول: هي النخلة، فمنعني مكان أبي، فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة»، فذكرت ذلك لأبي، فقال: لو قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا، أحسبه قال: حمر النعم[1].

في هذا المعنى ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كلاماً بديعاً يقول:

(أما بعد فإن الله سبحانه غرس شجرة محبته ومعرفته وتوحيده في قلوب من اختارهم لربوبيته واختصهم بنعمته وفضلهم على سائر خليقته فهي كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها فكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت في القلب وفروعها الكلم الطيب والعمل الصالح في السماء فلا تزال هذه الشجرة تخرج ثمرها كل وقت بإذن ربها من طيب القول وصالح العمل ما تقر به عيون صاحب الأصل وعيون حفظته وعيون أهله وأصحابه ومن قرب منه فإن من قرت عينه بالله سبحانه قرت به كل عين وأنس به كل مستوحش وطاب به كل خبيث وفرح به كل حزين وأمن به كل خائف وشهد به كل غائب، وذكرت رؤيته بالله فإذا رؤي ذكر الله فاطمأن قلبه إلى الله وسكنت نفسه

(١) أخرجه ابن حبان (١/ ٤٧٨)؛ صحح إسناده الألباني وشعيب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى الله وخلصت محبته لله وقصر خوفه على الله وجعل رجاءه كله لله فإن سمع سمع بالله وإن أبصر أبصر بالله وإن بطش بطش بالله وإن مشى مشى بالله فبه يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي فإذا أحب فلله وإذا أبغض فلله وإذا أعطى فلله وإذا منع فلله قد اتخذ الله وحده معبوده ومرجوه ومخوفه وغاية قصده ومنتهى طلبه واتخذ رسوله وحده دليله وإمامه وقائده وسائقه فوحد الله بعبادته ومحبته وخوفه ورجائه وإفراد رسوله بمتابعته والاقتداء به والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه وله في كل وقت هجراتان(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فصل: ومنها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مرضي لله عَزَّوَجَلَّ ثمرة هذا الكلمة، وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أصلها ثابت قول لا إله إلا الله في قلب المؤمن، وفرعها في السماء يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء).

وقال الربيع بن أنس: «أصلها ثابت وفرعها في السماء» قال: ذلك

(١) طريق الهجرتين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المؤمن ضرب مثله في الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له (قال: أصلها ثابت) قال: أصل عمله ثابت في الأرض «وفرعها في السماء» قال: ذكره في السماء.

ولا اختلاف بين القولين، فالمقصود بالمثل المؤمن والنخلة مشبهة به وهو مشبه بها وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك ومن قال من السلف: إنها شجرة في الجنة فالنخلة من أشرف أشجار الجنة. وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق ويقتضيه علم الذي تكلم به سبحانه وحكمته، فمن ذلك أن الشجرة لا بد لها من عروق (وساق وفروع) وورق وثمر فكذلك شجرة الإيمان والإسلام ليطابق المشبه المشبه به فعروقها العلم والمعرفة واليقين وساقها الإخلاص وفروعها الأعمال وثمرتها ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدى والدل المرضى فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور فإذا كان العلم صحيحاً مطابقاً لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به، والاعتقاد مطابقا لما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله صلوات الله وسلامه عليهم والإخلاص قائم في القلب والأعمال موافقة للأمر والهدى والدل والسمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ...

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم، ولعلها قطرة من بحر بحسب أذهاننا الواقعة وقلوبنا المخبطة وعلومنا القاصرة وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار وإلا فلو طهرت منا القلوب وصفت الأذهان وزكت النفوس وخلصت الأعمال وتجردت الهمم للتقي عن الله تعالى ورسوله ﷺ لشاهدنا من معاني كلام الله ﷻ وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم وتتلاشى عنده معارف الحق وبهذا يعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم ﷺ وإن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله ومن يختص برحمته.

فصل: ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة فشبهها بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار فلا عرق ثابت ولا فرع عال ولا ثمرة زاكية ولا ظل ولا جني ولا ساق قائم ولا عرق في الأرض ثابت مغدق ولا أعلاها مونق ولا جني لها ولا تعلو بلى تعلى.

وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم وجده كذلك فالخسران كل الخسران الوقوف معه والاشتغال به عن أفضل الكلام وأنفعه، قال الضحاك: ضرب الله مثلا للكافر بشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) يقول: ليس لها أصل ولا فرع وليس لها ثمرة ولا فيها منفعة كذلك الكافر ليس يعمل خيرا ولا يقوله ولا يجعل الله فيه بركة ولا منفعة وقال ابن عباس.

(ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة يعني الكافر اجتثت من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فوق الأرض ما لها من قرار)، يقول: الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان ولا يقبل الله عمل المشرك ولا يصعد إلى الله فليس له أصل ثابت في الأرض ولا فرع في السماء يقول ليس له عمل صالح في السماء ولا في الآخرة.

وقال الربيع بن أنس: (مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض ولا يصعد إلى السماء، وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية إن رجلا لقي رجلا من أهل العلم فقال له: ما تقول في الكلمة الخبيثة؟ قال لا اعلم لها في الأرض مستقرا ولا في السماء مصعدا إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيامة؛ وقوله اجتثت أي استؤصلت من فوق الأرض، ثم أخبر سبحانه عن فصله وعدله في الفريقين أصحاب الكلم الطيب والكلم الخبيث فأخبر أنه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت فأضل هؤلاء بعدله لظلمهم وثبت المؤمنين بفضله لإيمانهم).

وتحت قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[إبراهيم:٢٧] كنز عظيم من وقف عليه لظنته وهو وأحسن استخراجه واقتناءه وأنفق منه فقد غنم ومن حرمه فقد حرم وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله طرفة عين فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه، عبده، ورسوله ﷺ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢] وفي الصحيحين من حديث البجلي قال: «وهو يسألهم ويثبتهم»، وقال تعالى لرسوله ﷺ ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠]. فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت وأصله ومنشأه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد فيهما يثبت الله عبده فكل ما كان أثبت قولا وأحسن فعلا كان أعظم تثبتا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦] فأثبت الناس قلبا أثبتهم قولا والقول الثابت هو القول الحق والصدق وهو ضد القول الباطل الكذب، فالقول نوعان: ثابت له حقيقة وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها فهي أعظم ما يثبت الله بها عباده في الدنيا والآخرة، ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلبا والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلويا وأقلهم ثباتا، وأهل الفراسة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الاختبار وشجاعته ومهابته ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك، ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة، وسئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به فقال: والله ما فهمت منه شيئا إلا أني سمعت لكلامه صولة ليست بصولة مبطل فما منح العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت) ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم ويوم معادهم كما في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ: أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر، وقد جاء هذا مبيناً في أحاديث صحاح فمنها ما في المسند من حديث

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة فقال: «يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه ...»[١] الحديث.

* **فائدة جليلة**:

قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله أصلها ثابت أي في الأرض وفرعها في السماء يعني في العلو فإذا كان أصلها ثابتا أمن الانقطاع لأن الطيب إذا كان في معرض الانقراض حصل بسبب فنائه وزواله الحزن فإذا علم أنه باق عظم الفرح بوجدانه وإذا كان فرعها في السماء دل على كمالها من وجهين الأول ارتفاع أغصانها وقوتها وتصعدها يدل على ثبوت أصلها ورسوخ عروقها الثاني إذا كانت مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الأرض فكانت ثمرتها نقية طاهرة من جميع الشوائب)[٢].

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٠، رقم ٢١٧٠١)، ومسلم (٤/ ٢١٩٩، رقم ٢٨٦٧).

(٢) عمدة القاري (٥/ ١٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الواحدة والثلاثون**: تُأتى أكلها كل حين.

سبق إلقاء الضوء على وجه الشبه بين المؤمن والنخلة من حيث وفرة العطاء وبركته، وأنه لا يعدم الخير منهما في سائر الأوقات.

وهنا يورد أهل العلم قدراً زائداً يتمثل في انتظام مجئ هذا العطاء من حين إلى آخر بتقدير باهر من حكيم عليم لا يتخلف، وهذا حال العبد الصالح يحفظ عهد الله تعالى في عباداته وأوقاته، بل إنه يتحسس مرضاة الله تعالى في التبكير والتعجيل إلى الفرائض والنوافل وكأنه يتمثل في قول نبي الله موسى عليه السلام ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] .

يقول ابن بطال رحمه الله: (﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥] وكذلك المسلم يأتي الخير كل حين من الصلاة، والصوم، وذكر الله تعالى، فكأن الخير لا ينقطع منه، فهو دائم كما تدوم أوراق النخلة فيها، ثم الثمر الكائن منها في أوقاته)[(١)].

وقال الربيع بن أنس: (كل حين أي غدوة وعشية لأن ثمر النخل يؤكل أبدًا ليلاً ونهارًا صيفًا وشتاءً إما تمرًا أو رطبًا أو بسرًا،كذلك عمل المؤمن يصعد أوّل النهار وآخره وبركة إيمانه لا تنقطع أبدًا بل تتصل إليه في كل وقت والاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾[إبراهيم:٢٤] للتقرير وفائدته الإيقاظ له أي ألم تعلم والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أو كل كلمة حسنة كالحمد والاستغفار والتهليل. وعن ابن عباس هي شجرة في الجنة أصلها ثابت في الأرض وأعلاها في السماء كذلك أصل هذه

(١) شرح صحيح البخاري (١/ ١٤١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة راسخ في قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق فإذا تكلم بها عرجت ولا تحجب حتى تنتهي إلى الله تعالى قال ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠] وسقط قوله: باب قوله لغير أبي ذر وله وفرعها الخ وقال بعد قوله ثابت الآية)[١].

ويجمل ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك فيقول: (قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم:٢٤] شهادة أن لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٤] وهو المؤمن، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [إبراهيم:٢٤] يقول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:٢٤] يقول يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء، وهكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد: إن ذلك عبارة عن عمل المؤمن، وقوله الطيب، وعمله الصالح، وإن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء، وهكذا رواه السدي عن مرة عن ابن مسعود قال: هي النخلة، وشعبة عن معاوية بن قرة عن أنس: هي النخلة. وحماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس أن رسول الله ﷺ أتي بقناع بسر فقرأ ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: هي النخلة، وروي من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفا، وكذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وغيرهم)[٢].

❁ ❁ ❁

(١) إرشاد الساري (٧/ ١٨٨).

(٢) تفسير بن كثير (٢/ ٦٤٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثانية والثلاثون: الفهم قدرٌ زائدٌ على العلم يخص الله به من شاء من عباده.**

رحم الله أبا عبد الله البخاري ورضي عنه كم كان فقيها فطنا ذا قريحة ذكية في تراجم الأبواب من كتابه الصحيح، لقد بوّب للحديث في موضع آخر فقال: [باب الفهم في العلم] (وكانت مناسبته للترجمة أن ابن عمر لما ذكر النبي ﷺ المسألة عند إحضار الجمار إليه فهم أن المسؤول عنه النخلة فالفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل، وقد أخرج أحمد في حديث أبي سعيد الآتي في الوفاة النبوية حيث قال النبي ﷺ إن عبدا خيره الله فبكى أبو بكر وقال فديناك بآبائنا فتعجب الناس وكان أبو بكر فهم من المقام أن النبي ﷺ هو المخير فمن ثم قال أبو سعيد فكان أبو بكر أعلمنا به والله الهادي إلى الصواب)[(١)].

(فأراد البخاري هنا أن يثبت بالأحاديث الصحيحة أن الفهم قدر زائد على العلم الذي هو مطلق الإدراك، لأنه قوة ذهنيَّة يتوصل بها إلى استنباط الأشياء الدقيقة التي قد يصل إليها الفهم ولا يصل إليها العلم)[(٢)].

والْفَهْمُ: هيئة للإنسان بها يتحقّق معاني ما يحسن، يقال: فَهِمْتُ كذا، وقوله: ﴿فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ﴾ [الأنبياء:٧٩]، وذلك إمّا بأن جعل الله له من فضل قوّة الفهم ما أدرك به ذلك، وإمّا بأن ألقى ذلك في روعه، أو بأن أوحى إليه وخصّه به، وأَفْهَمْتُهُ: إذا قلت له حتى تصوّره، والاِسْتِفْهَامُ: أن يطلب

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١٦٦).

(٢) منار القاري شرح صحيح البخارى (١/ ١٧٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من غيره أن يُفَهِّمَهُ[١].

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ **مستدلاً لهذا المعنى**: وقال علي رضي الله عنه لما قيل له: هل ترك عندكم رسول الله ﷺ شيئا؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه وما في هذه الصحيفة. فأخبر أن الفهم فيه مختلف في الأمة والفهم أخص من العلم والحكم قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩] وقال النبي ﷺ «رب مبلغ أوعى من سامع» وقال «بلغوا عني ولو آية»[٢].

قال المهلب: وفيه أنه قد يأتي في آخر الزمان من يكون له من الفهم في العلم ما ليس لمن تقدمه، إلا أن ذلك يكون في الأقل، لأن تمت رب ـموضوعة للتقليل، وتمت عسى ـموضوعة للطمع، وتمت ليستـ لتحقيق الشيء. وفيه: أن حامل الحديث والعلم يجوز أن يؤخذ عنه وإن كان جاهلا معناه، وهو مأجور في تبليغه، محسوب في زمرة أهل العلم، إن شاء الله[٣].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (التفهم للعلم هو التفقه فيه، ولا يتم العلم إلا بالفهم، وكذلك قال علي: والله ما عندنا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مؤمن. فجعل الفهم درجة أخرى بعد حفظ كتاب الله، لأن بالفهم له تبين معانيه وأحكامه. وقد نفى ﷺ العلم عمن لا فهم له بقوله: تمت رب حامل فقه لا فقه له ـ. وقال مالك: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله

(١) المفردات (٦٤٦).
(٢) الإكليل في المتشابه والتأويل (٤٦).
(٣) شرح الصحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في القلوب، يعنى بذلك فهم معانيه واستنباطه. فمن أراد التفهم فليحضر خاطره، وبفرغ ذهنه، وينظر إلى نشاط الكلام، ومخرج الخطاب، ويتدبر اتصاله بما قبله، وانفصاله منه، ثم يسأل ربه أن يلهمه إلى إصابة المعنى، ولا يتم ذلك إلا لمن علم كلام العرب، ووقف على أغراضها في تخاطبها وأيد بجودة قريحة، وثاقب ذهن، ألا ترى أن عبد الله بن عمر فهم من نشاط الحديث في نفس القصة أن الشجرة هي النخلة، لسؤاله ﷺ لهم عنها حين أتى بالجمار، وقوى ذلك عنده بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]. وقال العلماء: هي النخلة، شبهها الله بالمؤمن. وقول مجاهد: تمت إنه صحب ابن عمر إلى المدينة، فلم يحدث[(١)].

قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللهُ: ([باب الفهم في العلم] أي هذا باب في بيان الفهم في العلم قال الكرماني قال الجوهري فهمت الشيء أي علمته فالفهم والعلم بمعنى واحد فكيف يصح أن يقال الفهم في العلم ثم أجاب بقوله المراد من العلم المعلوم فكأنه قال باب إدراك المعلومات قلت تفسير الفهم بالعلم غير صحيح لأن العلم عبارة عن الإدراك الكلي والفهم جودة الذهن والذهن قوة تقتنص الصور والمعاني وتشمل الإدراكات العقلية والحسية وقال الليث يقال فهمت الشيء أي عقلته وعرفته ويقال فهم وفهم بتسكين الهاء وفتحها وهذا قد فسر الفهم بالمعرفة وهو غير العلم فإن قلت ما وجه المناسبة بين البابين قلت من

(١) شرح الصحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حيث إن الفهم في العلم داخل في قوله ﷺ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وقد مر أن الفقه هو الفهم فافهم)[١].

(١) عمدة القاري.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الثالثة والثلاثون: الخواطر التي تقع في القلب من محبة الثناء على أعمال الخير.

أستدل بعض أهل العلم من قول عمر ﷺ لولده عبد الله: (لأَن تكون قلتَها كان أحبَّ إليَّ من كذا وكذا) على أنه لا يضر المرء أن يحب ظهور الحق على يديه أو يحصل الخير بسببه، فإنه طبع جبلي فطره الله تعالى عليه.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (واستدل به مالك على أن الخواطر التي تقع في القلب من محبة الثناء على أعمال الخير لا يقدح فيها إذا كان أصلها لله، وذلك مستفاد من تمني عمر المذكور، ووجه تمني عمر ﷺ ما طبع الإنسان عليه من محبة الخير لنفسه ولولده، ولتظهر فضيلة الولد في الفهم من صغره، وليزداد من النبي ﷺ حظوة، ولعله كان يرجو أن يدعو له إذ ذاك بالزيادة في الفهم)[1].

قال أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي [المتوفى: ٥٢٠هـ]: (مسألة: المصلي لله ثم يقع في نفسه أنه يجب أن يعلم ويحب أن يلفى) ومن كتاب العقول مسألة قال: وقال مالك: سمعت ربيعة يسأل عن المصلي لله ثم يقع في نفسه أنه يجب أن يعلم ويحب أن يلفى في طريق المسجد ويكره أن يلفى في طريق غيره، فلا أدري ما أجابه به ربيعة، غير أني أقول: إذا كان أصل ذلك وأوله لله فلا أرى به بأسا، وإن المرء يحب أن يكون صالحاً، وإن هذا ليكون من الشيطان يتصدق فيقول له إنك

(١) فتح الباري (١/ ١٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لتحب أن يعلم ليمنعه من ذلك. قلت له: فإذا كان أصل ذلك لله لم تر به بأسا؟.

فقال: إي والله ما أرى بذلك بأسا، وقد قال النبي ﷺ: «ما شجرة لا يسقط ورقها شتاء ولا صيفا»، قال عبد الله بن عمر: فوقع في قلبي أنها النخلة فأردت أن أقولها» فقال له عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا، فأي شيء هذا إلا هذا، وإنما هذا أمر يكون في القلب لا يملك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩]، وقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤][(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في القول المفيد على كتاب التوحيد:

وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة. وليس من الرياء أيضًا أن يفرح الإنسان بفعل الطاعة في نفسه، بل ذلك دليل على إيمانه، قال النبي: « من سرته حسناته وساءته سيئاته؛ فذلك المؤمن »، وقد سئل النبي ﷺ: « رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ »[(٢)(٣)].

* **فائدة**: أما من كان المدح والثناء عنده مقدم على الإخلاص وابتغاء وجه الله ـتعالىـ فهذا لا يدخل في هذا الباب قطعاً.

---

(١) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (١/ ٤٩٨).

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فاقبل على الطمع أولا فأذبحه بسكين اليأس وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص فأن قلت وما الذي يسهل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح قلت أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقينا أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئا سواه وأما ازهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمة ويشين إلا الله وحده كما قال ذلك الأعرابي للنبي أن مدحي زين وذمي شين فقال ذلك الله عَزَّوَجَلَّ فازهد في مدح من لا يزينك مدحه وفي ذم من لا يشنيك ذم وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر في غير مركب قال تعالى فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)[1].

(١) الفوائد؛ لابن القيم (١٤٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الرابعة والثلاثون: من هم الطيبون؟.**

الطيّب: بزنة فيعل مثل قيم وميت وهو مبالغة في الاتصاف بالطيب وهو حسن الرائحة. ويطلق على محاسن الأخلاق وكمال النفس على وجه المجاز المشهور فتوصف به المحسوسات كقوله تعالى: ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨] والمعاني والنفسيات كقوله تعالى ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [غافر:٧٣]. وقولهم: طبت نفساً. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٥٨]. وفي الحديث «إن الله طيب لا يقبل ألا طيبا» أي مالا طيبا حلالا. فقوله تعالى: ﴿طَيِّبِينَ﴾ يجمع كل هذه المعاني أي تتوفاهم الملائكة منزهين من الشرك مطمئني النفوس. وهذا مقابل قوله في أضدادهم ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨][(١)].

وعن قسامة قال سمعت الأشعري يقول قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ حين خلق بني آدم جعل منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك»[(٢)].

*** أما معنى الطيب في النحلة:**

فيقول الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسيره**: (المسألة الأولى اعلم أنه تعالى ذكر شجرة موصوفة بصفات أربعة ثم شبه الكلمة الطيبة بها:

فالصفة الأولى لتلك الشجرة كونها طيبة وذلك يحتمل أموراً أحدها كونها طيبة المنظر والصورة والشكل وثانيها كونها طيبة الرائحة وثالثها

(١) التحرير والتنوير (٢٣٤٣).

(٢) رواه أحمد (١٩٦٥٩) وصححه الألباني. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كونها طيبة الثمرة يعني أن الفواكه المتولدة منها تكون لذيذة مستطابة ورابعها كونها طيبة بحسب المنفعة يعني أنها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها ويجب حمل قوله شجرة طيبة على مجموع هذه الوجوه لأن اجتماعها يحصل كمال الطيب.

والصفة الثانية قوله أَصْلُهَا ثَابِتٌ أي راسخ باق آمن الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء وذلك لأن الشيء الطيب إذا كان في معرض الانقراض والانقضاء فهو وإن كان يحصل الفرح بسبب وجدانه إلا أنه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه أما إذا علم من حاله أنه باق دائم لا يزول ولا ينقضي فإنه يعظم الفرح بوجدانه ويكمل السرور بسبب الفوز به).

* **صفات الطيبين**: الطيبون (كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة، وذلك لأنه يدخل فيه إتيانهم بكل ما أمروا به، واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه كونهم موصوفين بالأخلاق الفاضلة مبرئين عن الأخلاق المذمومة، طاهرين مطهرين من كل نقص ودنس يتطرق إليهم ويخل في إيمانهم، فطابت قلوبهم بمعرفة الله ومحبته وألسنتهم بذكره والثناء عليه، وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه)[1]. وهم طيبون بتطييب الله إياهم بنظافة الإيمان، وطهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم[2].

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: المراد بطيبين زاكية أقوالهم وأفعالهم وهو مراد

(١) تفسير السعدي (٤٩٨).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من قال: طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي وإلى هذا ذهب الراغب حيث قال: الطيب من الإنسان من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال[1].

وهم مع ذلك مبرءون من دنس القول وخبيث التهم قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ [النحل: ٢٨] أي: الطيبون من الناس مبرّءون من خبيثات القول، إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها، ويغفرها لهم، وإن قيلت فيهم؛ ضرّت قائلها ولم تضرّهم، كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به، لأن الله لا يتقبله.

* **الطيبون عند أداء ما عليهم وأخذ ما لهم**: ومن صفاتهم أيضاً أنهم يؤدون ما عليهم من الحق بطيب نفس بل ووافية زائدة.

أخرج أحمد وغيره من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ابتاع رسول الله ﷺ من رجل من الإعراب جزورا أو جزائر بوسق من تمر الذخرة ـ وتمر الذخرة العجوة ـ فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته والتمس له التمر فلم يجده فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له: يا عبد الله إنا قد ابتعنا منك جزورا أو جزائر بوسق من تمر الذخرة فالتمسناه فلم نجده قال: فقال الأعرابي واغدراه قالت فنهمه الناس وقالوا قاتلك الله أيغدر رسول الله ﷺ قالت فقال رسول الله ﷺ «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا» ثم عاد له رسول الله ﷺ فقال يا عبد الله إنا ابتعنا منك جزائرك ونحن نظن أن عندنا ما سمينا لك فالتمسناه فلم نجده فقال الإعرابي واغدراه فنهمه

(١) روح المعاني (١٤/ ١٣٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناس وقالوا قاتلك الله أيغدر رسول الله فقال رسول الله ﷺ «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا فردد ذلك رسول الله ﷺ مرتين أو ثلاثا فلما رآه لا يفقه عنه قال لرجل من أصحابه اذهب إلى خويلة بنت حكيم بن أمية فقل لها رسول الله ﷺ يقول لك إن كان عندك وسق من تمر الذخرة فأسلفناه حتى نؤديه إليك إن شاء الله فذهب إليها الرجل ثم رجع الرجل فقال قالت نعم هو عندي يا رسول الله فابعث من يقبضه فقال رسول الله ﷺ للرجل اذهب به فأوفه الذي له قال فذهب به فأوفاه الذي له قالت فمر الإعرابي برسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه فقال جزاك الله خيرا فقد أوفيت وأطيبت قالت فقال رسول الله ﷺ أولئك خيار عباد الله عند الله يوم القيامة الموفون المطيبون»[(١)].

* **الطيبون عند موتهم**: حال الطيبين عند موتهم فيه من الكرامة والرحمة ما لا يقدره إلا الله تعالى، قال ـجل شأنهـ ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل:٢٨] مستمرين على تقواهم ﴿طَيِّبِينَ﴾، فيدخل فيه أنه طاب لهم قبض الأرواح وأنها لم تقبض إلا مع البشارة بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت، وأكثر المفسرين على أن هذا التوفي هو قبض الأرواح، وإن كان الحسن يقول: إنه وفاة الحشر، ثم بين تعالى أنه يقال لهم عند هذه الحالة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣١] فاحتج الحسن بهذا على أن المراد بذلك التوفي وفاة الحشر،

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٦٨، رقم ٢٦٣٥٥). قال الهيثمي (٤/ ١٤٠): إسناده صحيح. وأخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ٢١٠، رقم١٠٤٥). وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٩٠)، وابن عساكر (٣٦/ ٣٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأنه لا يقال عند قبض الأرواح في الدنيا ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون، ومن ذهب إلى القول الأول وهم الأكثرون يقولون: إن الملائكة لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكأنهم فيها فيكون المراد بقولهم، ادخلوا الجنة أي هي خاصة لكم كأنكم فيها.

ومن جملة هذه المنح الربانية أنهم يساقوا ويدفعوا إلى كل طيب من قول أو فعل فوصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤].

إن المعالمة الطيبة بمعناها الشرعي ونقاء المجتمع من الخبث، الذي هو ضد الطيب، هو حصانة من غضب الله وانتقامه، ولذلك سألت زينب بنت جحش رضي الله عنها: «أفنهلكُ وفينا الصالحون؟ فأجابها رسول الله ﷺ: نعم إذا كثر الخبث»[(١)]. والذين يفتقدون هذا الخلق تراهم غارقين في صور من التحايل والكيد، وسوء الظن والخبث.

* **الطيبون شرهم مأمون:**

المؤمن لا يعرف للشر طريقاً ولا للخداع مسلكاً،وليس بذي مكر ولا فطنة للشر، وربما انخدع لسلامة صدره وحسن ظنه ولانقياده ولينه ولأنه كريم شريف الأخلاق. يقول النبي ﷺ: «المؤْمنُ غِرٌّ كريم والفاجرُ خِبٌّ لئيمٌ»[(٢)].

قال الخطابي في المعالم: معنى هذا الكلام أن المؤمن المحمود هو

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣١٧، رقم ٣٤٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٨، رقم ٢٨٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٥١، رقم ٤٧٩٠)، والترمذي (٤/ ٣٤٤، رقم ١٩٦٤) وقال: غريب. والحاكم (١/ ١٠٣، رقم ١٢٨). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٥١، رقم ٤١٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من كان طبعه وشيمته الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه وأن ذلك ليس منه جهلا لكنه كرم وحسن خلق وأن الفاجر هو من كانت عادته الخب والدهاء والوغول في معرفة الشر وليس ذلك منه عقلا ولكنه خب ولؤم انتهى[(١)].

قال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هو الذي لا غائلة معه ولا باطن له يخالف ظاهره ومن كانت هذه سبيله أمن المسلمون من لسانه ويده وهي صفة المؤمنين ووجدنا الفاجر ظاهره خلاف باطنه لأن باطنه هو ما يكره وظاهره فمخالف لذلك كالمنافق الذي يظهر شيئا غير مكروه منه وهو الإسلام الذي يحمده أهله عليه ويبطن خلافه وهو الكفر الذي يذمه المسلمون عليه فكان مثل ذلك الخب الذي يظهر المعنى الذي هو محمود منه حتى يحمده المسلمون على ذلك ويبطن ضده مما يذمه المسلمون عليه وهو الفاجر الذي وصفه رسول الله ﷺ بما وصفه به في هذا الحديث وخالف بينه وبين المؤمن الذي وصفه بما وصفه به في هذا الحديث والله عَزَّ وَجَلَّ نسأله التوفيق[(٢)].

*** الطيبون ليسوا بالأغبياء الذين يسهل خداعهم:**

لا يغرنا ما يلصقه الخبثاء أهل الخداع والمكر بالطيبين من صفات الغفلة، وضعف العقل، وقلة الحيلة، والسذاجة[(٣)].

حتى إنه يقول البعض: مساكين هم الموفون المطيبون بيننا؛ يحسنون

(١) عون المعبود (١٣/ ١٠١).

(٢) بيان مشكل الآثار ـ الطحاوى (٨/ ١٤).

(٣) السذاجة في الأصل تعنى البساطة وليس محلها محل الذم، كما يتصور المتأخرون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الظن مطلقاً بكل أحد على مقتضى ما جبلت عليه نفوسهم الطاهرة؛ لكن الأرذلون يعدونهم قوماً سذَّجا أغبياء يسهل خداعهم!. ولأنهم يفتقدون هذا الخلق تراهم غارقين في صور من التحايل والكيد، وسوء الظن والخبث .. فلأن تكون مقبولا عند الله خير وأعظم أجرا من أوسمة الدهاء والحيلة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الخامسة والثلاثون**: فائدة نحوية وبلاغيَّة.

قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: بيان الإعراب قوله [شجرة]: نصب لأنه اسم إن وخبرها قوله من الشجرة[(١)] وكلمة [من] للتبعيض؛ ويجوز أن يكون المعنى من جنس الشجرة قوله [لا يسقط ورقها] جملة من الفعل والفاعل في محل النصب على أنها صفة لشجرة قوله [وأنها] بالكسر عطف على إن الأولى قوله [ما هي؟] مبتدأ وخبر والجملة سدت حسد المفعولين لفعل الحديث قوله [إنها النحلة] بفتح أن لأنها فاعل وقع والنخلة مرفوع لأنها خبر أن قوله [حدثنا ما هي] مبتدأ وهي خبره والجملة سدت مسد المفعولين أيضا وقوله [هي النخلة] مبتدأ وخبر وقعت مقول القول بيان المعاني. قوله [إن من الشجر شجرة] مخرج على خلاف مقتضى الظاهر لأن المخاطبين فيه كانوا مستشرفين كاستشراف الطالب المتردد فلذلك حسن تأكيده بأن وصوغه بالجملة الاسمية[(٢)].

قلت وهذا كقوله ﷺ: «إن بالمدينة رجالا ما قطعتم واديا ولا سلكتم طريقا إلا شركوكم في الأجر...»[(٣)].

* **فائدة**: قال الزبيدي: (وقد ثبت عن العرب تسمية النخل شجرا، قاله الزجاج وغيره، ومنه الحديث المروي في الصحيحين «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها لمثل المؤمن، أخبروني ما هي فوقع الناس

(١) أي وتقديره (إن شجرةً من الشجر لا يسقط ورقها).

(٢) عمدة القاري (٢/ ٤٠٤ _ ٤٠٥).

(٣) أخرجه أحمد [٣/ ٣٠٠] (١٤٢٥٧)، وعبد بن حميد (١٠٢٧)، ومسلم [٦/ ٤٩] (٤٩٦٧)، وابن ماجة (٢٧٦٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في أشجار البوادي، فقال: ألا وهي النخلة» وقال شيخنا: وفيه إشارة إلى أن المعتبر في العلوم هو حملها عن الرجال ومشافهتهم بضبطها وإتقانها، لا الأخذ من الأوراق والصحف، فإنه ضلال محض ولا سيما المنقولات التي لا مجال للعقل فيها، كرواية اللغة والحديث الشريف، فإنهما يتسلط عليهما التصحيف والتحريف، وخصوصاً في هذا الزمان، فالحذر الحذر)[1].

❁ ❁ ❁

(١) تاج العروس (١/ ١٠٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السادسة والثلاثون**: فائدة عن زرع النخيل وبلاده.

يقول بعض الباحثين: (لم يتمكن الباحثون حتى اليوم من تحديد مسقط رأس النخلة. فبعضهم ذهب إلى بلاد ما بين النهرين وحضارة بابل، ومعظمهم تطلع إلى شبه الجزيرة العربيّة وخاصة إلى شرقها، ومن هؤلاء عالم النخيل الإيطالي [إدواردو بَكاري] الذي يعتبر منطقة الخليج العربي موطناً أصلياً لنخلة التمر. وهناك نظريات تسعى إلى مزيد من الدقة، فتحدد جزيرة صغيرة في البحرين اسمها [هارقان] أو [حارقان]. وتعزز هذه الترجيحات الكتابات المسمارية التي تتحدث عن تصدير تمور من ديلمون إلى العراق، وديلمون في التاريخ القديم هي بلاد البحرين التي امتدت من جنوبي العراق حتى حدود عمان.

المؤكد أن زراعة نخيل التمر كانت معروفة منذ سبعة آلاف سنة عند كل الحضارات التي قامت في الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين وما جاورها. ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم كانت النخلة حاضرة دائماً، لا في البساتين والواحات فحسب، بل في ثقافات الشعوب واقتصادياتها وحضارتها ككل.

الشواهد الأثرية ليست قليلة. منها العملات الفينيقية والإغريقية التي وصلتنا من الساحل الشرقي للمتوسط، والتي نقشت عليها صورة النخلة.

ومن مصر الفرعونية وصلتنا نخلة صغيرة كاملة عثر عليها في أحد مقابر سقارة وتعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. كما عثر الباحثون مؤخراً على مومياء فرعونية في مقبرة الزريقات ملفوفة في حصير من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سعف النخيل.

ومن بلاد ما بين النهرين وصلتنا آثار المعابد والقصور التي شكل النخيل جزءاً رئيساً منها، إضافة إلى التيجان الملكية التي حملت نقش النخلة.

غير أن أهم ما وصلنا في هذا المجال مجموعة القوانين المسماة [شريعة حمورابي] التي تضمنت ثلاث مواد تتعلق بشراء النخيل وبيعه وتلقيحه، إضافة إلى مادة عقابية خاصة بالاعتداء على النخيل، تحدد غرامة فضية على كل من تسول له نفسه اقتلاع نخلة.

وضعت مجموعة القوانين هذه قبل نحو ٣٨٠٠ سنة من عصرنا. وعلى امتداد آلاف السنين، حافظت النخلة على موقعها في حياة الشعوب التي عرفت زراعتها وازدهارها. وبسبب تعدد أوجه الاستفادة منها، حافظت الشعوب عليها حفاظها على أغلى ما تملك، وعملت على إكثارها من دون انقطاع. ولكن أين؟.

تسمى المناطق الجغرافية الصالحة لزراعة نخيل التمر بـ[حزام النخيل]. ويمتد هذا الحزام من باكستان شرقاً ثم إيران والجزيرة العربية برمتها فالأردن وساحل بلاد الشام والساحل الإفريقي كله وصولاً إلى موريتانيا غرباً، ويضاف إلى هذه الخريطة السودان والصومال جنوباً.

وبسبب القيمة الغالية لهذه الشجرة، توسعت رقعة حزام النخيل في القرن العشرين الميلادي. إذ بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بزراعته قبل خمسين سنة تقريباً.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونجحت في جعله منتجاً زراعياً مجدياً، كما أن ناميبيا مددت هذا الحزام جنوباً عندما أدخلت إليها زراعة نخيل التمر منذ عام ١٩٩٥م.

نخيل اليوم في العالم أكثر من ١٠٤ملايين نخلة، تنتج ما يزيد على ٢.٧ مليون طن من التمور المختلفة سنوياً، وهو رقم يؤكد الأهمية البالغة لهذه الشجرة على صعيد المسألة الغذائية في العالم بأسره.

بقي أن نشير إلى أن أكبر غابات النخل وواحاته في العالم وأجود أنواعه لا تزال حيث ازدهرت زراعته منذ آلاف السنين: في العراق حيث يبلغ عددها أكثر من ثلاثين مليون نخلة يتركز العدد الأكبر منها في شط العرب. وتحتل المملكة العربيّة السعودية المرتبة الثانية عالمياً بفضل ٢٣ مليون نخله تتوزع على مناطقها الشرقية والوسطى والغربيّة. ولكن هذه الأرقام لا تعكس حقيقة الإنتاج، فبسبب الاضطرابات التي عرفها العراق تدنى فيه مستوى الإنتاج في السنوات الأخيرة لتحتل المملكة المرتبة الأولى عالمياًبإنتاج يصل إلى نحو٨٥٠ ألف طن سنوياً. واقتصار المنافسة على المراكز الأولى زراعة وإنتاجاً ما بين المملكة والعراق، يؤكد أن النخلة كانت ولا تزال شجرة عربية الهوية. يتأكد ذلك من اعتزازنا بها، وإحلال صورتها على نقودنا الحديثة. تماماً كما كانت على العملات الفينيقية والإغريقية في غابر الأزمان)[1].

❁ ❁ ❁

(١) جزء من مقال [النخلة] بمجلة القافلة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السابعة والثلاثون**: دنو القطوف مع سموه.

فالنخلة قطوفها دانية في كل أحوالها، في حال قصرها وطول جذعها لسهولة الصعود إليها، والصعود إليها لا ينال من أوراقها، ولا يكسر أغصانها، ولا ينال جُمارها ولا برعمها الطرفي.

والمؤمن سهل القطوف، يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة، ويطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا، يحب الناس ويغدق عليهم، ولا يتخلى عن أخلاقه وثوابته مهما زادت الألفة والمحبة والمخالطة بينه وبين الناس.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرابع سهولة تناول ثمرتها وتيسره أما قصيرها فلا يحوج المتناول أن يرقاها وأما باسقها فصعوده سهل بالنسبة إلى صعود الشجر الطوال وغيرها فتراها كأنها قد هيئت منها المراقي والدرج إلى أعلاها وكذلك المؤمن خيره سهل قريب لمن رام تناوله لا بالغر ولا باللئيم)[(١)].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النَّار، وبمن تحرم النَّار عليه؟ على كلِّ هيِّن ليِّن قريب سهل»[(٢)].

قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (قريب) أي: من النَّاس بمجالستهم في محافل الطَّاعة، وملاطفتهم قدر الطَّاعة. (سهل) أي: في قضاء حوائجهم، أو معناه: أنه سمح القضاء، سمح الاقتضاء، سمح البيع، سمح الشِّراء.

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٤)، رقم (٢٤٨٨) وقال: حسن غريب. والطبراني (١٠/ ٢٣١)، رقم (١٠٥٦٢)، وابن حبان (٢/ ٢١٦، رقم ٤٧٠). وصححه الألباني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الصديقي: (...«تحرم على كلِّ قريب» أي: من النَّاس بحسن ملاطفته لهم، «هيِّن ليِّن» قال في [النِّهاية]: «المسلمون هَيْنُونَ لَيْنُون»، وهما بالتَّخفيف، قال ابن الأعرابي: العرب تمدح بِالْهَيْنِ اللَّيْن، مخفَّفيْن، وتذم بهما مُثَقَّلَيْن، وهيِّن: أي بالتَّشديد، فيعل من الهون، وهو السَّكينة والوقار والسُّهولة، فَعَيْنُه «واو»، وشيءٌ هَيْنٌ وهَيِّنٌ، أي: سَهْلٌ. «سهل». أي: يقضي حوائجهم ويسهل أمورهم)[1].

(١) دليل الفالحين (٥/ ٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثامنة والثلاثون: لا يمنع الصغار ـ ممن يدرك العلم ـ من مجالسة الشيوخ.**

ينبغي دائما أن نذكر أنفسنا [نحن الآباء] بأن المراهقين والمميِزين من الصغار اليوم هم غداً رعاة هموم الأمة وحملة راية العلم والعدل، وحضورهم لمجالس الكبار من أهل الحكمة والرأي سبب في بناء شخصية تليق بهذا الدور المنتظر، فيرفع من همتهم ويقوى ثقتهم بأنفسهم؛ وفي ذلك أيضا إشارة له أنه في يوم ما سيكون مسئولا عن ثغر من ثغور دينه الإسلام. فمن الخطأ أن يمنع الصغير من حضور مجالس أهل الخبرة والتجربة، أو إخراجهم من مجالس الرجال من غير ضرورة.

وهذا هو المعنى الذي فطنه ذوي الحجي من صدر هذه الأمة، فقد مر عمرو بن العاص ﷺ على حلقة من قريش فقال: (ما لكم قد طرحتم هذه الأغيلمة؟ لا تفعلوا! أوسعوا لهم في المجلس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه؛ فإنهم صغار قوم أوشك أن يكونوا كبار قوم، وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم)[(١)].

وهذا عروة بن الزبير يصب في آذان أولاده حين قال لهم: (يا بنيَّ، اطلبوا العلم، فإن تكونوا صغار قوم لا يُحتاج إليكم، فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم)[(٢)].

وكان ابن شهاب الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ يشجع الصغار ويقول: (لا تحُقِّرُوا

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمد سعيد أوغلي (٦٥).

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ـ تحقيق محمد سعيد العريان (٢/ ٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنفسَكم لحداثة أسنانكم؛ فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يتبع حدة عقولهم)[١].

وكانت مجالسه ﷺ يزاحم فيها الصغارُ الكبار، فعن سهل بن سعد الساعدي ـرضي الله تعالى عنهـ «أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: (أتأذن لي أن أعطي هؤلاء) فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدا قال فتله رسول الله ﷺ في يده»[٢].

وعن معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه، فهلك فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال: «مالي لا أرى فلاناً؟» قالوا: يا رسول الله، بنيه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيه، فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: «يا فلان، أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك، أو لا تأتي غدا إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك»، قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إلي، قال: «فذاك لك»[٣].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، للإمام يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (١٣٩).

(٢) صحيح البخاري كتاب المظالم باب إذا أذن له أو أحله ولم يبين كم هو.

(٣) أخرجه النسائي (١/ ٢٩٦) والسياق له، وابن حبان في [صحيحه]، والحاكم (١/ ٣٨٤) وأحمد (٥/ ٣٥) وصححه الألباني رحمه الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشاهد من الحديث قوله: (وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه).

يقول فضيلة الدكتور محمد إسماعيل المقدم: (إن الخلفاء والأمراء وأولى الأمر هم طليعة المشجعين لطلبة العلم، روى البخاري في صحيحه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ كان يدخل ابن عباس ﷺ وهو غلام حدث مع أشياخ بدر، قال ابن عباس: فكأن بعضهم وجد في نفسه، وقالوا: لم لا نأت بأولادنا الصغار ونجلسهم معك؟ فلماذا تدخل ابن عباس وهو صغير في مجلس الكبار من الأشياخ الذين حضروا غزوة بدر؟ فقال بعضهم: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، أي: أنه من أهل البيت، وابن عم النبي عليه الصلاة والسلام، وهو الذي دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، يقول ابن عباس: فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، فهم ابن عباس وتفطن إلى أنه هذه المرة استدعاه خصيصاً كي يري هؤلاء القوم منزلة ابن عباس، فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:١]، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، أي: هذه السورة فيها نعي رسول الله ﷺ إلى ذاته الشريفة، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:١] وذلك علامة أجلك، فقد أديت الرسالة، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:٣] أي: تأهب للقاء الله ﷻ، واختم حياتك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالتسبيح بحمد الله والاستغفار، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

وكان سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ يلقي درساً لأصحابه، فدخل صبي صغير ومعه ورق وقلم ومحبرة، فبمجرد أن دخل الصغير وكلهم طلبة كبار ـتلاميذ سفيان بن عيينة ـ ضحكوا، فتلا سفيان: ﴿كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٩٤]، ثم التفت إلى أحمد بن نضر راوي الحكاية عن أبيه قال: يا نضر لو رأيتني وطولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، أكنافي قصار، وسيفي بمقدار، ونعلي كآذان الفأر، أختلف إلى علماء الأمصار، كالزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلمتي كاللوزة، فإذا دخلت قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير !!!!)[(١)].

وكان الإمام جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ يأخذه أبوه إلى مجالس الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري شرح صحيح البخاري، وهو ابن ثلاث سنين.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

تعلم فليس المرءُ يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهلُ

وإن كبيرَ القوم لا علم عنده ... صغيرٌ إذا التفَّت عليه الجحافل

وإن صغير القوم إن كان عالما ... كبير إذا رُدَّت إليه المحافل

ولا ترض من عيش بدونٍ ولا يكن ... نصيبك إرثا قدّمتْه الأوائلُ[(٢)]

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الخطيب البغدادي وأبو موسى المدني.

(٢) ديوان الإمام الشافعي، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي (٩٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة التاسعة والثلاثون: أمثال ضربت للمؤمن غير النخلة.

*** من ذلك الأترجة والتمرة ...:**

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[(١)] **رواه البخاري ومسلم.**

*** الخامة من الزرع:**

عن كعب بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء»[(٢)] رواه البخاري ومسلم.

*** القطعة الجيدة من الذهب:**

عن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا ووضعت طيبا وإن مثل المؤمن مثل القطعة الجيدة من الذهب أدخلت النار فنفخ عليها فخرجت جيدة»[(٣)] أخرجه الخرائطى وصححه الألباني.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٣، رقم ١٩٦٣٠)، والبخاري (٥/ ٢٠٧٠، رقم ٥١١١)، ومسلم (١/ ٥٤٩، رقم ٧٩٧)، وأبو داود (٤/ ٢٥٩، رقم ٤٨٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٨٦، رقم ٢٧٢١٥)، والبخاري (٥/ ٢١٣٧، رقم ٥٣١٩)، ومسلم (٤/ ٢١٦٤، رقم ٢٨١٠).

(٣) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٤١ رقم ٥٨). وأخرجه أيضًا: أبو الشيخ في التوبيخ (١٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال أبو محمد: هذا مثل للمؤمن في صحة عقده وعهده وسره وعلانيته وسائر أحواله ومثل بالنحلة تارة وبالقطعة من الذهب تسبك فيعود وزنها مثله قبل سبكها لصفائها وخلوص جوهرها لأن الخالص من الذهب لا يحمل الخبث ولا يقبل الصدأ ولا تنقصه النار ولا يغيره مرور الأوقات وكذلك المؤمن في حال منشطه ومكرهه وعسره ويسره على بينة من ربه ويقين من أمره لا ينقصه الاختبار ولا يزيله عن إيمانه ويقينه تفرق الأحوال والذهب أسني الجوهر وأشرفه ويقال للشيء في بلوغ الغاية في تفضيله وشرفه وخطره كأنه الإبريز الخالص وما هو إلا الذهب الأحمر.

* **الفرس:**

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل الفرس في آخيته يجول ثم يرجع إلى آخيته وأن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان فاطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين»[(١)] رواه أحمد في المسند وإسناده ضعيف.

* **البردة تقع من السماء:**

عن أنس بن مالك قال؛ قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن إذا برأ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها»[(٢)] رواه الترمذي

(١) أخرجه أحمد في المسند (١١٥٤٣) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤١١، رقم ٢٠٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٦٠، رقم ٩٨٤١)، والعقيلي (٤/ ٣١٨، ترجمة [١٩١٩] الوليد بن محمد الموقري) وقال: قال البخاري: في أحاديثه مناكير وابن عدي (٣/ ٤٠٦، ترجمة [٨٣١] سعيد بن هاشم بن صالح)، وقال: ليس بمستقيم الحديث؛ والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٢٩، رقم ٥١٦٦). قال الهيثمي (٢/ ٣٠٣): فيه الوليد بن محمد الموقري، وهو ضعيف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفى سنده ضعف.

* رجل كان في سجن فخرج منه:

عن عبد الله بن عمرو [موقوف عليه] قال: (إن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن، فخرج منه فجعل يتقلب في الأرض، ويتفسح فيه)[١] رواه ابن أبى الدنيا في الزهد ـ وصدره صح مرفوعاً.

* الرأس من الجسد:

عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن من أهل الإيمان مثل الرأس من الجسد يألم مما يصيب أهل الإيمان كما يألم الرأس مما يصيب الجسد»[٢]رواه الطبراني وحسنه الألباني.

* مثل المؤمن ومثل الموت:

عن النعمان بن بشير، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن ومثل الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء، أحدهم ماله قال: خذ ما شئت ودع ما شئت، وقال الآخر: أنا معك أحملك، فإذا مت تركتك، وقال الآخر: أنا معك أدخل معك وأخرج معك، فأحدهما ماله، والآخر أهله وولده، والآخر عمله»[٣] رواه الطبراني وصححه الألباني.

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا في الزهد (١٩٣)، وابن المبارك في الزهد والرقائق (٥٨٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٦٩، رقم ٤٦٩٦). وقال الألباني: [حسن] حديث رقم: (٦٦٥٩) في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥١) قال الهيثمي: أحد أسانيده رجاله رجال الصحيح وصححه الألباني (٢٤٨١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* **المؤمن حين يصيبه الوعك مثل حديدة تدخل النار:**

عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن أزهر عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن حين يصيبه الوعك أو الحمى، مثل حديدة تدخل النار فيذهب خبيثها ويبقى طيبه»[(١)] رواه الحاكم والطبراني وصححه الألباني.

* **مثل المؤمن كمثل ريشة:**

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل ريشة بفلاة يقلبها الريح مرة ويقيمها أخرى»[(٢)] رواه البزار وفى سنده ضعف.

* **مثل المؤمن كمثل عزق تناثر الورق من فوقه:**

عن وطلحة بن نافع، قال: سمعت أنس بن مالك وجابر بن عبد الله قالا: «كنا مع رسول الله ﷺ ـأحسبه قال: في غزاةـ قال: فإما أمر رسول الله ﷺ بعذق فقطع، وإما كان مقطوعا قد هاج ورقه، وبيد رسول الله ﷺ قضيب فضربه وورقه يتناثر، فقال: هل تدرون ما مثل هذا؟ كمثل المؤمن إذا قام إلى الصلاة جمعت خطاياه فجعلت فوق رأسه؛ فإذا خر ساجداً تناثرت عنه يمينا وشمالا»[(٣)] رواه البزار والطبراني.

---

(١) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٢)، والحاكم (١/ ٤٩٩، رقم ١٢٨٨) والبيهقي (٣/ ٣٧٤، رقم ٦٣٣٦) والبزار (٨/ ٣٧٩، رقم ٣٤٥٦). قال الهيثمي (٢/ ٣٠٢): رواه البزار والطبراني في الكبير وفيه من لا يعرف. وصححه الألباني في السلسلة (١٧١٤).

(٢) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩٣) وقال الهيثمي: فيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي، وثقة الدارقطني وغيره، قال ابن عدي: رأيت أهل العراق مجمعين على ضعفه. ومن غريب الحديث: [تفيئها]: أى تجىء بها وتذهب.

(٣) أخرجه البزار (٧٣٣) والطبراني في مسند الشاميين (٧٢٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* **مثل المؤمن كمثل العطار**:

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل العطار إن جالسته نفعك، وإن ماشيته نفعك، وإن شاركته نفعك»[١] رواه الطبراني وهو ضعيف بهذا اللفظ ـ ويغني عنه حديث «مثل الجليس الصالح ...».

* **مثل المؤمن كالبيت الخرب في الظاهر**:

عن ابن أبي عمرة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «مثل المؤمن كالبيت الخرب في الظاهر، فإذا دخلت وجدته مونقاً، ومثل الفاجر كالقبر المشرق المجصص، يعجب من رآه، وجوفه ممتلئ نتنا»[٢] رواه البيهقي وهو ضعيف جداً.

* **مثل المؤمن كمثل الزرع**:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الأرزة لا تهتز حتى تستحصد»[٣] رواه أحمد والترمذي وصححه.

* **مثل المؤمن مثل السنبلة**:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم (١٣٥٤١) وضعفه الألباني. وللحديث لفظ قريب عند أبي داود والحاكم: (مثل الجليس الصالح كمثل العطار إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه) وصححه الألباني في حديث رقم (٥٨٢٨) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٦٤٤٨). وقال الألباني [ضعيف جداً] (٥٢٤٣) في ضعيف الجامع.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٣، رقم ٧٨٠١)، والترمذي (٥/ ١٥٠، رقم ٢٨٦٦) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضًا: ابن حبان (٧/ ١٧٧، رقم ٢٩١٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مرة وتخر مرة»[(١)].

(١) أخرجه أبو يعلى (رقم٣٠٨٠)، والبزار كما في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩٣)، قال الهيثمى (٢/ ٢٩٣): رواه أبو يعلى، وفيه فهد بن حبان، وهو ضعيف، ورواه البزار، وفيه عبد الله بن سلم صاحب السابري، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الألباني: [صحيح] حديث رقم (٥٨٤٥) في صحيح الجامع.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الأربعون: قوله في الحديث: ولا ولا ولا، ثلاث مرات.**

قوله (ولا ولا ولا) أسلوب بلاغي يختصر به الكلام ويكتفي بما ذُكر، فيصف فيه ما يوجب حال الموصوف ويقوم مقام المحذوف.

قال ابن الجوزي في كشف المشكل: (وقوله ولا ولا ولا يصف فيه ما يوجب مدحها)[١].

قال الادريسى الزرهونى في الفجر الساطع: ولا ولا ولا: أي ولا ينقطع ثمرها، ولا يعدم فيئها، ولا يبطل نفعها. تؤتي أكلها: تعطي ثمرها، فهو مستأنف لا مدخول لما قبله ... وكذا وكذا: أي من حُمُرِ النَّعَمِ، كما في الرواية الأخرى، وقد وضح أن المراد بالشجرة في الآية النخلة.

وقد وقع في كتب السنن الكثير من هذا النوع وله نظائر، من ذلك:

ما رواه عروة عن عائشة قالت «كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [الممتحنة: ١٢] قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا امرأة يملكها» وعنها قالت «ما كان النبي ﷺ يمتحن المؤمنات إلا بالآية التي قال الله ﷻ ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [الممتحنة: ١٢] ولا ولا»[٢].

قال زين الدين العراقي في طرح التثريب: قوله (ولا ولا)إشارة إلى بقية الآية وهو ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ [الممتحنة: ١٢] إلى آخرها[٣].

وعن أبي جعفر قال: «لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً أحذر

(١) كشف المشكل (١/ ٦٤٠).
(٢) مسند أحمد (٢٥٣٣٩).
(٣) طرح التثريب (٧/ ٤٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا ولا من عبد الله بن عمر»[(١)].

وعن ابن أبي نجيح قال: كان ابن الزبير رضي الله عنهما كل ليلة يقوم عند باب الكعبة فيقول: «إن بني أمية فعلوا كذا، وفعلوا كذا، وذكر من جورهم»، ثم يقول: «يا عباد الله، أنقسم بينكم مواريثكم، ولا نقسم بينكم فيئكم ولا صدقاتكم، ولا ولا»، فسمعته صفية بنت أبي عبيد فقالت لابن عمر رضي الله عنهما: ما سمعت مثل كلام هذا الرجل، يعني: ابن الزبير، ماذا يتكلم؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما: «يا بنت أبي عبيد، إنما يريد فعلات معاوية»[(٢)].

وعن الشعبي: أن عمر بن الخطاب قال: إني لأبغض فلانا فقيل للرجل ما شأن عمر يبغضك، فلما كثر القوم في الدار جاء فقال يا عمر أفتقت في الإسلام فتقا قال لا، قال فجنيت جناية قال لا، قال أحدثت حدثا قال لا، قال فعلام تبغضني وقال الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] فقد آذيتني فلا غفرها الله لك، فقال عمر: صدق والله ما فتق فتقا، ولا، ولا فاغفرها لي، فلم يزل به حتى غفر له[(٣)].

تعقيب: قال ابن حجر: أخبروني بشجرة كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا، كذا ذكر النفي ثلاث مرات على طريق الاكتفاء، فقيل في تفسيره: ولا ينقطع ثمرها ولا يعدم فيؤها ولا يبطل نفعها. ووقع في رواية مسلم ذكر النفي مرة واحدة فظن إبراهيم بن سفيان الراوي عنه أنه

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٢٤٩).
(٢) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة.
(٣) (ابن المنذر) [كنز العمال (٤٥٥٢)].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متعلق بما بعده وهو قوله (تؤتي أكلها) فاستشكله وقال: لعل (لا) زائدة ولعله (وتؤتي أكلها)، وليس كما ظن، بل معمول النفي محذوف على سبيل الاكتفاء كما بيناه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الواحدة والأربعون: في قوله (فرأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان).

قوله في رواية عند البخارى رَحِمَهُ اللَّهُ: (فرأيت أبا بكر و عمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم). خصهما بالذكر من بين العشرة الذين حضروا المجلس وهو من جملة الأدلة على فضلهما، وعلى أن مكانتهما في حياة النبي ﷺ كانت معلومة عند أصحابه ومما يعضد ذلك ويأيده أحاديث كثيرة منها ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي: أبو بكر وعمر»(١).

وحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين»(٢).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أ فق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر ولا يرفع إليه أحد منهم بصره، إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢) وإسناده صحيح، وابن حبان (٦٩٠٢). وزائدة بن قدامة قال الحافظ عنه: ثقة ثبت، انظر: التقريب (١٩٩٣). وقول الذهبي في الكاشف (١/ ٤٠٠): ثقة حجة. وانظر: الصحيحة (١٢٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦٥)، وابن ماجة (٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٩٧).

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٤٢، رقم ٧٠٦)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٣٢، رقم ٦٠٠٦) . قال الهيثمى (٩/ ٥٤) : رجاله رجال الصحيح غير سلم بن قتيبة وهو ثقة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويبتسمان إليه، ويبتسم إليهما»[١].

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٠) (١٢٥٤٤)، وعبد بن حميد (١٢٩٨)، والترمذي (٣٦٦٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثانية والأربعون**: فائدة حديثية.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال البزار في مسنده: ولم يرو هذا الحديث عن النبي ﷺ بهذا السياق إلا ابن عمر وحده، ولما ذكره الترمذي قال: وفي الباب عن أبي هريرة[(١)] وأشار بذلك إلى حديث مختصر لأبي هريرة أورده عبد بن حميد في تفسيره لفظه: «مثل المؤمن مثل النخلة»[(٢)]، وعند الترمذي أيضا والنسائي وابن حبان من حديث أنس أن النبي ﷺ قرأ: «ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة» قال: «هي النخلة» تفرد برفعه حماد بن سلمة، وقد تقدم أن في رواية مجاهد عن ابن عمر أنه كان عاشر عشرة، فاستفدنا من مجموع ما ذكرناه أن منهم أبا بكر وعمر وابن عمر، وأبا هريرة وأنس بن مالك إن كانا سمعاً ما رواياه من هذا الحديث في ذلك المجلس). والله أعلم[(٣)].

قال الطالب: (أما حديث أبى هريرة فقد قال مؤلف أنيس الساري: قال الحافظ: أورده عبد بن حميد في [تفسيره]: وهو صحيح، أخرجه الرامهرمزي في [الأمثال] (٣٦) وأبو الشيخ في [الأمثال] (٣٣٢) عن عبدان عبد الله بن أحمد بن موسى الأهوازي ثنا سليمان بن أيوب صاحب البصري ثنا حماد بن زيد عن علي بن سويد بن مَنْجُوف عن أبي رافع عن أبي هريرة رفعه «مثل المؤمن القوي كمثل النخلة، ومثل المؤمن الضعيف

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ١٥١).

(٢) سبق تخريج الحديث في الشاهد الخامس وبُين هناك أن الحديث ضعيف. وقد وجدته موقوفاً على أبى هريرة بسند صحيح عند أبى بكر أبن أبى شيبة في المصنف (٣٠٣٤٦).

(٣) فتح الباري (١/ ٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كمثل خامة الزرع».

وأخرجه القضاعي (١٣٥٧) من طريق عبد الله بن أحمد بن علي بن طالب البغدادي ثنا الرامهرمزي به. وأخرجه (١٣٥٨) من طريق أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد اللغوي أنبا عبدان به. وإسناده صحيح، وأبو رافع اسمه نفيع الصّائغ المدني. وصح وقفه عليه عند أبن أبي شيبة في المصنف)[١].

ولفظه عند ابن أبى شيبة: «مثل المؤمن الضعيف كمثل الخامة من الزرع، تميلها الريح مرة وتقيمها مرة»، قال: قلت: فالمؤمن القوي؟، قال: «مثل النخلة تؤتي أكلها كل حين في ظلها ذلك، ولا تميلها الريح»[٢].

أما حديث أنس: عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتي بقناع جزء فقال: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم:٢٤_ ٢٥] فقال: «هي النخلة» ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم:٢٦] قال: «هي الحنظلة» قال شعيب فأخبرت بذلك أبا العالية فقال كذلك كنا نسمع.

أخرجه الحاكم في المستدرك والبزار، الطبري من ثلاث طرق موقوفاً على أنس[٣].

---

(١) أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري (٧/ ٤٧٩٥).

(٢) المصنف في الأحاديث والآثار (٦/ ١٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير (٣١١٩)، وصححه الحاكم (٢/ ٣٥٢)، ووافقه الذهبي، وابن حبان رقم (٤٧٥) ورواه الطبري في التفسير؛ رقم: (٢٠٦٧٤) و(٢٠٦٧٥) و(٢٠٦٧٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأخرجه الترمذي في التفسير: باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام، عن عبد بن حميد، عن أبي الوليد الطيالسي، عن حماد بن سلمة، به. وقال بعد أن أخرج الرواية المرفوعة: حدثنا قتيبة، حدثنا أبو بكر بن شعيب بن الحبحاب، عن أبيه، عن أنس بن مالك، نحوه بمعناه، ولم يرفعه، ولم يذكر قول أبي العالية، وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة، وروى غير واحد مثل هذا موقوفا ولا يعلم أحد رفعه غير حماد بن سلمة، ورواه معمر، وحماد بن زيد، وغير واحد، ولم يرفعوه، حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، حدثنا حماد بن زيد، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس بن مالك نحو حديث عبد الله بن أبي بكر بن شعيب بن الحبحاب ولم يرفعه.

قال الألباني رحمه الله في التعليق على صحيح ابن حبان: ضعيف مرفوعا، صحيح موقوفا. غسان بن الربيع لم يوثقه غير المؤلف في «ثقاته» (٩/ ٢)، واختلف فيه قول الدارقطني، فقال مرة: صالح، مرة: ضعيف، وهذا هو الراجح، ولذا قال الذهبي: «ليس بحجة في الحديث»؛ كما بينته في «تيسير الانتفاع»، وقد توبع عند الترمذي (٣١١٨) وغيره.

لكن؛ خالف حماد غير واحد من الثقات، مثل حماد بن زيد وغيره، فرووه، عن شعيب بن الحبحاب به موقوفا، وهو أصح كما قال الترمذي، وتبعه الحافظ في حاشيته على «الموارد» (ص: ٤٣٢).

* **فائدة أخرى**: **أخرج ابن أبى حاتم في [تفسيره] (٣٩٢) قال**: حدثنا على بن الحسين بن إشكاب، ثنا على بن عاصم، عن سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة، عن الحسن البصري، عن أبى بن كعب مرفوعاً: «إن الله خلق

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آدم رجلا طوالا كثير لشعر الرأس كأنه نخلة سحوق». حسنه ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٣٦٧)[١].

ولكن تعقبه الشيخ الحوينى في تنبيه الهاجد (٢/ ٢٩٨): وهذا حديث منكرٌ، وسنده ضعيف أو واهٍ وعلى بن عاصم كان كثير الخطأ وسعيد بن أبى عروبة كان تَغيَّر، وعلى بن عاصم ليس من قدماء أصحابه، وقتادة مدلسٌ، والحسن البصري لم يسمع من أبى بن كعبٍ.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣٠٣٨)؛ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢٦٦٨)، وعبد الرزاق في المصنف (٦٠٨٦)، وأحمد في الزهد (٤٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثالثة والأربعون**: ضعف حديث (أكرموا النخلة عمتكم).

رُوى عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر يلقح غيرها).

وهو حديث موضوع: أخرجه أبو يعلى (١/ ٣٥٣، رقم ٤٥٥) وقال الهيثمى (٥/ ٨٩): فيه مسرور بن سعيد التميمي، وهو ضعيف. وابن أبى حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١١٨) قال ابن كثير: هذا حديث منكر جدًّا. والعقيلي مختصراً (٤/ ٢٥٦)، وقال العقيلى: هو غير محفوظ لا يعرف إلا بمسرور.

وأخرجه ابن عدى (٦/ ٤٣١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٣) وقال: غريب من حديث الأوزاعي عن عروة تفرد به مسرور بن سعيد.

وأخرجه أيضاً: ابن عساكر (٧/ ٣٨٢)، وأورده ابن الجوزى في الموضوعات من طريق أبى نعيم (١/ ٢٩٠، رقم ٣٨٥).

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة (١/ ٤٧٩): رواه أبو نعيم عن علي مرفوعا وفي إسناده مسرور بن سعيد التميمي وهو منكر الحديث وقال ابن عدي إنه غير معروف ورواه ابن عدي عن ابن عمر مرفوعا وفي إسناده جعفر بن أحمد بن علي الغافقي وضاع وقال ابن عدي لا شك أنه وضع هذا الحديث وأخرج الأول العقيلي وأبو يعلى في مسنده وابن أبي حاتم وابن مردويه معاً في التفسير وابن السني في الطب وروى ابن عساكر له شاهدا في تاريخه من حديث أبي سعيد قال سألنا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والحديث موضوع كما قال الحافظ أحمد الغماري في [المغير] (ص: ٢٦)، وكما في السلسلة الضعيفة للألباني (١/ ٥٣، رقم ٢٦٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الرابعة والأربعون: إطلاق التشبيه بالنفع على وصف الأيمان.**

أطلق النبي ﷺ التشبه بالنفع على وصف الإيمان للمؤمن وأن هذا النفع إنما هو في الأصل ناتج عن إيمان هذا العبد؛ فكان ثمر إيمانه يأتي كل حين، وكما عددنا ثمرات النخلة ومنافعها، وانتفاع الناس منها كذلك نورد هنا ثمرات الإيمان عند المؤمن؛ **فمن ذلك:**

١ ـ أنه يثمر للعبد محبه الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره، واجتناب نهيه، وإذا قام العبد بذلك نال بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة.

٢ ـ أن الإيمان بالله ينشئ في النفس الأنفة والعزة؛ لأنه يعلم أن الله هو المالك الحقيقي لكل ما في هذا الكون، وأنه لا نافع ولا ضار إلا هو، وهذا العلم يغنيه عن غير الله، وينزع من قلبه خوف سواه، فلا يرجو إلا الله، ولا يخاف سواه.

٣ ـ أن الإيمان بالله ينشئ في نفسه التواضع؛ لأنه يعلم أن ما به من نعمة فمن الله، فلا يغره الشيطان، ولا يبطر ولا يتكبر، ولا يزهو بقوته وماله.

٤ ـ أن المؤمن بالله يعلم علم اليقين أنه لا سبيل إلى الفلاح والنجاة إلا بالعمل الصالح الذي يرضاه الله، في حين يعتقد غيره اعتقادات باطلة كاعتقاد أن الله أمر بصلب ابنه تكفيرا عن خطايا البشر، أو يؤمن بآلهة ويعتقد أنها تحقق له ما يريد، وهي في حقيقتها لا تنفع ولا تضر، أو يكون ملحدا فلا يؤمن بوجود خالق .. وكل هذه أماني، حتى إذا وردوا على الله يوم القيامة وعاينوا الحقائق أدركوا أنهم كانوا في ضلال مبين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥ـ أن الإيمان بالله يربي في الإنسان قوة عظيمة من العزم والإقدام والصبر والثبات والتوكل حينما يضطلع بمعالي الأمور في الدنيا ابتغاء لمرضاة الله، ويكون على يقين تام أنه متوكل على ملك السموات والأرض، وأنه يؤيده ويأخذ بيده، فيكون راسخًا رسوخ الجبال في صبره وثباته وتوكله(١).

٦ـ الإيمان الصادق يُضفي الطمأنينة والراحة النفسية والانشراح للصدر، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

٧ـ دفاع الله عن أوليائه وحزبه وأحبابه المؤمنين؛ ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، ومن ذلك: دفاع الله عن نبيه محمد ﷺ في حادثة هِجرته، ودفاعه ﷻ عن الخليل إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النَّار.

٨ـ حصول البشارة لأهل الإيمان بكرامة الله لهم؛ يقول الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، ولا تكن البشارة إلا بعظيم؛ فيظهر أثرها على البشارة؛ ولذا سميت بشارة، ولا أعظم من رحمة الله ﷻ ورضوانه وجنته، يقول ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

٩ـ جعل الخير في كل حال للمؤمن؛ ففي حال السعة وفي حال الضيق يكون الخير حليفًا للمؤمن، قال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر فكان

(١) الإسلام أصوله ومبادئه (١٧٩)؛ للشيخ/ السحيم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له». رواه مسلم، فالإيمان يحمل صاحبه على الصبر في الضرّاء، والشكر في السراء.

١٠ ـ تحصيل المعيَّة الخاصة من الله للمؤمنين، أي: يخرجهم من ظلمات الكفر وتبعاته إلى نور الإيمان.

يقول بعض الفضلاء: (فمما لا شك فيه أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ والتنشئة الصحيحة؛ فالإنسان حين ينشأ على الإيمان بالله، ويتربى على الخشية منه والمراقبة له، والتوكل عليه والاستعانة به، والتسليم لجنابه، تصبح عنده الملكة الفطرية والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والاعتياد على كل خلق فاضل كريم؛ لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره والمراقبة الإلهية التي ترسخت في أعماق وجدانه، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره وإحساساته ـ كل ذلك بات حائلًا بينه وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة، والتقاليد الجاهلية الفاسدة، بل إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقًا أصيلًا من أبرز أخلاقه وصفاته، فهناك صلة وثيقة بين الإيمان والأخلاق، ورابطة متينة بين العقيدة والعمل؛ فبغير إيمان بالله لا يتحقق إصلاح ولا يتقوم خلق)[1].

❁ ❁ ❁

(١) الدعوة السلفية (١٠٩) لمحمود عبد الحميد العسقلاني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الخامسة والأربعون**: فائدة في قوله: (فوقع الناس في شجر البوادي).

لفظ (وقع) يفيد استغراق فكرهم وانشغالهم في طلب الجواب عن سؤال رسول الله ﷺ وفيه سرعة استجابتهم، وبذل أقصى ما عندهم في ذلك.

قال بدر الدين العيني: (فوقع الناس في شجر البوادي، أي: ذهبت أفكارهم إلى شجر البوادي، وذهلوا عن النخلة، فجعل كل منهم يفسرها بنوع من الأنواع، يقال: وقع الطائر على الشجرة إذا نزل عليها)[1].

يقول د. علي صبح: (بلاغة التصوير الأدبي في العرض القصصي بأسلوب الحوار: حينما عرض النبي ﷺ على الصحابة ﷺ سؤالًا عن شجرةٍ لا يسقط ورقها، وذكر لهم بعض خصائصها التي تلتقي فيها صفات المسلم، لكي يحرك العقل والمشاعر، وينمي الذكاء في النفس، ويتنافس المتلقي مع غيره في المهارات العقلية؛ لتعميق التجارب الإنسانية في الحياة، والكشف عن أعماق الخبرة والحنكة في فهم أسرار الواقع، مما دعا كل المستمعين إلى أن يتسابقوا في عرض خبراتهم في الحياة، وإظهار ذكائهم وقدراتهم العقلية والفكرية، فانطلق كل واحد يفسرها حسب خبرته وتجاربه الفكرية والعلمية والواقعية في الحياة، ويذكر نوعًا من الأشجار الكثيرة التي انتشرت في البوادي، وتنوعت أشكالها وأنواعها في الصحراء والوديان وعلى الجبال.

(١) عمدة القاري (٢/ ٤٠٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكن هذه الإجابات المتنوعة ابتعدت عن المطلوب، ولم تتفق مع صفات الشجرة المطلوبة التي رمز إليها الرسول ﷺ ببعض صفاتها، حتى يحرك الأذهان وينمي الذكاء، ويعمق التفكير، وابتعدوا جميعًا عن النخلة ورسول الله يتلقى الإجابات بصدر واسع وقلب مفتوح، ما عدا الراوي عبد الله بن عمر الذي خطر في باله وهداه تفكيره وذكاؤه وعمقُ تجربته هنا إلى أنها النخلةُ، فكاد أن ينطق ويعلن عما دار في عقله وخلده ليسمع رسول الله ﷺ الإجابة الصحيحة، لكن حياءه منعه من أن يعلن ذلك، وحوله كبار الصحابة ﷺ ومنهم شيخ الإسلام أبو بكر الصديق، وأعدل أهل الأرض بعد رسول الله الكريم والده عمر بن الخطاب وغيرهما ﷺ هيبة منهم وتوقيرًا لهم، وخاصة وفي كل مرة يطرح هذا السؤال بصفات أخرى، ويتلقى الإجابة غير الصحيحة، ثم يزيدهم بعض الصفات لها، حتى تكون أكثر وضوحًا كما ورد في رواية: «إنها لا ينقطع ثمرها ولا يُعدم نيله ولا يبطل قطعها»، وفي رواية ثانية: «لا يسقط لها أبلمة ـأي: خوصةـ كما لا يسقط لمسلم دعوة»، وفي رواية رابعة: «إن من الشجر ما بركته كبركة المسلم» فعجزوا، حتى قالوا: حدثنا عنها يا رسول الله، فقال مجيبًا عن السؤال بعد هذا الحوار القصصيِّ الشيق، الذي اشتركت فيه الشخصيات القصصية المختلفة، قال ﷺ: «إنها النخلة». لأنها كالمسلم ينتفع بجميع أجزائها المتنوعة كالثمرة والجريدة والليف والخوص والعرجون حتى النوى في علف الدواب، والظلال، لأن المسلم كله خير، كما ورد في الحديث الشريف: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المؤمن الضعيف و في كل خير»)[١].

(١) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، على علي صبح (٢٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السادسة والأربعون**: المؤمن قليل الكلفة كثير المعونة.

المؤمن يسير المؤنة، قليل الكلفة لنفسه قليل الكلفة على إخوانه، لا يكلف أحدا من حاله شيئًا، وهو في ذات الوقت كثير المعونة فهو معوان لإخوانه خفيف المؤنة على أهل الإيمان.

إنه يعطي أكثر مما يأخذ؛ فلم يستكثر من حطام الدنيا، ولم يقف على أبواب الملوك يتحسس ما عندهم منها، كافّ بصره عما في أيدي الناس، يبني حياته القصيرة على ذلك؛ فيكون خفيف المحمل، قليل المؤنة، لا يرهق نفسه، ولا يرهق غيره؛ لأنه بهذا يتقرب إلى رب الأرض والسماء، وأنه يدفع ثمن سلعة غالية عند الله.

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (العدل أن يعطي ما عليه، ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقل مما له)[1].

يقول أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الفائدة التاسعة، خفة المؤنة؛ فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير، والذي تعود الشبع صار بطنه غريمًا ملازمًا له، آخذًا بمخنقه في كل يوم؛ فيقول: ماذا تأكل اليوم فيحتاج؟ إلى أن يدخل المداخل؛ فيكتسب من الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل، وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الذل والقماءة، والمؤمن خفيف المؤنة، وقال بعض الحكماء: إني لأقضي عامة حوائجي بالترك؛ فيكون ذلك أروح لقلبي. وقال آخر: إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة

(١) فيض القدير (١/ ١٣٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهي خير غريم لي، وكان إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ يسأل أصحابه عن سعر المأكولات؛ فيقول: إنها غالية. فيقول: أرخصوها بالترك. وقال سهل رَحِمَهُ اللَّهُ: الأكول مذموم في ثلاثة أحوال: إن كان من أهل العبادة فيكسل، وإن كان مكتسبًا فلا يسلم من الآفات، وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه)[١].

لن يكون ما يبذله المؤمن المتقي من عرض هذه الحياة الدنيا ضائعًا ولا مقطوعًا؛ فعنه ينشأ الأجر الأوفى في الدار الأبقى، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئا، وأتكفل له بالجنة؟». قال ثوبان: أنا. فكان لا يسأل أحدا شيئا[٢].

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٨٧).

(٢) رواه أبو داود (١٦٤٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٦) (٢٢٤٢٨)، والحاكم (١/ ٥٧١). وصحح إسناده المنذري في (الترغيب والترهيب) (٢/ ٣٩)، وصحح إسناده النووي في (رياض الصالحين) (٢٣٧)، وصححه الألباني في (صحيح أبي داود) (١٦٤٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السابعة والأربعون**: رد السيئة بالحسنة.

تحل السكينة والطمأنينة حيثما حل المرءُ وهو يُقابل السيئةَ بالحسنة، وهو يفعل هذا كله لوجه الله وحده، لا طمعًا في دنيا يُصيبُها، ولا خوفًا من شرٍّ يلحق به؛ فإن هذا أعظمُ بكثير من اللذة العارضة الحاصلة من الانتصار للنفس في كل موقف، أو على الأقل من يقابلُ السيئةَ بمثلها؛ قال ﷺ: «وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» أخرجه مسلم في صحيحه.

إن أرباب هذه السجية قد ارتقوا مرتبة عظيمة لا يرتقي إليها من عباد الله إلا من امتلك زمام نفسه وقسرها على ذلك؛ إذ فيه خيره وسعادته في الآجلة وصلاح أمره العاجلة، والأمر مشهود ومجرب، وقد جاء في وصف النبي ﷺ: «لا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر»(١).

ولقد تركز في النفوس غريزة حب الانتقام والتشفي والانتصار للنفس، فمن خالف هواه وأخذ بتوجيه مولاه وقابل السيئة بالحسنة فُتح له باب رحمة وسكينة وسعادة ودخل في حظيرة من رفعهم رب العزة؛ إذ يقول في معرض المدح والإشادة: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٥]. أي ما يرتقي إلى هذه المرتبة العظيمة إلا من صبر على حبس النفس وكظم الغيظ واحتمال المكروه ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]. أي ذو حظ وافر من السعادة في الدنيا والآخرة

وقوله: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤] أي: فرق عظيم بين

(١) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية الصخب في السوق (٣/ ٦٧)، رقم (٢١٢٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه وهذه، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤] أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر ﷺ ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم.

وقال تعالي: ﴿وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِّ﴾ [فصلت: ٣٦] أي: إن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله ولجأت إليه، كفه عنك ورد كيده. وقد كان رسول الله ﷺ: إذا قام إلى الصلاة يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه».

قال ابن كثير: (وقد قدمنا أن هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في [سورة الأعراف] عند قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩_٢٠٠] وفي سورة المؤمنين عند قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [النور: ٩٦_ ٩٨] لكن الذي ذكر في الأعراف أخف على النفس مما ذكر في سورة السجدة؛ لأن الإعراض عن الجاهل وتركه أخف على

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النفس من الإحسان إلى المسيء فتتلذذ النفس من ذلك ولا انتقاد له إلا بمعالجة ويساعدها الشيطان في هذه الحال، فتنفعل له وتستعصى على صاحبها، فتحتاج إلى مجاهدة وقوة إيمان؛ فلهذا أكد ذلك هاهنا بضمير الفصل والتعريف باللام فقال: فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم). أ.هـ.

يقول ابن حبان البستي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن جهل عليك جاهل فلينفعن إياك حلمك وإنك إذا لم تحسن حتى يحسن إليك فما أجرك وما فضلك على غيرك فإذا أردت الفضيلة فأحسن إلى من أساء إليك واعف عمن ظلمك وانفع من لم ينفعك وانتظر ثواب ذلك من قبل الله فإن الحسنة الكاملة التي لا يريد صاحبها عليها ثوابا في الدنيا)[1].

ووجه المناسبة أن النخلة عاليَه الهمَّة، بعيدة عن الأذى، إذا رُمِيت بالحجارة ألقتْ رطباً، بل إن الشجرة المثمرة العالية وحدها هي من تقذف بالحجارة من أجل ثمرها وما رميت بذلك الحجر إلا لإمتلائها بالثمار النافعة والمفيدة، والرامي إما يكون قاصدا للثمرة وإما عابثاً لاعباً، وفى الموضعين لا ترد إلا بالثمر النافع.

أما تلك الأشجار الخاوية الخالية فلا احد يلقى لها بالاً .. لا أحد يقذفها .. ولا أحد يصنع لها مكانا في نفسه ... حتى كأنه لا يراها.

❁ ❁ ❁

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (٢١١)، بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثامنة والأربعون**: دوام الستر باللباس والزينة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثالث: دوام لباسها وزينتها فلا يسقط عنها صيفا ولا شتاء كذلك المؤمن لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها حتى يوافي ربه تعالى..)[1].

هذا من فقهه رَحِمَهُ اللَّهُ وفراسته فإن الشاهد من قوله ﷺ «لا يسقط ورقها» يعضض ذلك إذ أن الورق مقامه مقام اللباس و الزينة للنخلة، فإن الله تعالى أمتدح في المؤمن أفضل ما فيه و هو لباس التقوى؛ و ذلك كما أمتدح النبي ﷺ النخلة في زينتها بورقها. فذلك خير لباس وأجمل من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ **في مفتاح دار السعادة**: (فصل: ثم تأمل هذه النخلة التي هي إحدى آيات الله تجد فيها من الآيات والعجائب ما يبهرك فإنه لما قدر أن يكون فيه إناث تحتاج إلى اللقاح جعلت فيها ذكور تلقحها بمنزلة الحيوان وإناثه ولذلك اشتد شبهها من بين سائر الأشجار بالإنسان خصوصا بالمؤمن كما مثله النبي وذلك من وجوه كثيرة احدها ثبات أصلها في الأرض واستقراره فيها وليست بمنزلة الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار الثاني طيب ثمرتها وحلاوتها وعموم المنفعة بها كذلك المؤمن طيب الكلام طيب العمل فيه المنفعة لنفسه ولغيره الثالث دوام لباسها وزينتها فلا يسقط عنها صيفا ولا شتاء كذلك المؤمن

(١) مفتاح دار السعادة (٢٣٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها حتى يوافي ربه تعالى الرابع سهولة تناول ثمرتها وتيسره أما قصيرها فلا يحوج المتناول أن يرقاها وأما باسقها فصعوده سهل بالنسبة إلى صعود الشجر الطوال وغيرها فتراها كأنها قد هيئت منها المراقي والدرج إلى أعلاها وكذلك المؤمن خيره سهل قريب لمن رام تناوله لا بالغر ولا باللئيم الخامس أن ثمرتها من انفع ثمار العالم فإنه يؤكل رطبه فاكهة وحلاوة ويابسة يكون قوتا وأدما وفاكهة ويتخذ منه الخل والناطف والحلوى ويدخل في الأدوية والأشربة وعموم المنفعة به وبالعنب فوق كل الثمار).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة التاسعة والأربعون**: أربع فوائد ذكرها الصفوري في [نزهة المجالس] على الحديث.

قال عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (المتوفى: ٨٩٤هـ):

(وشبهها ـأي كلمة التوحيدـ بالنخلة قال الله تعالى كشجرة طيبة ... [ثم قال]: فإن النخلة لا تثبت في كل أرض وهذه الكلمة لا تنبت في كل قلب والنخلة أطول الأشجار وهذه الكلمة أصلها في القلب وفرعها تحت العرش، وثمرتها لا تنقص قيمتها بالنواة والمؤمن لا تنقص قيمته بالمعصية التي بينه وبين الله تعالى.

والنخلة أسفلها شوك وأعلاها رطب وهذه الكلمة أولها تكاليف فمن أتى بها وصل إلى ثمرتها وهي النظرة إلى الله تعالى)[(١)].

وقال في موضع آخر: لطيفة: النخلة إذا نبتت في الأرض الباردة كانت سريعة التلف وثمرها رديء كذلك القلب إذا كان باردا من خشية الله كان عمله قليلا ويخاف عليه عند الموت من زوال الإيمان والعياذ بالله تعالى[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس (١/ ٧١).

(٢) نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٢/ ٢٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الخمسون: ثبات الأصول.

يقول الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد ـحفظه اللهـ: ثالثاً: أنّ النخلةَ شديدةُ الثبوت، كما قال الله تعالى في الآية المتقدمة: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾، وهكذا الشأنُ في الإيمان إذا رسخ في القلب فإنه يصير في أشدّ ما يكون من الثبات لا يزعزعه شيء، بل يكون ثابتاً كثبوت الجبال الرواسي.

وسُئل الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإيمان أيزيد؟ قال: «نعم حتى يكون كالجبال، قيل: أينقص؟ قال: نعم حتى لا يبقى منه شيء»(١).

وسئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن زيادة الإيمان ونقصانه فقال: «يزيد حتى يبلغ أعلى السموات السبع، وينقص حي يصير إلى أسفل السافلين السبع»(٢). أ هـ(٣).

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧]: جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ناشئاً عما أثاره تمثيل الكلمة الطيبة بالشجرة الثابتة الأصل بأن يسأل عن الثبات المشبه به: ما هو أثره في الحالة المشبهة فيجاب بأن ذلك الثبات ظهر في قلوب أصحاب الحالة المشبهة وهم الذين آمنوا إذ ثبتوا على الدين ولم يتزعزعوا فيه لأنهم استثمروا من شجرة أصلها ثابت.والقول: الكلام. والثابت الصادق الذي لا شك فيه. والمراد به أقوال القرآن لأنها صادقة

(١) رواه اللالكائي في شرح الاعتقاد (٥/ ٩٥٩).

(٢) رواه ابن أبي يعلى في الطبقات (١/ ٢٥٩).

(٣) تأملات في مماثلة المؤمن للنخلة (٤٠ ـ ٤١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المعاني واضحة الدليل، فالتعريف في (القول) لاستغراق الأقوال الثابتة. والباء في ﴿بِالْقَوْلِ﴾ للسببية. ومعنى تثبيت الذين آمنوا بها أن الله يسر لهم فيهم الأقوال الإلهية على وجهها وإدراك دلائلها حتى اطمأنت إليها قلوبهم ولم يخامرهم فيها شك فأصبحوا ثابتين في إيمانهم غير مزعزعين وعاملين بها غير مترددين.

وذلك في الحياة الدنيا ظاهر، وأما في الآخرة فبإلفائهم الأحوال على نحو مما علموه في الدنيا، فلم تعترهم ندامة ولا لهف. ويكون ذلك بمظاهر كثيرة يَظهر فيها ثباتهم بالحق قولاً وانسياقاً، وتظهر فيها فتنة غير المؤمنين في الأحوال كلها.

قال ابن القيم في سياق بيانه لمعنى المثل في قول الله ﷻ: (﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:٢٤]: فإن المقصود بالمثل المؤمن، والنخلة مشبهة به وهو مشبه بها، وإذا كانت النخلة شجرة طيبة فالمؤمن المشبه بها أولى أن يكون كذلك)[(١)].

ويقول د. عائض القرني: (ووجه الشبه بين المسلم والنخلة أمور قالها أهل العلم: ثبات الأصل: فالنخلة ثابتة الأصل والمسلم ثابت الأصل، تعاليمه سماوية، لا يأخذ تعاليمه من البشر، ولا من أفكارهم ولا من خرافاتهم فهو ثابت في الأرض؛ لأن مبدأه ثابت وعميق في الأرض، يعتمد على (لا إله إلا الله) ويعتمد على قرآن من الله ﷻ، وعلى سنة من

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٣٠١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، والنخلة ليس على وجه الأرض مثلها فالحنظلة ـمثلاًـ لو مرت شاة وأكلت منها اقتطعتها واقتطعت عروقها، أما النخلة فإنها تقاوم الإعصار، فهي مثل المسلم بثبات الأصل، هذا وجه شبه بين المسلم والنخلة).

* **فائدة**: النخلة لابد لها من ثلاثة أشياء لا تكتمل حياتها إلا بها الجذور والعروق الراسخة في الأرض والأصل القائم والفروع العوالي؛ وكذلك شجرة الأيمان في قلب المؤمن لا تصلح لها حياة إلا بثلاث: تصديق خالص لله تعالى؛ راسخ في قلب المؤمن وقول وعمل. قال بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال فكذلك الإيمان لا يقوم ولا يثمر إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان[1].

(١) عمدة القاري (٢٧/ ٣٩٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الواحدة والخمسون**: فائدة أدبية من كتاب [أمثال الحديث] للرامهرمزى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (حدثنا محمد بن علي الناقد ثنا إبراهيم بن الحسن العلاف ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن مجاهد عن ابن عمر قال كنت عند النبي ﷺ وهو يأكل جمارا فقال إن من الشجر كالرجل المؤمن فأردت أن أقول هي النخلة فنظرت في وجوه القوم فإذا أنا أحدثهم فقال رسول الله ﷺ هي النخلة).

قوله لا يتحات ورقها يعني لا يتساقط كما يتساقط ورق الشجر وورقها خوصها وأصل الحت الفرك **قال الشاعر**:

تحتُّ بقرنيها برير أراكة وتعطو بظلفيها إذا الغصن طالها.

وسمي الخوص ورقا كما سمي النخلة شجرة وفي هذا كلام بين الفقهاء. والنخلة سيدة الشجر ضربها الله تعالى مثلا لقول لا إله إلا الله فقال مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ومثلها رسول الله ﷺ بالرجل المؤمن القوي في إيمانه المنتفع به في جميع أحواله والعرب تعظمها ويكثر في أشعارها ذكرها وزعم قوم ممن يتعمق في الاشتقاق إن اسمها مشتق من الاتخال وهو التصفية والاختيار قالوا فهي صفوة الشجر ومختار المعاش.

وهذا قول نادر شاذ تقول ونخلت الشيء إذا صفيته ونخلت الكلام والشعر إذا هذبته ولخصته **قال الشاعر**:

تنخلتها مدحا لقوم ولمأكن لغيرهم فيما مضى أتنخل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبه سمي المتنخل الشاعر ويقول أشد من نخلة وأعظم بركة من نخلة وتوصف المرأة الجزلة بها وتوصف الفرس بجذعها والقمر حين يبدو بعرجونها ويشبه الخلق في تمامه وشطاطه بمجالها ويسمى طلعها الكافور وجمارها الإغريض وهو الفضة ويقال إنه ليس في المأكول أنظف منها وقال رجل من العرب يصف نسوة كلامهن أقتل من النبل وأوقع في القلوب من الوبل في المحل وفروعهن أحسن من فروع النخل

وقال الشاعر:

كأن فروعهن بكل ريح عذارى بالذوائب ينتصينا.

وقال العرجي:

حوراء يمنعها القيام إذا قعدت تمام الخلق والبهر

كالعذق في رأس الكثيب نما طولا ومال بفرعه الوقر.

وقال الحارث المخزومي:

كالعذق زعزعه رياح حرجف فاهتز بعد فروعه قنواته.

ويقال في بلوغ الغاية في صفاء الشيء وليانه ومخه ما هو إلا جمارة وكأنه جمارة النخل كما قال الجهني أنتم جمارة من هاشم ... والكرانيف سواكم والحطب[1].

(١) الأمثال (٧٠_ ٧٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الثانية والخمسون: ستر الله ـتعالىـ على عبده المؤمن في الدارين.

هذه تكتة زائدة على ما ورد في إفائدة الثامنة والأربعين، فإذا كان ورق النخل يقابله لباس المؤمن فإن لكل لباس أثر، وأثر اللباس في المؤمن هو دوام الستر كما أن أثر الورق دوام الظل.

المؤمن لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها ـمادام قائما على نفسه بالمراقبة وأرغمها على الطاعة وزجرها عن المعصيةـ حتى يوافي ربه تعالى فإن حرص على ديمومة ذلك فإن الله تعالى يرزقه به دوام الستر في الدنيا وفى الآخرة وهذا هو المعنى الذي أشار إليه رسول الله ﷺ؛ كما في حديث صفوان بن محرز المازني، قال بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل فقال كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[(١)].

إن المؤمن وإن تعرى ببعض الذنوب فإنه لا يبرح وقته و مكانه حتى يتوب إلى الله تعالى من قريب. فكما أن سقوط ورقة أو ورقتين من النخلة

(١) أخرجه أحمد (٥٤٣٦)، والبخاري (٢٣٠٩) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يعنى زوال ظلها كذلك فعل العبد المؤمن لبعض المعاصي لا يعنى به زوال ستر الله ـتعالىـ عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الثالثة والخمسون: ليس لأهل الباطل عمل يرفع ولا ذكر يسمع.

أما أهل الباطل فالخير منهم معدوم ـ ماداموا على باطلهم ـ، فلا يصعد لهم قول طيب ولا عمل صالح ولا دعوة مستجابة، وما ذلك إلا لأن عملهم صار ريبة في قلوبهم، ليس له أصل ثابت وهو الإخلاص والاستسلام لأمر الله وشريعته، فيُسئ ذكرهم عند أهل الصلاح، وإن ذُكروا فلا يذكرون إلا بشرٍ وسوءٍ.

أما المؤمنون فإن ذكرهم في الخلق مطيب، ومجلسهم في الناس محبب، يترحم عليهم ويستغفر لهم أهل الصلاح وأصحاب السنن، يقول النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانا فأحبه، فينادي في السماء، ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض»، فذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [طه: ٩٦].

يقول شيخ الإسلام: (... ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [الرعد:٢٦] لا مكان تستقر فيه ولا استقرار في المكان؛ فإن القرار يراد به مكان الاستقرار كما قال تعالى: ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [الرعد: ٢٩] وقال: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤]. ويقال: فلان ما له قرار أي ثبات وقد فسر القرار في الآية بهذا وهذا فالمبطل ليس قوله ثابتا في قلبه ولا هو ثابت فيه ولا يستقر كما قال تعالى في المثل الآخر: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] فإنه وإن اعتقده مدة فإنه عند الحقيقة يخونه كالذي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يشرك بالله فعند الحقيقة يضل عنه ما كان يدعو من دون الله. وكذلك الأفعال الباطلة التي يعتقدها الإنسان عند الحقيقة تخونه ولا تنفعه بل هي كالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار فمن كان معه كلمة طيبة أصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله إلى الله فإنه سبحانه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ومن لم يكن معه أصل ثابت فإنه يحرم الوصول؛ لأنه ضيع الأصول؛ ولهذا تجد أهل البدع والشبهات لا يصلون إلى غاية محمودة كما قال تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد: ١٤])[1].

أما الشجرة الخبيثة فهي الجهل بالله فإنه أول الآفات وعنوان المخالفات ورأس الشقاوات يقول تعالى ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

*** فشبه الكلمة الخبيثة بشجرة موصوفة بصفات ثلاث:**

الصفة الأولى أنها تكون خبيثة فمنهم من قال إنها الثوم لأنه ﷺ وصف الثوم بأنها شجرة خبيثة

وقيل إنها الكراث وقيل إنها شجرة الحنظل لكثرة ما فيها من المضار وقيل إنها شجرة الشوك.

وهذا التفصيل لا حاجة إليه فإن الشجرة قد تكون خبيثة بحسب

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرائحة وقد تكون بحسب الطعم وقد تكون بحسب الصورة والمنظر وقد تكون بحسب اشتمالها على المضار الكثيرة والشجرة الجامعة لكل هذه الصفات وإن لم تكن موجودة إلا أنها لما كانت معلومة الصفة كان التشبيه بها نافعاً في المطلوب .

والصفة الثانية قوله ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ﴾ [إبراهيم: ٢٦] وهذه الصفة في مقابلة قوله ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [إبراهيم: ٢٤] ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الإجتثاث أخذ الجثة كلها وقوله مِن فَوْقِ الأرض معناه ليس لها أصل ولا عرق فكذلك الشرك بالله تعالى ليس له حجة ولا ثبات ولا قوة.

والصفة الثالثة قوله ما لها من قرار وهذه الصفة كالمتممة للصفة الثانية والمعنى أنه ليس لها استقرار يقال قر الشيء قراراً كقولك ثبت ثباتاً شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت.

وهذا الصف للكلمة الخبيثة في غاية الكمال وذلك لأنه تعالى بين كونها موصوفة بالمضار الكثيرة وخالية عن كل المنافع أما كونها موصوفة بالمضار فإليه الإشارة بقوله خَبِيثَة وأما كونها خالية عن كل المنافع فإليه الإشارة بقوله: ﴿ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٦] والله أعلم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الرابعة والخمسون**: ما جاء في تشبيه المؤمن بالنحلة (بالحاء المهملة).

قال شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ)؛ فائدة: جاء في حديث آخر: أن النبي ﷺ شبه المؤمن بالنحلة بالنون المعجمة والحاء المهملة، فقد قال البيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد قال: صاحبت ابن عمر من مكة إلى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا هذا الحديث: «إن مثل المؤمن كمثل النحلة إن صاحبته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن جالسته نفعك، وكل شأنه منافع» وكذاك النحلة كل شأنها منافع.

قال ابن الأثير: وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة حذق النحلة وفطنته وقلة أذاه وقنوعه وسعيه في الليل وتنزهه عن الأقذار وطيب أكله، وأنه لا يأكل من كسب غيره، ونحوله وطاعته لأميره، وإن للنحل آفات تقطعه عن عمله منها: الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار، وكذلك للمؤمن آفات تقطعه عن عمله: ظلمة الغفلة، وغيم الشك، وريح الفتنة، ودخان الحرام، وماء الخمر، ونار الهوى.

قال العسكري في تصحيفات المحدثين: ومما يحتاج إلى ضبط وتقييد حديثان روي في أحدهما: «مثل المؤمن مثل النخلة» بالخاء المعجمة، وروي في الحديث الآخر: «مثل المؤمن مثل النحلة» وجميعاً صحيح.

فأما بالخاء المعجمة فحدثنا أبو جعفر بن زهير حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنا جرير عن ليث عن محمد بن طارق عن مجاهد قال:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صحبت ابن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة فما سمعته يحدث عن نبي الله ﷺ إلا هذا الحديث: «مثل المؤمن كالنخلة إن جالسته نفعك وإن شاورته نفعك وإن صاحبته نفعك وإن شاركته نفعك وكل شيء من شأنه منافع» الخاء في هذا الحديث معجمة لا يجوز غيرها.

فأما النحلة معجمة فحدثنا به ابن أخي أبي زرعة حدثنا محمد بن عيسى بن حيان المدائني حدثنا سلام بن سليمان الثقفي حدثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن مثل النحلة تأكل طيباً وتضع طيباً» وهذا المعجمة لا يجوز غيرها[1].

(١) تصحيفات المحدثين (١/ ٣٩٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الخامسة والخمسون**: **الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها.**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها، فإذا انقطع عنها السقي أوشك أن تيبس، فتذهب نضرتها ويضمحل النفع منها، وهكذا شجرة الإيمان في قلب العبد المؤمن إن لم يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعمل النافع والصالح والعود بالتذكر على التفكر والتفكر على التذكر، أوشك أن يهلك ويذهب نوره.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان يخلق في القلب كما يخلق الثوب فجددوا إيمانكم»[(١)] ومن هنا نعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات وعظيم رحمته وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده بأن وظفها عليها وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم.

(ومن ذلك أن الغرس لا بد أن يخالطه دغل ونبت غريب ليس من جنسه، فإن تعاهده ربه ونقاه وقلعه كمل الغرس والزرع، واستوي، وتم نباته، وكان أوفر لثمرته، وأطيب وأزكى، وإن تركه أوشك أن يغلب على الغرس والزرع، ويكون الحكم له، أو يضعف الأصل ويجعل الثمرة ذميمة ناقصة بحسب كثرته وقلته، ومن لم يكن له فقه نفس في هذا ومعرفة به فإنه يفوته ربح كبير وهو لا يشعر؛ فالمؤمن دائماً سعيه في

(١) الحديث ليس في المسند بهذا اللفظ، وإنما رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤). وقال: رواته مصريون ثقات. ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٥٢): رواه الطبراني في المعجم الكبير وإسناده حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شيئين: سقي هذه الشجرة، وتنقية ما حولها، فبسقيها تبقى وتدوم وبتنقية ما حولها تكمل وتتم، والله المستعان وعليه التكلان) أ. هـ[1].

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السادسة والخمسون: بعض أسرار تشبيه المؤمن بالشجرة.**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي هذا المثل من الأسرار والعلوم والمعارف ما يليق به، ويقتضيه علم الذي تكلم به وحكمته.

فمن ذلك أن الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع وورق وثمر، فكذلك شجرة الإيمان والإسلام؛ ليطابق المشبه المشبه به، فعروقها العلم والمعرفة واليقين، وساقها الإخلاص، وفروعها الأعمال، وثمرتها ما توجبه الأعمال الصالحة من الآثار الحميدة والصفات الممدوحة والأخلاق الزكية والسمت الصالح والهدي والدل المرضي، فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور، فإذا كان العلم صحيحا مطابقا لمعلومه الذي أنزل الله كتابه به والاعتقاد مطابقا لما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله والإخلاص قائم في القلب والأعمال موافقة للأمر، والهدي والدل والسمت مشابه لهذه الأصول مناسب لها، علم أن شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإذا كان الأمر بالعكس علم أن القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)[1].

❁ ❁ ❁

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٣١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة السابعة والخمسون: ما جاء في شرف النخلة على غيرها ـ وأن شرف المَثَل دليل على شرف المُمَثْل به.

لا يكاد المرء يقف عند أية من كتاب الله يذكر فيها نعمه وأيامه على عباده إلا وتجد للنخلة فيها موضع يأتي في سياق المن وإظهار النعمة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٩] وخص النخيل بالذكر وقدمه على غيره، لأنها أشرف الفواكه المعروفة لديهم، وأنفعها عندهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢] قال الرازي قوله: وحففناهما بنخل أي وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين نظيره قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [غافر:٧٥] أي واقفين حول العرش محيطين به، وهذه الصفة مما يؤثرها الدهاقين ـأصحاب بساتين العنبـ في كرومهم وهي أن يجعلوها محفوفة بالأشجار المثمرة، وهو أيضا حسن في المنظر(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] أختص الله النخلة من بين الشجر واختارها ليكون من ثمرتها طعاما لمريم، ثم يصير بعد ذلك غذاءاً يشق جوف نبي من أنبياء الله. (فكلي واشربي) قال ابن حزي: (أي كلي من الرطب واشربي من ماء الجدول وهو السري وقري عينا أي طيبي نفسا بما جعل الله لك من ولادة

(١) مفاتيح الغيب (٢١/ ٤٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نبي كريم أو من تيسير المأكول والمشروب)[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: ١٤٨]. فما من شجرة أمتدحها الله في كتابه بمثل ما وصف به النخلة، وقد جاءت هذه الآية في سياق الامتنان والتذكير بالنعمة لمن كفر بها، ولأهل العلم فيها أقوال كثير تظهر الجانب البديعي والجمالي في وصف طلع النخلة، حتى قال شيخ المفسرين رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: «الهضيم»: هو المتكسر من لينه ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتحيفه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه إما بمس الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضا، وأصله مفعول صرف إلى فعيل)[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق:١٠]، فإنها صورة لا تحمل شيئاً من الحركة، وإنما وقف التعبير القرآني عند الطول الذي تتصف به النخيل، وثمارها المصفوفة بشكل جميل، أي الذي (قد رَكِبَ بعضه بعضاً)، وهذا هو المعنى اللغوي للنضيد، لا بفعل فاعل من البشر، بل من صنع الله المبدع، وهذه آية الجمال المستقرة في الصورة، وقد ورد هذا المعنى في الأدب العربي، يقول الشاعر مثلاً واصفاً أحد الجيوش:

إذا تدانى لم يُفرّجْ أجَمُه ... يرجفُ أنضادَ الجبال هزَمُه

و(أنضاد الجبال: ما تراصف من حجارتها بعضها فوق بعض). هكذا

(١) تفسير ابن حزي (٢/ ١٥٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٩٩_١٠٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطلع، الذي يكون تمراً بمرور الزمن، فهو متراصف بعضه فوق بعض، يسرّ الناظر منظره.

وعن سعد ﷺ قال رسول الله ﷺ: «من تصبح بسبع تمرات وفي لفظ من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سمّ ولا سحر»[١].

وعن جابر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «من قال سبحان الله العظيم غرست له نخلة في الجنة»[٢].

وعنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع نخلة، فقالت له امرأة من الأنصار: يا رسول الله، إن لي غلاما نجارا، أفلا آمره يصنع لك منبرا؟ قال: «بلى»، فاتخذ منبرا، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر، قال، فأن الجذع الذي كان يقوم عليه كأنين الصبي، فقال النبي ﷺ: «إن هذا بكى لما فقد من الذكر»[٣].

وأخرج ابن حبان وأبو يعلى وغيرهما بسند صحيح من حديث سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس قال: جاء رجل من بني عامر إلى النبي ﷺ كان يداوي ويعالج فقال له: يا محمد إنك تقول أشياء فهل لك أن أداويك؟ قال: فدعاه رسول الله ﷺ ثم قال له: «هل لك أن أريك آية؟» وعنده نخل وشجر. قال: فدعا رسول الله ﷺ عذقا منها فأقبل إليه وهو يسجد ويرفع، ويسجد ويرفع رأسه حتى انتهى إليه فقام بين يديه. ثم قال

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٥٧١)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري رجاله ثقات رجال الشيخين غير عائشة بنت سعد.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم (١٨٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٨٩)، وأحمد في المسند.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى مكانك» فرجع إلى مكانه فقال: والله لا أكذبك بشيء تقوله بعدها أبدا، ثم قال: يا عامر بن صعصعة إني والله لا أكذبه بشيء يقوله بعدها أبدا. قال: والعذق: النخلة[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (لقد صنف الجاحظ في المحاكمة بينهما مجلدا فأطال فيها الحجاج والتفضيل من الجانبين وفصل النزاع في ذلك أن النخل في معدنه و محل سلطانه أفضل من العنب وأعم نفعا وأجدى على أهله كالمدينة والحجاز والعراق.

والعنب في معدنه و محل سلطانه أفضل وأعم نفعاً وأجدى على أهله كالشام والجبال والمواضع الباردة التي لا تقبل النخيل وحضرت مرة في مجلس بمكة فيه من أكابر البلد فجرت هذه المسألة وأخذ بعض الجماعة الحاضرين يطنب في تفضيل النخل وفوائده وقال في أثناء كلامه ويكفي في تفضيله أنا نشتري بنواه العنب فكيف يفضل عليه ثمر يكون نواه ثمنا له وقال آخر من الجماعة قد فصل النبي النزاع في هذه المسألة وشفى فيها بنهيه عن تسمية شجر العنب كرما وقال الكرم قلب المؤمن فأي دليل أبين من هذا واخذوا يبالغون في تقرير ذلك فقلت للأول ما ذكرته من كون نوى التمر ثمنا للعنب فليس بدليل فإن هذا له أسباب احدها حاجتكم إلى النوى للعلف فيرغب صاحب العنب فيه لعلف ناضحه وحمولته الثاني أن نوى العنب لا فائدة فيه ولا يجتمع الثالث أن الأعناب

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٦٥٢٣)، أبو يعلى الموصلي في المسند رقم (٢٣٥٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، والحديث صححه كذلك الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عندكم قليلة جداً والتمر أكثر شيء عندكم فيكثر نواه فيشترى به الشيء اليسير من العنب وأما في بلاد فيها سلطان العنب فلا يشترى بالنوى منه شيء ولا قيمة لنوى التمر فيها وقلت لمن احتج بالحديث هذا الحديث من حجج فضل العنب لأنهم كانوا يسمونه شجرة الكرم لكثرة منافعه وخيره فإنه يؤكل رطبا ويابسا وحلوا وحامضاً وتجنى منه أنواع الأشربة والحلوى والدبس وغير ذلك فسموه كرما لكثرة خيره فأخبرهم النبي أن قلب المؤمن أحق منه بهذه التسمية لكثرة ما أودع الله فيه من الخير والبركة والرحمة واللين والعدل والإحسان والنصح وسائر أنواع البر والخير التي وضعها الله في قلب المؤمن فهو أحق بأن يسمى كرما من شجر العنب ولم يرد النبي إبطال ما في شجر العنب من المنافع والفوائد وإن تسميته كرما كذب وإنها لفظة لا معنى تحتها كتسمية الجاهل عالماً والفاجر براً والبخيل سخياً إلا ترى انه لم ينف فوائد شجر العنب وإنما اخبر عنه أن قلب المؤمن أغزر فوائد وأعظم منافع منها هذا الكلام أو قريب منه جرى في ذلك المجلس وأنت إذا تدبرت قول النبي الكرم قلب المؤمن وجدته مطابقا لقوله في النخلة مثلها مثل المسلم فشبه النخلة بالمسلم في حديث ابن عمر وشبه المسلم بالكرم في الحديث الآخر ونهاهم أن يخصوا شجر العنب باسم الكرم دون قلب المؤمن وقد قال بعض الناس في هذا معنى آخر وهو انه نهاهم عن تسمية شجر العنب كرما لأنه يقتنى منه أم الخبائث فيكره أن يسمى باسم يرغب النفوس فيها ويحضهم عليها من باب سد الذرائع في الألفاظ وهذا لا بأس به لولا أن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله فإن الكرم قلب المؤمن كالتعليل لهذا النهي والإشارة إلى انه أولى بهذه التسمية من شجر العنب ورسول الله اعلم بما أراد من كلامه فالذي قصده هو الحق وبالجملة فالله ـسبحانهـ عدد على عباده من نعمه عليهم ثمرات النخيل والأعناب فساقها فيما عدده عليهم من نعمه والمعنى الأول اظهر من المعنى الآخر إن شاء الله فإن أم الخبائث تتخذ من كل ثمر كالنخيل كما قال تعالى ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧] وقال انس نزل تحريم الخمر وما بالمدينة من شراب الأعناب شيء وإنما كان شراب القوم الفضيخ المتخذ من التمر فلو كان نهيه عن تسمية شجر العنب كرما لأجل المسكر لم يشبه النخلة بالمؤمن لان المسكر يتخذ منها والله اعلم الوجه السادس من وجوه التشبيه أن النخلة اصبر الشجر على الرياح والجهد وغيرها من الدوح العظام تميلها الريح تارة وتقلعها تارة وتقصف أفنانها ولا صبر لكثير منها على العطش كصبر النخلة فكذلك المؤمن صبور على البلاء لا تزعزعه الرياح.

وكذلك إن النخلة كلها منفعة لا يسقط منها شيء بغير منفعة فثمرها منفعة وجذعها فيه من المنافع مالا يجهل للأبنية والسقوف وغير ذلك وسعفها تسقف به البيوت مكان القصب ويستر به الفرج والخلل وخوصها يتخذ منه المكاتل والزنابيل وأنواع الآنية والحصر وغيرها وليفها وكربها فيه من المنافع ما هو معلوم عند الناس وقد طابق بعض الناس هذه المنافع وصفات المسلم وجعل لكل منفعة منها صفة في

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المسلم تقابلها فلما جاء إلى الشوك الذي في النخلة جعل بإزائه من المسلم صفة الحدة على أعداء الله وأهل الفجور فيكون عليهم في الشدة والغلظة بمنزلة الشوك وللمؤمنين والمتقين بمنزلة الرطب حلاوة ولينا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وكذلك أنها كلما أطال عمرها ازداد خيرها وجاد ثمرها وكذلك المؤمن إذا طال عمره ازداد خيره وحسن عمله.

وكذلك أن قلبها من أطيب القلوب وأحلاه وهذا أمر خصت به دون سائر الشجر وكذلك قلب المؤمن من أطيب القلوب.

وكذلك أنها لا يتعطل نفعها بالكلية أبداً بل إن تعطلت منها منفعة ففيها منافع أخر حتى لو تعطلت ثمارها سنة لكان للناس في سعفها وخوصها وليفها وكربها منافع وهكذا المؤمن لا يخلو عن شيء من خصال الخير قط أن اجدب منه جانب من الخير أخصب منه جانب فلا يزال خيره مأمولا وشره مأمونا في الترمذي مرفوعا إلى النبي خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره فهذا فصل معترض ذكرناه استطرادا للحكمة في خلق النخلة وهيئتها فلنرجع إليه فتأمل خلقة الجذع الذي لها كيف هو تجده كالمنسوج من خيوط ممدودة كالسدا وأخرى معترضة كاللحمة كنحو المنسوج باليد وذلك لتشتد وتصلب فلا تتقصف من حمل الحيوان الثقيل وتصبر على هز الرياح العاصفة ولبثها في السقوف والجسور والأواني وغير ذلك مما يتخذ منها وهكذا سائر الخشب وغيرها إذا تأملته شبه النسج ولا تراه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مصمتا كالحجر الصلد بل ترى بعضه كأنه داخل بعضاً طولا وعرضاً كتداخل أجزاء اللحم بعضها في بعض فإن ذلك امتن له وأهيأ لما يراد منه فإنه لو كان مصمتا كالحجارة لم يمكن أن يستعمل في الآلات والأبواب والأواني والأمتعة والأسرة والتوابيت وما أشبهها ومن بديع الحكمة في الخشب أن جعل يطفو على الماء وذلك للحكمة البالغة إذ لولا ذلك لما كانت هذه السفن تحمل أمثال الجبال من الحمولات والأمتعة وتمخر البحر مقبلة ومدبرة ولولا ذلك لما تهيأ للناس هذه المرافق لحمل هذه التجارات العظيمة والأمتعة الكثيرة ونقلها من بلد إلى بلد من حيث لو نقلت في البر لعظمت المؤنة في نقلها وتعذر على الناس كثير من مصالحهم)[1].

وحكي عن عبد الله بن أحمد قال: قدمت من عند معاوية بثلاثمائة ألف دينار وليس بيدي منها إلاّ دقيق وغنم وأثاث، ففزعت من ذلك فلقيت كعب الأحبار فذكرت له ذلك فقال: أين أنت من النخل، فإنّا نجدها في كتاب الله تعالى المطعمات في المحل الراسخات في الوحل وخير المال النخل، بائعها ممحوق ومبتاعها مرزوق، مثل من باعها ثم لم يجعل ثمنها في مثلها كمثل رماد صفوان، اشتدت به الريح في يوم عاصف ففزعت إلى النخل فابتعتها[2].

(١) مفتاح دار السعادة.

(٢) تاريخ دمشق (٢٩٥٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثامنة والخمسون: النخلة في التراث والأدب العربي.**

ليس غريباً أن تملأ النخلة نصوص الشعر العربيّ ونثره بعد أن ملأت حياتهم، ودخلت في ثقافة أيامهم، وتغلغلت في وعيهم في جاهليتهم وإسلامهم، وفضلاً عن الوصفيات التي اعتنى بها الشعراء العرب في شأن النخلة، والحديث عنها؛ فإن قيمتها في الشعر القديم، تميزت بالتفرد والخصوصية.

لقد كان الشاعر العربيّ يستعير من ثقافته الخاصة بالنخل صورة أو مشهداً أو حالة، ويشبه بها ما يريد ومن يريد.

كتاب قيصر الروم إلى عمر في النخلة: ومن ذلك كتاب قيصر إلى عمر ﷺ بشأن النخلة وفيه :فعن يونس بن الحارث الطائفي، عن الشعبي، قال: كتب قيصر إلى عمر: أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير، تخرج مثل آذان الحمر ثم تشقق عن مثل اللؤلؤ أحسبه قال: الأبيض ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ثم تحمر فتكون مثل الياقوت الأحمر، ثم تينع وتنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة. فكتب إليه عمر؟ (من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم: إن رسلك قد صدقتك، هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله ﷻ على مريم حين نفست بعيسى ابنها عليه السلام فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله، فإن مثل عيسى عندنا كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيكون)[١].

النخلة العاشقة: عن القاضي أبي الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي، قال: أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، أخبرني محمد بن أحمد الحكيمي، حدثنا أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب قال: سمعت أبا مسلمة المنقري يقول: كان عندنا بالبصرة نخلة ذكر من حسنها وطيب رطبها. قال: ففسدت حتى شيّصت. قال: فدعا صاحبها شيخاً قديماً يعرف النخيل، فنظر إليها وإلى ما حولها من النخل، فقال: هذه عاشقة لهذا الفحل الذي بالقرب منها. قال: فلقحت منه، فعادت إلى أحسن ما كانت[٢].

ما زالت النخلة صنو الإنسان العربيّ والصورة المقابلة له في الطبيعة:

من صور هذه المقابلة التناظر وصور التشابه بين ما يراه الإنسان في حياته وتجاربه ومشاعره وبين النخلة وثمارها وأجزائها وما يطرء عليها من تقلبات الفصول والأيام، قد انعكس في الصورة الشعرية منذ القدم.

ونتلمس ذلك في شعر عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) الذي وجد في نخلة غريبة في بلاد الأندلس شبيهاً له في الغربة والنأي عن الأهل، حيث **قال**:

تبدّت لنا بين الرصافة نخلة تناءت ... بأرض الغرب عن بلد النخلِ
فقلت: شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بنيّ وعن أهلي

(١) أخرجه ابن المقرئ في المعجم (٨٦)، وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (٢٠/ ٨٦).
(٢) مصارع العشاق (٢/ ١٥٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نشأتِ بأرض أنت فيها غريبةٌ فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي[١]

وهذا الحطيئة، هذا الهجّاء المشهور، وجد في حلاوة التمر جزئية من جزئيات الصورة حين أراد المدح **فقال**:

وأحلى من التمر الجنيّ وعنده بسالة نفس إن أريد بسالها[٢]

وإذا كان امرؤ القيس، وهو أهم الشعراء الجاهليين، قد شبه شعر حبيبته بفرع النخلة المتداخل؛ فإن غيره ذهب إلى ما هو أبعد .. **يقول**:

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكلِ[٣]

أما ابن الروميّ فقد التفت إلى ما تمثله النخلة من عطاء وكرم، وإلى ما تبدو عليه من علوّ وشموخ، **فمزج هاتين السمتين في مدح إحدى شخصيات شعره**:

سما فوق من يسمو وجاد بسيبه فزايل والمعروف منه مخالطُ

هو النخلة الطولى أبت أن تنالها يدان ولكنْ ينْعها متساقطُ

ويقول دعبل الخزاعيّ في صورة مأساوية لنكبة أحلّت بالبرامكة عبّر عنها مستفيداً من النخلة، إنه **يقول**:

ألم تر صرف الدهر في آل برمكٍ وفي ابن نهيكٍ والقرون التي تخلو

لقد غرسوا غرس النخيل تمكّنا وما حصدوا إلا كما حُصد البقلُ

وفي معنى مشابه **يقول الأبيوردي**:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب (٢٣/ ٣٥١).

(٢) للحطيئة في ديوانه (١٣٦)، ولسان العرب (١١/ ٥٣) [بسل].

(٣) معجم ابن الأعرابي (٢/ ٥٧٩)، وفي المعجم لابن المقرئ (١/ ٨٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأطمعْتَ في أعراضنا كلّ كاشحٍ يجرّعه الغيظ السمام المثمّلا
وراءك إني لست أغرس نخلةً لأجنيَ منها حين تثمر حنظلا

وجاء الفرزدق بمعنى قريب من هذا كثيراً، حين عاتب **فقال**:

فهل أنت إلا نخلة غير أنني أراها لغيري ظلّها وصرامُها

وفي بعض تفاصيل تكوين النخلة ما أغرى الشعراء بالاستخدام، مثل إحاطة الليف والسعف برأس النخلة، **يقول النابغة الشيباني في وصف معركة**:

وقد أحاطت بها أبطال ذي لجب كما أحاط برأس النخلة الليفُ

ويقول، أيضاً، مادحاً وهاجياً:

ألست أبينَ منهم غير أنهمُ هم اللئام إذا ما استشرفوا عرفوا
وقد تكنّفهم لؤمٌ أحاط بهم كما أحاط برأس النخلة السعفُ

واهتم شاعر آخر هو العشاري بمشهد الطول في النخيل، لكنه ـ حين يصف ممدوحيه ـ فإن ينعطف نحو معنى آخر .. **يقول**:

بواسقُ جادت بالثمار فأينعت ثمار الهدى والعلم والفضل لا التمرِ

أما الصنوبري؛ فيقارن بين «التمر» و«الحشَف» اللذين تنتجهما النخلة، وهي مقارنة بين الجيد والرديء، حيث **يقول**:

تصفو خلائق أيام الزمان بكمْ إذ الخلائق فيها التمرُ والحشفُ

وكذلك ظهرت الحكمة والفخر في الشعر عبر النخلة، **إذ يقول ابن رشيق القيرواني**:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وطالب حاجة بعيداً ... منالها من يدي مرامِهْ
عرّض بالاقتضاء فيها ... وما انقضى منتهى كلامِهْ
كغارسٍ في الثرى نواةً ... ليأكل التمر في مقامِهْ

ويقول صفي الدين الحلي:

لديّ تصحّ ثمار الوفاء ... لصبريَ عند انقلاب الهوى
وينبت عندي نخيل الوداد ... لأنك عندي دفنت النوى

ويقول أبو العلاء المعري:

كم غُرست نخلة بأرض ... فلم يقدرْ لها بسوقْ
لا يفرحنْ بالحياة غرٌّ ... فإنها مَهلكاً تسوق

والمعري استخدم المثل العربي الشهير في موضوع التمر «كجالب التمر إلى هجر»، **فقال:**

ومن أهمّ بظلم فهو عندهمُ ... كجالب التمر مغترّاً إلى هجَرِ

وقال ابن المغلّس في النخلة:

وقائمة أبدا لا تنام ... وما قعدت قطّ مذ قامت
تعيش إذا غسلوا رجلها ... وإن حلقوا رأسها ماتت[1].[2]

وهذه أبيات نظمها أمير الشعراء أحمد شوقي بالإسكندرية في صيف سنة ١٩٣١م. يصف فيها النخيل ما بين المنتزه وأبي قير:

---

(١) نهاية الأرب (٣/ ١٧٠).

(٢) الموضوع منقول عن مجلة القافلة: الموضوع (النخلة).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أرى شجراً في السماء احتجب ... وشق العنان بم أرى عجب
مآذن قامت هنا أو هناك ... ظواهرها درج من شذب
وليس يؤذن فيها الرجال ... ولكن تصيح عليها الغُرب
وباسقة من بنات الرمال ... نمت وربت في ظلال الكثُب
كاسرية الفلك أو كالمسة ... أو كالفنار وراء العَبَب
تطول وتقصر خلف الكثيب ... إذا الريح جاء به أو ذهب
تُخال إذا اتقدت في الضحى ... وجر الأصيل عليها اللهب
وطاف عليها شعاع النهارِ من ... الصحو أو من حواشي السحُب
وصيفة فرعون في ساحة ... من القصر واقفةً ترتقب
قد اعتصبت بفصوص العقيق ... مفصلة بشذور الذهب
وناطت قلائد مرجانها ... على الصدر واتشحت بالقصب
وشدت على ساقها مئزراً ... تعفر من أرسها للذنب

(أبعدي عني ظلك، أحمل حملي وحملك!) هذا من الأمثال الموضوعات على ألسنة العجماوات. زعموا أنَّ النخلة قالت ذلك لجارتها بمعنى أنها إذا تباعدتا حملت كل واحدة منها مثل ما تحملان معا[1].

❁ ❁ ❁

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم (١٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة التاسعة والخمسون**: حريم النخلة.

النخلة غير مدادة، لا تعتدي ـ في الغالب ـ على جاراتها بسيقانها أو فروعها، ولها حرم معلوم، وهي مع كمال النفع بظلها إلا أنها محكومة في الانتشار.

ولقد ساق أبو عثمان الجاحظ رَحِمَهُ اللَّهُ (المتوفى: ٢٥٥هـ) في كتابه [الحيوان] كلاماً غريباً في هذا المعني فقال: (علة قلة البيض إذا كثر الدجاج) وسألت عن السّبب الذي صار له الدّجاج إذا كثرن قلّ بيضهنّ وفراخهنّ، فزعموا أنّها في طباع النّخل، فإن النّخلة إذا زحمت أختها، بل إذا مسّ طرف سعفها طرف سعف الأخرى وجاورتها، وضيّقت عليها في الهواء، وكذلك أطراف العروق في الأرض ـ كان ذلك كربا عليها وغمّا. قالوا: فتدانيها وتضاغطها، وأنفاسها وأنفاس أبدانها، يحدث لها فسادا[(١)].

(قلت): الله أعلم بذلك.

والحريم هو كل موضع تلزم حمايته، فحريم البئر وغيرها ما حولها من حقوقها ومرافقها وحريم الدار ما أضيف إليها[(٢)].

نكتة فقهية: ثبت عن النبي ﷺ أن حريم النخلة مد الجريد منها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «حريم النخلة مد جريدها»[(٣)].

---

(١) الحيوان، (٢/ ٤٢٨).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٠/ ١٣٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٣٢، رقم ٢٤٨٩)، قال البوصيرى (٣/ ٨٦): إسناده ضعيف. وأخرجه أيضًا: الطبراني (١٢/ ٤٥٣، رقم ١٣٦٤٧)، قال الهيثمى (٤/ ٦٩): فيه منصور بن صقير وهو ضعيف. وصححه الألباني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عبادة بن الصامت ﷺ: أن من قضاء رسول الله ﷺ أنه قضى في عرايا النخل، وذلك أن تكون النخلة، أو النخلتان، أو الثلاثة بين النخل، فيختلفون في حقوق ذلك، فقضى أن لكل من تلك النخل مبلغ جريدها حيز لها، وكانت تسمى العرايا(١).

يقول العباد ـحفظه اللهـ في شرحه على السنن: (الحريم: هو ما تستحقه النخلة من الأرض التي تكون حولها لصاحبها، بحيث يكون ما وراءها لا يملكه، فإذا كان له نخلة في أرض، فإنه لا يملك ما يشاء حول هذه النخلة، وإنما يملك ما يتخذ من الأرض تابعاً لها، وذلك بأن يكون على مقدار عسيبها وجريدها، بأن تؤخذ جريدة منها ثم تجعل في ساقها وتمتد إلى نهاية تلك الجريدة، فيكون ذلك الحد مستديراً من جميع الجهات، هذا هو حريم النخلة، أي: يكون تابعاً لها، والذي يملك النخل يملك هذه الأرض التي بهذا المقدار)(٢).

وقال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ساق الحديث في المشكل: فوجه ما في الحديث عندنا، والله أعلم، هو في النخلة، أو النخلتين، أو الثلاث تكون بين نخل الرجل، فيختلف هو وصاحب النخل في حقوق ما لكل واحد منهما من النخل، فيكون الذي لصاحب النخلة، أو النخلتين، أو الثلاث ما لا يقوم الذي له من ذلك إلا به، فهذا وجه هذا الحديث عندنا، والله أعلم قال الحجاوي في الإقناع: (وفي النخل مد جريدها

(١) أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٢) من شرح سنن أبي داود للعلامة العباد ـحفظه اللهـ بالمسجد النبوي الشريف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأرض لزرع ما يحتاجه لسقيها وربط دوابها وطرح سبخها ونحو ذلك)[1].

فإذا كان هذا ... فلا بئس بتوجيه المناسبة في الباب بأن المؤمن كذلك حافظ لعهد ربه تعالى في حدود ملكه وسلطانه، وأنه لا يتعدي ذلك إلى ملك أو سلطان غيره، فهو أبعد الناس عن البغي والتعدي على حقوق جاره، وأنه كذلك محكوم بالضوابط الشرعية مع المحيطين به، لا يدخل بيت غيره إلا بإذنه، ولا يطلع على عورات غيره، ولا يترك لبصره العنان، فتجده حيث أمره الله، وتفتقده حيث نهاه، ويتقي في ذلك ربه تعالى حيثما كان.

* **فائدة**: من عجيب هذا الشريعة الربانية الغراء عنايتها بحقوق الشجر في غير السقى والشذب والتلقيح، فجعل لها حريما مقدراً من بحيث يفصل بينها وبين جارتها.

يقول بعض المتخصصين: (... في الوقت نفسه لا تنمو جيداً ـأي النخلةـ حين تقل المسافة بينها وبين النخلة الأخرى عن خمسة أمتار، بحيث لا يسقط ظلّ نخلة على ظل نخلة أخرى..!

وهذا ثابت من مئات السنين، فهذا ابن غانم يسأل الإمام مالك ـرحمة الله على الجميعـ عن حريم النخلة، فقال: قدر ما يرى أن فيه مصلحتها ويترك ما أضر بها ويسأل عن ذلك أهل العلم به، وقد قالوا من اثني عشر ذراعا من نواحيها كلها إلى عشرة أذرع وذلك حسن، ويسأل عن الكرم

(١) شرح مشكل الآثار (٩/ ١٧٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيضا وعن كل شجرة أهل العلم به فيكون لكل شجرة بقدر مصلحتها)[١].

❁ ❁ ❁

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل (٧/ ٦٠٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الستون**: حقارة الدنيا في عين عمر ﷺ.

قال ابن عمر في الحديث: (فقال لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا)

قال الشيخ الحوينى ـحفظه اللهـ: (عمر بن الخطاب ﷺ لما استحيا ابنه عبد الله بن عمر عن أن يقول هذا في حضرة النبي ـعليه الصلاة والسلامـ، تمنى أن يقولها ويخسر الدنيا كلها .. انظر إلى حقارة الدنيا! هي في نظر عمر لا تساوي إجابة مسألة أمام النبي صلى الله عليه وسلم، ولو خير عمر ﷺ بين أن تكون الدنيا جميعاً في كفّه، وبين أن يجيب عبد الله بن عمر أمام النبي ﷺ فيدعو له بالبركة أو يثني عليه في كفة؛ لاختار أن يجيب ابنه، لأن الصحابة كانت حياتهم كلها إيمانية، أعينهم دائماً تطل على الآخرة، ليس عندهم النظر الموجود عند المسلمين الآن)[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفيه الإشارة إلى حقارة الدنيا في عين عمر لأنه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة بحمر النعم مع عظم مقدارها وغلاء ثمنها)[٢].

(١) شرح كتاب العلم من صحيح البخاري.
(٢) فتح الباري.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الواحدة والستون: فوائد على جمّار النخل.**

بوبَّ الأمام البخاري ـرحمه الله تعالىـ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما فقال: (باب بيع الجمار وأكله).

وهذا من فقهه رحمه الله وهو واضح من تراجمه التي وصفها الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح بكونها حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار، وبكونها بعيدة المنال منيعة المثال، انفرد بتدقيقه فيها عن نظرائه، واشتهر بتحقيقه لها عن قرنائه.

يقول العلامة المحدث ناصر الدين أحمد بن محمد الإسكندري المعروف بابن المنير الكبير في كتابه (المتواري) سمعت جدي يقول: (كتابان فقههما في تراجمهما: كتاب البخاري في الحديث، وكتاب سيبويه في النحو)[1].

أما عن الجمّار فيقول الحافظ رحمه الله: الجمَّار بضم الجيم وتشديد الميم هو قلب النخلة، وهو معروف، ذكر فيه حديث ابن عمر «من الشجرة شجرة كالرجل المؤمن» وقد تقدمت مباحثه في كتاب العلم، وليس فيه ذكر البيع لكن الأكل منه يقتضي جواز بيعه قاله ابن المنير، ويحتمل أن يكون أشار إلى أنه لم يجد حديثا على شرطه يدل بمطابقته على بيع الجمار.

وقال رحمه الله في موضع آخر: وفيه دليل أن بيع الجمار جائز؛ لأن كل ما جاز أكله جاز بيعه، ولهذا بوب عليه المؤلف في البيوع. وتعقبه ابن بطال

(١) المتواري (٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لكونه من المجمع عليه، وأجيب بأن ذلك لا يمنع من التنبيه عليه لأنه أورده عقب حديث النهي عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، فكأنه يقول: لعل متخيلا يتخيل أن هذا من ذاك، وليس كذلك. وفيه دليل على جواز تجمير النخل، وقد بوب عليه في الأطعمة لئلا يظن أن ذلك من باب إضاعة المال[1] أ.هـ.

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللَّهُ: (قد سبق الوهم إلى بعض المعاصرين فانتقد على من جمر نخلة واحدة بعد أخرى ليقتات بالجمار تحرجا وتورعا مما في أيدي الناس لما عدم قوته المعتاد في بعض الأحيان. وزعم هذا المعترض إن هذا إفساد خاص للمال وفساد عام في المال. وربما يلحقه بنهي مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن بيع التمر قبل زهوه على القطع إذا كثر ذلك، لأن فيه تسببا إلى تقليل الأقوات. فما وقفت على ترجمة البخارى ظهرت لي كرامته بعد ثلاث مائة سنة ونيف رَحِمَهُ اللَّهُ).

* **فائدة**: ذكر أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى:٩٢٣هـ) في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري بعض فوائد الجمار فقال: (الجمار بضم الجيم وفتح الميم مشددة ويسمى الجذب بالتحريك وشحم النخل وهو قلبها بالضم ورطبه الحلو بارد يابس في الأولى وقيل في الثانية يعقل البطن وينفع من المرة الصفراء والحرارة والدم الحادّ وينفع من الشرى أكلًا وضَمادًا وكذا من الطاعون ويختم القروح وينفع من خشونة الحلق

(١) فتح الباري (١/ ٩٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نافع للسع الزنبور ضمادًا قاله صاحب نزهة الأفكار في خواص الحيوان والنبات والأحجار)[١].

مسألة: قال الصنعاني في سبل السلام: عن رافع بن خديج ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا قطع في ثمر ولا كثر» هو بفتح الكاف وفتح المثلثة جمار النخل وهو شحمه الذي في وسط النخلة كما في النهاية رواه المذكورون وهم أحمد والأربعة وصححه أيضا الترمذي وابن حبان كما صححا ما قبله قال الطحاوي الحديث تلقته الأمة بالقبول والثمر المراد به ما كان معلقا في النخل قبل أن يجذ ويحرز وعلى هذا تأوله الشافعي وقال حوائط المدينة ليست بحرز وأكثرها تدخل من جوانبها والثمر اسم جامع للرطب واليابس من الرطب والعنب وغيرهما كما في البدر المنير وأما الكثر فوقع تفسيره في رواية النسائي بالجمار والجمار بالجيم آخره راء بزنة رمان وهو شحم النخل الذي في وسط النخلة كما في النهاية والحديث فيه دليل على أنه لا يجوز القطع في سرقة الثمر والكثر وظاهره سواء كان على ظهر المنبت له أو قد جذ وإلى هذا ذهب أبو حنيفة قال في نهاية المجتهد قال أبو حنيفة لا قطع في طعام ولا فيما أصله مباح كالصيد والحطب والحشيش وعمدته في منعه القطع في الطعام الرطب قوله ﷺ «لا قطع في ثمر ولا كثر» وعند الجمهور أنه يقطع في كل محرز سواء كان على أصله باقيا أو قد جذ سواء كان أصله مباحا كالحشيش ونحوه أولا قالوا لعموم الآية والأحاديث الواردة في

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨/ ٢٤٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اشتراط النصاب وأما حديث لا قطع في ثمر ولا كثر فقال الشافعي إنه أخرج على ما كان عليه عادة أهل المدينة من عدم إحراز حوائطها فترك القطع لعدم الحرز فإذا أحرزت الحوائط كانت كغيره)[1].

يقول عبد الفتاح الجمل: في التقاليد العربية نجد قمة الكرم عندما يذبح المضيف نخلة إكراما لضيوفه ويطعمهم جمارها، أي قلب النخلة، وهو ثمر طري يشبه اللوز النيء.

(١) سبل السلام (٢/ ٤٣٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثانية والستون**: فائدة أخرى من قوله تعالى ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥].

قوله تعالى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥] فيه دقيقة عجيبة وهى أن النخلة المذكورة كانت موصوفة بهذه الصفة، وهي أن ثمرتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات، ولا تكون مثل الأشجار التي يكون ثمارها حاضرا في بعض الأوقات دون بعض، فهذا شرح هذه الشجرة التي ذكرها الله تعالى في هذا الكتاب الكريم ومن المعلوم بالضرورة أن الرغبة في تحصيل مثل هذه الشجرة يجب أن تكون عظيمة، وأن العاقل متى أمكنه تحصيلها وتملكها فإنه لا يجوز له أن يتغافل عنها وأن يتساهل في الفوز بها.ولكن يأبى عليها كل ما سبق حتى يأذن ربها وخالقها بذلك، وإلا كانت كأي شجرة تأنف البهيمة من الأكل منها فضلاً عن ابن آدم.

أما في المؤمن فعند حصول هذه الأحوال السنية والدرجات العالية قد يفرح بها من حيث أنه خير فعله أو ضر منعه، وقد يترقى فلا يفرح بها من حيث هذا الوجه فقط وإنما يفرح بها من حيث أنها توفيق من الله جل شأنه، ولولا أن الله أحبه وقربه ووفقه لما جرى الخير على يديه، وعند ذلك فيكون فرحه في الحقيقة بإرادة السعادة له من ربه تعالى فتزداد به فرحته ويسكن عليه قلبه وينشرح به صدره.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ [النحل: ٥٣]. وهذا نبيي الله شعيب عليه السلام يقول: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨] وكأن الله يقول له: لولا توفيقي لَك لما أَذْعتْ نفسك لِلإيمان، فلم يكن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإيمان بمشورتك وتوفيق أنفسك، ولكني حبّبته إليك وزينته في قلبك، وكرَّهت إليك ضده من الكفر والفسوق.

قال ابنُ القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (أجمع العارفون بالله أنَّ التوفيق هو أن لا يَكِلَكَ الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخْلِيَ بينك وبين نفسك).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثالثة والستون: لا يفرغ المؤمن من صلاته حتى تتفرق منه ذنوبه كما تفرق عذوق النخلة يمينا وشمالا.**

هذا وجه آخر من أوجه التشابه ينضاف إلى ما سبق، حيث أخرج الطبراني (مرفوعاً) وعبد الرزاق (موقوفاً)، ـ والموقوف أصح ـ عن سلمان الفارسي ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا قام إلى الصلاة وضعت خطاياه على رأسه، فلا يفرغ من صلاته حتى تتفرق منه كما تفرق عذوق النخلة، تساقط يمينا وشمالا»(١).

هذا تمثيل بديع يشبه فيه الصحابي الجليل سلمان ﷺ رأس النخلة برأس المؤمن وقد انتشرت خطاياه عنه وتفرقت بعد صلاته كانتشار العذوق عن رأس النخلة، ويريد بذلك أن الله تعالى يحط عنه لذلك خطاياه حتى لا يبقى له خطيئة. **وقد ورد في هذا المعنى عدة أثار:**

* منها ما رواه سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المسلمَ يصلِّي وخَطاياهُ مرفوعةٌ على رأسِه، كلّما سجَدَ تحاتَّت عنه، فيفرُغُ من صلاتِه؛ وقد تحاتَّت خطاياهُ»(٢).

* ومنها ما رواه جبير بن نفير قال: رأى عبد الله بن عمر ﷺ فتى وهو

---

(١) أما المرفوع ف أخرجه الطبراني (٦/ ٢٣٦، رقم ٦٠٨٨) وقال الهيثمي (١/ ٣٠٠): فيه أبان بن أبي عياش؛ ضعفه شعبة وأحمد وغيرهما ووثقه سلم العلوي وغيره. وأما الموقوف فأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١/ ٤٦، رقم ١٤٤).

(٢) أخرجه الطبراني في [المعجم الكبير] (٦/ ٣٠٧/ ٦١٢٥)، وفي [الصغير] (٢٣٧)، وابن أبي حاتم في [العلل] (١/ ١٢٤/ ٣٢٤)، والأصبهاني في [الترغيب] (٢/ ٨٠٠/ ١٩٥٧) وصححه الألباني ﷺ: السلسلة الصحيحة برقم (٣٤٠٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يصلي، قد أطال صلاته وأطنب فيها، فقال: من يعرف هذا؟، فقال رجل: أنا، فقال عبد الله: لو كنت أعرفه لأمرته أن يطيل الركوع والسجود ، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «إن العبد إذا قام يصلي، أتي بذنوبه فجعلت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد ، تساقطت عنه»(١).

وعن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لثوبان: حدثنا عن رسول الله ﷺ فقال: تكذبون علي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة»(٢).

وعن الأحنف بن قيس، قال: دخلت بيت المقدس، فوجدت فيه رجلا يكثر السجود، فوجدت في نفسي من ذلك، فلما انصرف قلت: أتدري على شفع انصرفت أم على وتر؟ قال: إن أك لا أدري، فإن الله ﷻ يدري، ثم قال: أخبرني حبي أبو القاسم ﷺ. ثم بكى، ثم قال: أخبرني حبي أبو القاسم ﷺ. ثم بكى، ثم قال: أخبرني حبي أبو القاسم ﷺ، أنه قال: «ما من عبد يسجد لله سجدة، إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة». قال: قلت: أخبرني من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا أبو ذر، صاحب ﷺ. فتقاصرت إلي نفسي(٣).

---

(١) أخرجه البيهقي (٤٤٧٣)، وابن حبان (١٧٣٤)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: انظر الصحيحة: (١٦٧١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٤٤٢) وغيره.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٤٥٣) قال شعيب الأرنؤوط: بإسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير هارون بن رئاب، فمن رجال مسلم. أ.هـ.
وهو في [مصنف عبد الرزاق] (٣٠٦١) و(٤٨٤٧). وأخرجه الدارمي (١٤٦١)، والبزار في [مسنده] (٣٩٠٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال محمد بن إسماعيل الأمير رَحِمَهُ اللَّهُ: («تحاتت خطاياه» تساقط «كما يتحات عذق النخلة» بالعين المهمة والذال المعجمة وبالفتح لعينه النخلة وبكسرها العرجون بما فيه من الشماريخ والمراد هذا وهذا من شبيه المعقول بالمحسوس)[1].

❁ ❁ ❁

(١) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ (٢/ ٧٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الرابعة والستون: إذا لم يتكلم الكبير، هل للصغير أن يتكلم.

هكذا بوّب الإمام الحافظ الفقيه أبو عبد الله البخاري ـرحمة الله عليهـ في كتابه [الأدب المفرد] فقال: (باب إذا لم يتكلم الكبير هل للأصغر أن يتكلم. ثم ذكر بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، لا تحت ورقها» فوقع في نفسي النخلة، فكرهت أن أتكلم، وثم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما لم يتكلما، قال النبي ﷺ: «هي النخلة» فلما خرجت مع أبي قلت يا أبت وقع في نفسي النخلة، قال ما منعك أن تقولها؟ لو كنت قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا، قال: ما منعني إلا لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت)[1].

والكلام هنا فيه زيادة إفادة على المعني المذكور في الفائدة العشرين (حسن أدب الأصاغر في حضرة الأكابر).

يقول العلامة نصر الدين الألباني رحمه الله في شرحه على الأدب المفرد:

(لما سأل الرسول ﷺ هذا السؤال لأصحابه الكرام ألقي في نفس عبد الله بن عمر بن الخطاب أنها النخلة، فعمر من كبار الصحابة الذين أسلموا قديما وابنه صغير السن بطبيعة الحال كان حاضرا في المجلس حينما توجه النبي ﷺ بهذا السؤال وعبد الله بن عمر كانت عنده حكمة وعنده كياسة وعنده علم وعنده أدب العلم وأدب العلماء، وأدب مجالس العلماء، فألقي في نفسه أنها الشجرة التي من صفتها أنها ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ

(١) الأدب المفرد (١٨٧)؛ إسناده صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥] والتي من صفتها أنها (لا يسقط ورقها).

لكنه ﷺ ضبط نفسه وألجم لسانه، لقد ألقي في نفس عبد الله بن عمر أنها النخلة ولكنه أسرها في نفسه ولم يبدها لهم ـ أدباً منه ﷺ، قال: (فوقع في نفسي أنها النخلة فكرهت أن أتكلم ... وثم أبو بكر وعمر بن الخطاب)، لأن هناك في المجلس أبو بكر ـأفضل صحابة الرسول ﷺـ، من جهة وأبوه وهو أكبر منه علما وسنا فكيف يتكلم؟. قال ابن عمر فلما لم يتكلما قال النبي ﷺ: «هي النخلة». قال بن عمر «فلما خرجت مع أبي قلت يا أبت وقع في نفسي النخلة» فأصاب أباه شيء من الحزن والأسى وعبر عن ذلك ابن عمر بقوله: «ما منعك أن تقولها، لو كنت قلتها كان أحبّ إليّ من كذا وكذا» يعني مما يحبه الناس من المال والجاه وإلخ، لأنه سوف يظهر أمام الصحابة بأنه كبير العقل، لو أنه صرّح بأنها النخلة.

ولكن قد أكّد ابن عمر السبب الذي منعه من أن يتحدّث بهذه النعمة التي أنعم الله بها عليه حيث فهم كلام الرسول ﷺ الذي لم يفهمه الصحابة بعد، فقال متأدبا ومعتذرا في آن واحد لأبيه: «ما منعني إلا لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت».

هذا الحديث كله ترجم به المصنف لهذا الباب، [باب إذا لم يتكلم الكبير هل للأصغر أن يتكلم؟] هكذا فقه البخاري يترجم عن الحديث بباب يتساءل فيه هل له أن يتكلم؟ وهنا ما بيعطيك الجواب، لأنه يريد من طالب العلم أن يستنبط الجواب بنفسه من مدارسته وتفقهه في هذا الحديث الذي أورده تحت الباب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: قد يتبادر لأذهان بعض الناس أن الجواب: لا، لأن ابن عمر ما تكلم ولو كان يرى أن الكلام جائز له لفعل، لكن الصحيح أن الجواب أن له أن يجيب، لأن الرسول ﷺ لما وجه الخطاب بقوله: أخبروني عن شجرة مثلها كذا وكذا ما خص أبا بكر ولا عمر ولا غيرهما من كبار الصحابة ... وإنما وجه خطابا عاما للجميع، فلما لم يبادر كبار الصحابة إلى الإجابة عن هذا السؤال فحينئذ يأتي دور صغارهم أمثال عبد الله بن عمر، فلا مانع هنا بعد ذاك أن يُبادر إلى الجواب عن هذا السؤال.

ويستدل على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: ما شرحناه آنفا أن السؤال كان موجها للجميع فلما لم يتكلم الكبير كان لزاما على الصغير أن يجيب لأنه من جملة الحاضرين الموجه لهم الخطاب.

والوجه الثاني: أن أباه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تمني لو كان عبد الله أجاب بقوله: «قال لو تكلمت لكان أحب إلي من كذا وكذا» وهذا صريح في جواز إجابة الصغير في حضور الكبار علما أو سناً.

إذًا نستلخص من هذا الدرس أدبين اثنين الأدب الأول: أنه إذا كان هناك مجلس لا سيما إذا كان له خطورته وهناك كبار في العلم وفي السن فمن أدب الصغار أن لا يتقدموا بالكلام بين يدي الكبار والأدب الآخر أنه إذا عجز الكبير أن يتكلم بما يناسب الموضوع فهناك ينبغي على الصغير أن يثبت نفسه وشخصيته وعلمه لأن القضية ليست قضية السن فقط

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فكثيرا ما يكون الأمر على العكس من ذلك لكن القاعدة هو مراعاة الأكبر فالأكبر فإذا لم يتكلم الكبير فعلى الصغير أن يتكلم كما أوحى بذلك قول عمر بن الخطاب ﷺ لابنه (لو كنت قلتها كان أحب إلي من كذا وكذا)[1] انتهى كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بتصرف.

(١) تفريغ من الشرح الصوتي للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على الأدب المفرد بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الخامسة والستون: من آفات بعض الطلاب المبادرة بالجواب والفتح على المعلم دون طلب منه أو سؤال.

مجالس العلم، تلك الحِلَق التي تحفهُا الملائكة وتغمرها الرحمة، يُذكرُ فيها أعظم الكلام وأطيبه وأطهره وأنفعه، ويثني الله تعالى على حضّارها ويذكرهم فيمن عنده من الملاء الأعلى. ولأجل ذلك يستوجب حسن السمت عندها وسكون الأبدان والأصوات فيها ،وتكون هذه الثُلة المباركة أسوة حسنة لمن اقتفى آثارهم من طلبة العلم .

يروي أسامة بن شريك ﷺ حال القوم وهم في مجلس النبي ﷺ فيقول: كنا عند النبي ﷺ كأن على رؤوسنا الرخم ما يتكلم منا متكلم إذ جاءه ناس من الأعراب فقالوا: يا رسول الله أفتنا في كذا أفتنا في كذا فقال: «أيها الناس إن الله قد وضع عنكم الحرج إلا امرءا اقترض من عرض أخيه فذاك الذي حرج وهلك» قالوا: أفنتداوى يا رسول الله؟ قال: «نعم فإن الله لم ينزل داء إلا من أنزل له دواء غير داء واحد» قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: «الهرم» قالوا: فأي الناس أحب إلى الله يا رسول الله؟ قال: «أحب الناس إلى الله أحسنهم خلقا»[1].

وهذا خلاف ما يقع من بعض الشباب من طلبة العلم اليوم، الذي يفتح على الشيخ أو المعلم أثناء الدرس دون حاجة فيسبق لسانه لسان معلمه، فلا ينتفع هو ولا يدع غيره ينتفع،وربما لا يسمع سؤالا يُوجّه إلى رجل من أهل العلم فيتطفل هو ويُبادر إلى الجواب دون أن يحال السؤال إليه.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٨٦)، والطبراني في الكبير (٤٧١)، والحاكم في المستدرك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال إمام الحرمين أبي المعالي الجويني -رحمة الله عليه- في ذم فئة من هؤلاء المتجرئين:

وقوم دأبهم التطفل في المناظرة،ويستنكفون عن السؤال، لقصورهم فيه، ولم يبلغوا مبلغ أن يسألوا، وربما لا يفهمون أكثر ما جرى، ينتظرون فرصة أحد الخصمين على الآخر فيأخذون في الشغب والصياح، إيهاما منهم لمن حضر المجلس من العوام و أهل النقض أنهم من جملتهم، وهم صفر من صناعتهم، فهؤلاء لا يعدون في جمله أهل الجدل والنظر[1].

إن طلبة العلم الصفوة الصادقين براء من هذه الرذائل، وأبعد عن تلك النقائص، فما وُفق إنسان لتعظيم العلم عند الطلب إلا رزقهُ الله ذلك في طلابه ومن يأخذ العلم عنه غداً، مثلما كان يفعل، فإذا وجدته يوقّر العلماء، ويجلّهم، فاعلم أنه صاحب هدي وسنة.

وعن علي ﷺ قال: (من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة وتخصه بالتحية وأن تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيديك ولا تغمز بعينيك غيره، ولا تقولن: قال فلان خلاف قوله، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره لله تعالى، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته ولا تسارّ في مجلسه ولا تأخذ بثوبه ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تشبع من طول صحبته فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء، ولقد جمع ﷺ في هذه الوصية ما فيه

(١) الكافية في الجدل (٥٥٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كفاية)[1].

وقال الشافعي: (كنت أصفح الورق بين يدي مالك رَحِمَهُ اللَّهُ صفحا رفيقاً، هيبة له لئلا يسمع وقعها).

وكان طلاب وكيع بن الجراح في مجلسه كأنهم في صلاة، فإن أنكر من أمرهم شيئا انتعل ودخل.

وكان عبد الرحمن بن مهدي لا يتحدث في مجلسه ولا يبري فيه قلم ولا يتبسم أحد، فإن تحدث أو برى لبس نعليه ودخل؛وكذلك يروى عن بعض التابعين قال: ضحك رجل في مجلس عبد الرحمن بن مهدي فقال: من ضحك، فأشاروا إلى رجل فقال: تطلب العلم وأنت تضحك لا حدثتكم شهر.

هذه قليل من كثير ممن ذُكر من سيرهم وأيامهم وحسن صحبتهم رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٥٥)، وابن سعد في طبقاته (١/ ٤٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٥٤)، وابن حبان في الثقات (٢/ ١٤٩، ١٥٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة السادسة والستون: سرعة الاستجابة إلى امتثال الأمر.

أخرج ابن حبان وأبو يعلى وغيرهما بسند صحيح من حديث سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس قال: جاء رجل من بني عامر إلى النبي ﷺ كان يداوي ويعالج فقال له: يا محمد إنك تقول أشياء فهل لك أن أداويك؟ قال: فدعاه رسول الله ﷺ ثم قال له: «هل لك أن أريك آية؟» وعنده نخل وشجر. قال: فدعا رسول الله ﷺ عذقاً منها فأقبل إليه وهو يسجد ويرفع، ويسجد ويرفع رأسه حتى انتهى إليه فقام بين يديه. ثم قال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى مكانك» فرجع إلى مكانه فقال: والله لا أكذبك بشيء تقوله بعدها أبدا، ثم قال: يا عامر بن صعصعة إني والله لا أكذبه بشيء يقوله بعدها أبدا. قال: والعذق: النخلة[1].

*** في الحديث مسائل ومعان لطيفة تتعلق بحديث الباب؛ من ذلك:**

قوله «وعنده نخل وشجر» ففيه دليل لمن قال بأن النخلة لا تدخل ـ في الغالب ـ في مسمي الشجر، ولأن الصحابة رضي الله عنهم لما سألهم الرسول، وقعوا في شجر البوادي فذهبت بهم أفكارهم إلى شجر البوادي وذهلوا عن النخلة فجعل كل منهم يفسرها بنوع من الأنواع، ولو كانت النخلة منه لكانت أول ما يرد على أذهانهم، والواو فيه تقتضي المغايرة. لكن القرآن والأثر يبطلان ذلك كما سبق بيانه، أما القرآن فقال تعالى في النخلة (كشجرة طيبة) وأما السنة فكما في حديث ابن عمر.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٦٥٢٣)، أبو يعلى الموصلي في المسند رقم (٢٣٥٠) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومنها: أن العذق ـوهو النخلةـ وُصف بالهرولة وسرعة الاستجابة إلى أمر الرسول ﷺ من بين الشجر، وهذا يظهر جلياً في وصف ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: «فدعا رسول الله ﷺ عذقا منها فأقبل إليه» ثم وصف هذا الإقبال بمعني زائد وهو الرضا بهذه الطاعة والشوق إلى تلك الاستجابة والأنس بها، وذلك بقيام وسجود ليظهر أية من آيات الله. حتى إذا انتهى إلى النبي ﷺ قام بين يديه قيام الخاشع المحب لمحبوبه، قال ابن عباس: «وهو يسجد ويرفع، ويسجد ويرفع رأسه حتى انتهى إليه فقام بين يديه»(١).

وأحق من يتنزل عليه هذا الوصف هم عباد الله المؤمنون فإنهم أبداً يرغبون في الطاعات أشد الرغبة، فيبادرونها لئلا تفوت عن وقتها، ويتعجلون في الدنيا أنواع النفع ووجوه الإكرام لأنهم علموا أن هذا هو الباقي لهم، يقول الله ـتعالىـ واصفا بعض عباده المؤمنين: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]، حيث جرت معاملتهم في مبادئ أمورهم بحسن الأدب فيما ألزمهم القيام به من حقوقه فلم تبق عندهم نصيحة إلا بذلوها ولا قربة إلا وصلوها ولا مال إلا كان للفقراء منه نصيب، بل سمحت نفوسهم ببذل المهج عن أول حق من حقوقه في طلب الوسيلة إليه فبادرت غير مبقية ولا مستبقية بل نظرت إلى أن الذي عليها في حين بذلها أكثر بحالها مما بذلت.

---

(١) في رواية عند أحمد (١٩٥٤) والدارمي (٢٤) قال: (... قال فاذهب فادع تلك النخلة فدعاها فجاءت تنقز بين يديه قال قل لها ترجع قال لها رسول الله ﷺ ارجعي فرجعت حتى عادت إلى مكانها ...) وسنده صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخرج مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[(١)].

وعن جابر ﷺ قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: «في الجنة» فألقى تمرات كن في يده، ثم قاتل حتى قتل[(٢)].

(١) أخرجه مسلم (١١٨)، والترمذي (٢٣٤١)؛ وهو في [مسند أحمد] (٨٠٣٠).

(٢) متفق عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ الفائدة السابعة والستون: هل قول الصحابي يخصص عموم الحديث؟.

وجه تعلّق الترجمة بموضوع الحديث أنه قد ورد أحاديث مرفوعة، مُثّل فيها النخلة بالمؤمن ـ كحديث الباب ـ ومرة مُثّل المؤمن بالخامة من الزرع، ومعلوم أن ثمة تفاوتًا كبيرًا بين النخلة والخامة، ووردت آثار موقوفة تخصص وصف المؤمن القوي بالنخلة، وتخصص وصف المؤمن الضعيف بالخامة من الزرع؛ فنزل المرفوع منها منزلة العموم، والموقوف جاء على وجه يخصص هذا العموم.

فأما العام المرفوع فما رواه كعب بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تقيمها الرياح، تصرعها مرة وتعدلها أخرى، ومثل الكافر مثل الأرزة المجدبة على أصلها لا يقلها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة»(١).

وعن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن مثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفتها، فإذا سكنت اعتدلت، وكذلك مثل المؤمن يتكفأ بالبلاء، ومثل الكافر مثل الأرزة، صماء معتدلة، يقصمها الله إذا شاء»(٢).

وأما الأثر الموقوف فأخرج ابن أبى شيبة وغيره عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مثل المؤمن الضعيف كمثل الخامة من الزرع، تميلها

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٥٧٦٩)، ومسلم (٢٨١٠) (٦٠)، والرامهرمزي في [الأمثال] (٣٧)، والقضاعي في [مسنده] (١٣٦٤)، والبغوي في [شرح السنة] (١٤٣٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٠٧٧٥)، والبخاري (٥٦٤٤) و(٧٤٦٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الريح مرة وتقيمها مرة». قال: قلت: فالمؤمن القوي؟، قال: «مثل النخلة تؤتي أكلها كل حين في ظلها ذلك، ولا تميلها الريح»[(١)]. وعنه مختصرًا قال: «مثل المؤمن القوي كمثل النخلة، ومثل المؤمن الضعيف كمثل خامة الزرع»[(٢)].

فهل يخصص قول أبي هريرة عموم كلام رسول الله ﷺ؟.

قبل الجواب بلاد من إيراد أصل وهو أن الصحابة رضوان الله عليهم جميعا لا يتركون العام ويعملون بخلافه إلا لقرينة ثبتت عندهم وتصلح للتخصيص، فالصحابي أدرى بمراد الشرع وأفهم للمقصود من الدليل.

اختلف أهل العلم هل قول الصحابي يخصص عموم الحديث على قولين:

الأول: أنه لا يخصص عموم الحديث ويبقى الحديث على عمومه وهو قول أكثر العلماء من المالكية والشافعية، وبه قال بعض الحنفية.

ومن أدلتهم: أن العام دليل ظاهر فيما اقتضاه من التعميم، ولم يوجد له ما يصلح أن يكون معارضا له سوى فعل الصحابي وقوله، وهو غير صالح لمعارضته؛ حيث إن فعله غير مستند إلى نص يد على أن المراد بذلك العام الخاص، بل يكون مستنداً إلى ما يظنه دليلاً أقوى منه، فيحتمل أن يكون دليلاً، ويحتمل أن لا يكون دليلاً، وبتقدير أن يكون دليلاً يحتمل أن يكون أقوى منه، ويحتمل أن لا يكون، وهذه الاحتمالات

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف موقوفا على أبي هريرة (٣٠٣٤٦).

(٢) أخرجه الرامهرمزى (١/ ٧٩، رقم ٣٦)، والديلمى (٤/ ١٣٢، رقم ٦٤٠٩). وأخرجه أيضًا: القضاعي (٢/ ٢٧٩، رقم١٣٥٧). وإسناده صحيح. ورواه الداقطني في سننه (١٦٤٣) وصحح وقفه على أبي هريرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متساوية، ولا مرجح؛ أما العام فهو دليل لا يحتمل شيئاً، فيقدم غير المحتمل على المحتمل، وعليه: فلا يقوى قول الصحابي ومذهبه على تخصيص العام.

الدليل الثاني: أن الواقع من الصحابة ﷺ يشهد بأن قول الصحابي لا يخصص العموم؛ حيث إنه كان الواحد منه إذا سمع العموم من الكتاب والسُّنَّة، فإنه يترك قوله ومذهبه من أجل هذا العموم، وما نقل عن أحد منهم أنه خص عموما بقول نفسه، فهذا يدل على أن قوله أضعف من عموم كلام الشارع فانظر مثلاً إلى ابن عمر، حيث ترك مذهبه لحديث رافع بن خديج في المخابرة، فروي أن ابن عصر قال: كنا نخابر أربعين سنة لا نرى بذلك بأساً حتى أخبرنا رافع أن النبي ﷺ نهى عن المخابرة، فإذا كان ابن عمر قد ترك قوله ومذهبه، وهو من فقهاء الصحابة فغيره أوْلى بالترك[1].

قال أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) في الإحكام في أصول الأحكام: مذهب الشافعي في القول الجديد، ومذهب أكثر الفقهاء والأصوليين أن مذهب الصحابي إذا كان على خلاف ظاهر العموم، وسواء كان هو الراوي أو لم يكن لا يكون مخصصا للعموم، خلافا لأصحاب أبي حنيفة والحنابلة وعيسى بن أبان وجماعة من الفقهاء.

ودليله أن ظاهر العموم حجة شرعية يجب العمل بها باتفاق القائلين

(١) المُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ المُقَارَنِ (٤/ ١٦٣٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالعموم، ومذهب الصحابي ليس بحجة على ما سنبينه، فلا يجوز ترك العموم به، فإن قيل: إذا خالف مذهب الصحابي العموم فلا يخلو، إما أن يكون ذلك لدليل، لا جائز أن يكون لا لدليل، وإلا وجب تفسيقه والحكم بخروجه عن العدالة، وهو خلاف الإجماع.

وإن كان ذلك لدليل وجب تخصيص العموم به جمعا بين الدليلين، إذ هو أولى من تعطيل أحدهما كما علم غير مرة.

قلنا: مخالفة الصحابي للعموم إنما كانت لدليل عن له في نظره، وسواء كان في نفس الأمر مخطئاً فيه أو مصيباً.

فلذلك لم نقض بتفسيقه لكونه مأخوذا باتباع اجتهاده وما أوجبه ظنه، ومع ذلك فلا يكون ما عن له في نظره حجة متبعة بالنسبة إلى غيره، بدليل جواز مخالفة صحابي آخر له من غير تفسيق ولا تبديع.

وإذا لم يكن ما صار إليه حجة واجبة الاتباع بالنسبة إلى الغير فلا يكون العموم المتفق على صحة الاحتجاج به مطلقا[١].

القول الثاني: أنه يخصص العموم وهو قول أكثر الحنفية ورواية عن مالك وهو المنقول عن الإمام أحمد وجمهور الحنابلة واختاره أبو يعلى وأبو الخطاب وابن قدامة وهو قول الشافعي في القديم، وقال شيخ الإسلام كما في اقتضاء الصراط المستقيم: يجوز تخصيص عموم الحديث بقول الصاحب الذي لم يخالف على إحدى الروايتين[٢].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٣٣٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٧٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولعل الأقرب في مسألتنا هذه القول بتخصيص كلام أبى هريرة لحديث الرسول ﷺ بحيث يصير ضرب المثل للنخلة يختص بالمؤمن القوي، وللمؤمن الضعيف الخامة من الزرع **وذلك لوجوه**:

* **منها**: أن أبا هريرة هو راو الحديث المرفوع الذي يفيد العموم فهو أدرى الناس به.

* **ومنها**: أنه لم يثبت مخالفةٌ لتخصيص أبى هريرة بين الصحابة فصار إجماعاً سكوتيًّا.

* **ومنها**: التفاوت الكبير بين النخلة والخامة من الزرع من وجوه كثيرة.

والله تعالى أعلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثامنة والستون: ذهاب بركة الثمرة عن أهلها بسبب نقص إيمانهم.**

يأبى الله تعالى إلا أن يجعل تحقيق الإيمان سببًا لفتح البركات من السماء والأرض، حيث تربو البركة في الأعمار والذرية والثمار والأرزاق والأوقات، وذلك بقدر ما تعمر القلوب بالإيمان والجوارح بالأعمال الصالحة، وهذه سنة ماضية لله تعالى في خلقه لا تتبدل ولا تتخلف.

وفي الضد تنقص الثمرة بنقص ذلك؛ فتنزع بركتها في الزروع والنخيل وفي الأشجار، والله ﷻ يبتلي العباد بهذه الأمور ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون، يقول ـجلّ شأنهـ: ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]؛ حيث ابتلاهم مع الجدب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل، ولعل ذلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان، وظهور الأمور المخالفة للشرع من عدة أوجه وكثرة الذنوب والمعاصي، ولقد ختم الله تعالى هذه الآية بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦] عظة لهم وتذكيرا لهم، لينزجروا عن مخالفتهم لشرع ربهم، ويفزعوا إليه بالتوبة.

يقول رجاء بن حيوة الكندي: (يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة فيه إلا تمرة)[1]. ولقد علمنا من حال من سلف ما كان يُجمع لهم من البركة في الثمرات والأوقات ما لا يُجمع لمن بعدهم بما رُزقوا من قوة في إيمانهم وتقواهم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الطبري في تفسير سورة الأعراف (١٤٩٨١)، ونعيم بن حماد في الفتن (١٨٠٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة التاسعة والستون: ينبغي للمرء أن يتفقد الصدق في قلبه كما يتفقد الزرّاع فسيلة النخل.

هذا وجه آخر من أوجه الشبه يدلل على ثراء هذا المعنى عند السلف ـرحمة الله عليهمـ يقول مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الصدق يبدو في القلب ضعيفًا كما يبدو نبات النخلة، يبدو غصنًا واحدًا، فإذا نتفها صبي ذهب أصلها، وإن أكلتها عنز ذهب أصلها، فتسقى فتنتشر، وتسقى فتنتشر، حتى يكون لها أصل أصيل يوطأ، وظل يستظل به، وثمرة يؤكل منها، كذلك الصدق يبدو في القلب ضعيفًا فيتفقده صاحبه، ويزيده الله تعالى، ويتفقده صاحبه فيزيده الله؛ حتى يجعله الله بركة على نفسه، ويكون كلامه دواء للخاطئين»[(١)].

قال على بن عبد الحميد: (سمعت السري يقول: القلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل لا يزيله شيء، وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها، وقلب كالريشة يميل مع الريح يمينًا وشمالًا، وقال: أقوى القوة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه، وقال: لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تدعه دون استعتاب، ومن علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله، وإيثاره على النفس فيما أمكنت فيه القدرة، ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس ومن قلة الصدق كثرة الخطأ)[(٢)].

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٨٣٥).
(٢) حلية الأولياء (١٥١٥٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السبعون: أكل المعلم بين الطلاب، والحاكم بين الرعية.**

في حديث الباب دليل على جواز أكل المعلم بين طلابه أو الحاكم بين رعيته، أو من له ولاية عليهم، وليس في ذلك حِطة من قدره، ولا منقصة من فضله، وأن ذلك من التواضع لله، والذِلة على المؤمنين، وفيه أيضًا من التبسط للناس وهو أدعى لزوال الوحشة بينهم، وأنه من آداب المؤمنين وأخلاق المرسلين.

قال ابن بطال: (وفي الحديث أكل النبي ﷺ بحضرة القوم، فيرد بذلك على من كره إظهار الأكل، واستحب إخفاءه قياسًا على إخفاء مخرجه)[1].

ولقد صح عنه ﷺ أنه قال: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين، أو لقمة أو لقمتين، فإنه ولي حره وعلاجه»[2]. فإذا كان الشرع قد رغّب في الأكل مع الخادم والمملوك والعيال، فالأكل مع أهل العلم أولى.

وللمؤمنين فيه ﷺ أسوة حسنة؛ فهو أشد الناس تواضعًا وخفضًا للجناح، ورحمة بأصحابه، كان يمشي في حاجة الوليدة السوداء، وكان يركب الحمار، ولما فقد خادمة المسجد حزن وقصد قبرها فصلى عليها، وكان يباسط الفقراء والمساكين، ويخالط الأعراب لأجل تعليمهم وإرشادهم، ويسلم على الصبيان.

---

(١) فتح الباري (٧/ ٤١).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٢٥٥٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان متواضعًا في طعامه وهيئته ومسكنه، يأكل على الأرض، ويفترش الحصير، ويتوسد الرمل، ليس له حاجب يمنع الناس عنه، وبالجملة فقد كانت حاله كحال المساكين المتواضعين المتذللين ليست كحال الملوك الجبارين المتغطرسين.

أخرج أحمد من حديث أنس بن مالك عن رجل من بني عبد الله بن كعب قال: أغارت علينا خيل رسول الله ﷺ فأتيته وهو يتغدى، فقال: «ادن فكل». قلت: إني صائم. قال: «اجلس أحدثك عن الصوم أو الصائم، إن الله ﷻ وضع عن المسافر شطر الصلاة، وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم أو الصيام». والله لقد قالهما رسول الله ﷺ كلاهما أو أحدهما، فيا لهف نفسي، هلا كنت طعمت من طعام رسول الله ﷺ[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يأكل الطعام في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ : «لو سَمَّى لكفاكم»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٩٠٤٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٠٨٩)، والترمذي (١٨٥٨) وقال: (حسن صحيح).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الحادية والسبعون: ما يُلقي في روع الصالحين مما يوافق الحق.**

جاء في بعض طرق الحديث في [صحيح مسلم] أن ابن عمر قال: وألقي في نفسي أو روعي أنها النخلة، فجعلت أريد أن أقولها فأرى أسنان القوم؛ فأهاب أن أتكلم، فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة»[(١)]. رواه مسلم في صحيحه.

ما يُلقى في الروع هو فراسةٌ وإلهامٌ من الله تعالى يلقيه ـجل شأنهـ في قلب الرجل الصالح ـفي خلده وباله، أو في نفسه أو عقلهـ من غير أن يسمعه أو يراه، يشعر به شعورًا داخليًّا أن ذلك حق من عند الله، وهذا توفيق منه تعالى؛ حيث ألقى إليه في قلبه بهذا الإلهام الرباني الصادق، فيأتي موافقًا للواقع أو موافقًا لدليل معتبر لم يكن يعلمه من قبل، وهذا وقع لكثير من الصحابة رضوان الله عليهم[(٢)].

من ذلك ما جاء في قصة اللديغ في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وفيه: ... فأكلنا الطعام أنا وأصحابي، وأبوا أن يأكلوا من الغنم حتى أتينا رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: «وما يدريك أنها رقية؟». قلت: يا رسول الله، شيء ألقي في روعي. قال: «فكلوا وأطعمونا من الغنم»[(٣)].

وعن السائب بن الأقرع: (أنه كان جالسًا في إيوان كسرى، فنظر إلى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨١١).

(٢) **ينظر**: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٣/ ٣٠٨)، والتيسير بشرح الجامع الصغير؛ لعبد الرءوف المناوي، (١/ ٣٩٩).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١١٤٧٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تمثال يشير بإصبعه إلى موضع، قال: فوقع في روعي أنه يشير إلى كنز، فاحتفرت الموضع، فأخرجت كنزًا عظيمًا، فكتبت إلى عمر ﷺ أخبره، فكتب إليَّ عمر: إنك أمير من أمراء المسلمين؛ فاقسمه بين المسلمين)[1].

وعن عمرو بن عبسة ﷺ قال: «ألقي في روعي أن عبادة الأوثان باطل، وأن الناس في جاهلية، فقال لي رجل: إن بمكة رجلًا يقول بنحو مما تقول، ويقول: إنه رسول الله ﷺ، فقدمت مكة، فسألت عن رسول الله، فقيل لي إنك لا تلقاه إلا ليلا عند الكعبة، فكمنت له بين الكعبة وأستارها ليلًا إذ سمعت حسه وتهليله، فخرجت إليه فقلت: ما أنت؟ قال: «رسول الله». قلت: آلله أرسلك؟ قال: «نعم». قلت: بماذا؟ قال: «بأن نعبد الله، لا نشرك به شيئًا، ونكسر الأوثان، ونحقن الدماء، ونوصل الأرحام». قلت: أبايعك عليهن؟ قال: «نعم». فبسط يده فبايعته، فقلت: من تبعك على هذا؟ قال: «حر وعبد». يعني أبا بكر وبلالًا، فقلت: لقد رأيتني وأنا في تلك الحال ربع الإسلام، فقلت: أقيم معك؟ قال: «لا، بل الحق بقومك، فإذا سمعت بي قد خرجت مخرجًا فأقدم عليَّ». فرجعت إلى قومي فمكثت فيهم حتى سمعت بمهاجره إلى المدينة، فقدمت عليه، فسلمت فرد عليَّ، فقلت: أتعرفني يا رسول الله؟ قال: «نعم، أنت القادم عليَّ بمكة»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٢ رقم ٣٣٧٥٧) في التاريخ، باب في أمر القادسية وجلولاء، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (١/ ٣٠٣)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٣٤٢) والخطيب في «تاريخه» (١/ ٢٠٢) وابن الجوزي في «المنتظم» (٤/ ٢١١).

(٢) وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٨٠٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عراك أن أبا بكر قال لعائشة رضي الله عنها حين حضرته الوفاة: إن أعز الناس عليَّ فقدا وأحبهم إليَّ أن يتبعني لأنت، وقد كنت أعطيتك المال الذي في بني، ولو كنت جددتيه عامًا كان لك، ولكنك لم تكوني جددتيه، وإنما هما أخواك وأختاك. قالت عائشة: يا أبا بكر، هل لي إلا أخت واحدة؟ فقال أبو بكر: قد ألقي في روعي أن في بطن ابنة خارجة جارية، فاقسموا ذلك على كتاب الله وفرائضه(١).

وفي رواية عبد الرزاق: «قد ألقي في نفسي أنها جارية، فأحسنوا إليها».

وعن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: «قرأت الليلة آية أسهرتني: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] ما عنى؟ فقال بعض القوم: الله أعلم. فقال: إني أعلم أن الله أعلم، ولكن إنما سألت إن كان عند أحد منكم علم وسمع فيها بشيء أن يخبر بما سمع فسكتوا، فرآني وأنا أهمس، قال: قل يابن أخي، ولا تحقر نفسكّ!! قلت: عنى بها العمل. قال: وما عنى بها العمل؟ قلت: شيء ألقي في روعي فقلته. فتركني وأقبل وهو يفسرها: صدقت يابن أخي، عنى بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبر سنه، وكثرت عياله، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة، صدقت يابن أخي»(٢).

قال أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ): (وإلا فهو العلم اللدني المنقسم إلى الوحي والإلهام والفراسة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٦٥٠٧)، وابن سعد (٣/ ١٩٥)، والبيهقي (١١٧٢٨).

(٢) عزاه في كنز العمال إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالوحي لغة: إشارة بسرعة، **واصطلاحًا**: كلام إلهي يصل إلى القلب النبوي؛ فما أنزل صورته ومعناه ولا يكون إلا بواسطة جبريل فهو الكلام الإلهي، وما نزل معناه على الشارع، فعبر عنه بكلامه؛ فهو الحديث النبوي، وهذا قد يكون بغير واسطة في محل الشهود كما قال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم:١٠]، وقد يكون بواسطة نزول الملك، أي: بنزوله من الصورة الملكية إلى الهيئة البشرية، وتحقيقه أن المتكلم الحقيقي هو الحق، فكلم أولا محمدًا بواسطة جبريل، وثانيًا أصحابه بواسطة محمد، وثالثًا التابعين بواسطة الصحابة... وهلم جرًّا، وقد يكون بنفثه قي قلبه بأن يلقي معناه من غير أن يتمثل بصورة أن روح القدس نفث في روعي.

والإلهام لغةً: الإبلاغ، وهو علم حق يقذفه الله من الغيب في قلوب عباده: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾ [سبأ: ٤٨]، والفراسة: علم ينكشف من الغيب بسبب تفرس آثار الصور، «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». فالفرق بين الإلهام والفراسة أنها كشف الأمور الغيبية بواسطة تفرس آثار الصور، والإلهام كشفها بلا واسطة، والفرق بين الإلهام والوحي أنه تابع للوحي من غير عكس، ثم علم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال، وعين اليقين ما كان بطريق الكشف والنوال، وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال لورود رائد الوصال[1].

والقاعدة عند أهل السنة والجماعة: أن ما يلقى في الروع أو النفس

(١) مرقاة المفاتيح (١/ ٢٨٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لابد وأن يكون عليه برهان من الشرع موافق نصًّا أو إجماعًا أو قياسًا صحيحًا، وإلا فهو من الشيطان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثانية والسبعون**: **مهما يكن عند المؤمن من نقص، فهو خير من مِلْء الأرض من كفار اليهود والنصارى والوثنيين والملاحدة.**

ما من مثلٍ ضُرب للمؤمن إلا وكان له النصيب الأعظم والحظ الأوفر من الثناء والمدح ورجاء النفع؛ حيث ضُرب له المثل بالنخلة في كثرة عطائها، والأترجة في فضل ريحها، والبنيان المرصوص في القرب والمودة، وبالقطعة الجيدة من الذهب في صفائه ونقائه، وبالرأس من الجسد بإمامته وصلاح الناس به.

ثم تجد في زماننا من يخرج علينا ممن لا خلاق له، إذا مرّ به ذكر المقارنة بين المؤمنين والكفار انطلق لسانه بمدح الكفار والثناء عليهم، والإعجاب بهم، وإذا جاء ذكر المؤمنين انطلق لسانه بثلبهم وذمهم وذكر معايبهم.

ولا شك أن ذِكر ما عند الكفار من أخلاق محمودة على وجه المدح لهم والإعجاب بهم وتعظيم شأنهم حرامٌ، وأن صاحبه على شفا هلكة؛ لأن ذلك مناقض لحكم الله فيهم، وهو غلط عظيم؛ فالمؤمن مهما كان عنده من النقص فهو خير من مِلْء الأرض من الكفار من اليهود والنصارى والوثنيين والملاحدة، ولا يستوي عند الله عبد كافر وعبد مسلم ولو كان في المسلم نقص كبير.

قال العلامة أبو الطيب صديق بن حسن البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما من يمدح النصارى، ويقول: إنهم أهل العدل، أو يحبّون العدل، ويكثر الثناء في المجالس، ويهين ذكر السلطان للمسلمين، وينسب إلى الكفار النّصفة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعدم الظلم والجور ـ فحكم المادح أنه فاسق عاص مرتكب لكبيرة، يجب عليه التوبة منها والندم عليها إذا كان مدحه لذات الكفار من غير ملاحظة الكفر الذي فيهم، فإن مدحهم من حيث صفة الكفر فهو كافر؛ لأنه مَدَح الكفر الذي ذمته جميع الشرائع)[1].

❁ ❁ ❁

(١) العبرة (٢٤٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الثالثة والسبعون: إجابة المعلم لمن عجز عن الجواب من طلابه.

من الفوائد التي أشتمل عليها الحديث أنه ينبغي للمعلم إجابة من عجز عن الجواب عند طرحه المسألة، وعدم تأخيره عنه إلا لمصلحة يراها، والشاهد لذلك من الحديث جوابه لهم ﷺ بقوله: «هي النخلة». حيث عجزوا عن الجواب. ولا ينبغي أن يؤجل الشيخ الجواب لأنه وقت بيان وحاجه؛ فقد يعرض له ما يشغله عن جوابهم فيما جهلوه، من قدوم ضيف، أو قضاء حاجة، أو طروق مسألة أخرى تنسي الأولى، أو يعرض لأحدهم ما يحول دون بقائه حتى يسمع الجواب؛ ففي ذلك من الضرر بتفويت العلم على طالبه بتلك المسألة.

وأنه ينبغي للطالب في مجلس العلم السكوت حينما يعجز عن الجواب؛ حتى يغنم بجواب ما جهل، والدليل على ذلك من حديث الباب قول ابن عمر: فجعل القوم يذكرون شجرًا من شجر البوادي، فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الرابعة والسبعون: فضل عبد الله بن عمر.

في الحديث إشارة إلى فضل وذكاء عبد الله بن عمر ﷺ وفهمه السديد وهذا لصفاء ذهنه ونقاء قريحته، وحرصه على تتبع آثار الرسول ﷺ في أمره كله، وليس ذلك بغريب؛ وهو ابن الصحابي الملهم عمر بن الخطاب ﷺ وقد جعل كثير من العلماء ذلك من الفراسة والتوسم؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]؛ فلقد ذكر بعضهم أن هذه الآية في أهل الفِراسة، وهي نور يقذفه الله في قلب عبده المؤمن الملتزم سنة نبيه ﷺ، يكشف له بعض ما خفي على غيره مستدلًّا عليه بظاهر الأمر؛ فيسدد في رأيه، يفرق بهذه الفراسة بين الحق والباطل والصادق والكاذب دون أن يستغني بذلك عن الشرع، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، بصيرة في القلب، وقوة في البدن لمنازلة أعداء الله في الجهاد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الخامسة والسبعون**: **بذل الجهد من الطالب في إيجاد جواب لسؤال الشيخ.**

في قول عبد الله بن عمر: (فقالوا .. وقالوا .. فلم يصيبوا). دليل على مشاركة الجميع في البحث والتفكير، واستغراقهم الذهن في إيجاد جواب لسؤال النبي ﷺ، وأنه لا دليل لمن ادعى أن بعضهم سكتوا، ويُستفاد من ذلك أنه ينبغي للطالب في مجلس العلم أن يجتهد في التفكير والبحث في المسائل التي يطرحها الشيخ، وألا يكون حضوره في الدروس مجرد حضور بدن، بل حضور ذهن وعقل، وأن يشارك أقرانه في إجابة المعلم والتفاعل معه؛ إذ الشرود الذهني صفة مذمومة؛ حيث تُعد سوء أدب مع شرف العلم والمجلس وهيبة المعلم.

وثَم فائدة أخرى، وهي أن للمعلم أو الشيخ دورًا في حل مشكلة الشرود الذهني عند المتلقي ـولو حلًّا جزئيًّاـ فالمعلم له القدرة على جذب انتباه الطلاب إليه، بحسب الطريقة التي يستخدمها في عرض درسه، بما في ذلك محاولة توزيع نظره على كامل حضَّار مجلسه، واهتمامه بجميع طلابه، وعدم التركيز على زاوية معينة في المجلس، وإهمال بقية الطلاب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة السادسة والسبعون: التَشْذيب.

ذكر بعض أهل العصر استنباطًا لطيفًا، وهو أن النخلة تشذَّب في العام مرة؛ حيث يقطع عنها جريدها اليابس، وما آذى من سعفها وشوكها، وإسقاط ما اصفر من ورقها، وقطع وتلبد من ليفها، بأن تنزع طبقة واحدة منه، وهذا هو الأصلح لها؛ فإن النخلة إذا شُذِّبت زادت ونمت وصارت أوفر ما كانت من قبل، (وإن لم تشذب لا يكون لها جذع، بل تكون كغابة من سعف، أو كرأس إنسان قد نفش شعره؛ بحيث يصبح منظره مخيفًا لكل من يراه، وكذلك القول عما حولها من الفسيل والتال؛ لأن هذه تُضعف أمّها جدًّا)[1].

والمؤمن يصوم شهرًا من كل عام إيمانا واحتساباً، فيشذب من عيوبه، ويخرج من آثامه، ويمحا عنه ما تقدم من ذنوبه؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[2].

(١) مجلة لغة العرب العراقية (٣/ ٤٧٤).

(٢) صحيح البخاري (٣٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة السابعة والسبعون: صيرورة المبطلين والهالكين إلى ما يصير إليه الجذع الخاوي النَخِرِ.**

ربما يأتي على النخلة زمن ولم يتبقى منها إلا جذعها القوى بعد أن اقتلعته الرياح الشديدة العاصفة من أصلها؛ فيصير هذا الجذع صريعًا خاويًا؛ ولقد ضرب الله المثل لذلك فقال ـجل شأنهـ في قوم أهلكهم بذنوبهم وبصدهم عن سبيله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٨ ـ ٢١]، ﴿مُنْقَعِرٍ﴾ منقطع من مكانه ساقط على الأرض، وقد شبههم بأعجاز النخل لطول أجسامهم وقوة أبدانهم. فـ(تنزعهم نزعًا بعنف كأنهم أعجاز نخل تقعرهم فينقعروا؛ إشارة إلى قوتهم وثباتهم على الأرض)[1].

وقال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، أي: أصبحت أجسادهم خاوية مأخوذة من التشبيه لهم بأعجاز النخل الخاوية، والشيء إذا خوى فرغ ما في داخله، وخواء أجسادهم يكون بخروج ما في بطونهم؛ وانبعاجهم من الرفع المتكرر لهم، وضربهم مرارًا على ما في الأرض.

قال بعض المفسرين: (أعجاز) جمع عجز وهو مؤخر الشيء، وأعجاز النخل أصولها، و(منقعر) منقلع عن مغارسه، وهو تشبيه لأجسادهم التي انقطعت رءوسها وتمددت على الأرض جثثًا هامدة.

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٩/ ٣٠٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن الله ـتعالىـ قد أهلك هؤلاء بما قدمت أيديهم من تكذيب للرسل وصدهم عن سُبل أهل الأيمان، فصاروا إلى مثل هذا الجذع الخاوي بعدما كان ثابتاً أصله، قوياً فرعه، تنزعهم ريح عذابه ونقمته نزعًا بعنف فتقعرهم فلا يبقى لهم ذكر إلا بسوء.

قال ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: تنزع الناس معناه: تنقلهم من مواضعهم نزعا فتطرحهم. وروي عن مجاهد: أنها كانت تلقي الرجل على رأسه فيتفتت رأسه وعنقه وما يلي ذلك من بدنه فلذلك حسن التشبيه ب «أعجاز» النخل وذلك أن المنقعر هو الذي ينقلب من قعره. فذلك التشعث والشعب التي لأعجاز النخل، كان يشبهها ما تقطع وتشعث من شخص الإنسان، وقال قوم: إنما شبههم ب «أعجاز النخل» لأنهم كانوا يحفرون حفرا ليمتنعوا فيها من الريح، فكأنه شبه تلك الحفر بعد النزع بحفر أعجاز النخل، والنخل يذكر ويؤنث فلذلك قال هنا: منقعر وفي غير هذه السورة: خاوية [الحاقة: ٧] والكاف في قوله: كأنهم أعجاز في موضع الحال ...)[1].

ويقرب الشيخ عبد العزيز السلمان رَحِمَهُ اللَّهُ **(المتوفى: ١٤٢٢ هـ) هذا المعنى بفائدة فيقول:** (فإنه بلسان الحال يقول لكل واحد منا: سأنزل بك يومًا أو ليلةً كما ترى الناس بعينك يموتون، وقد يكون لأحدهم من المال والجاه والقوة والجمال والعلم والفصاحة والمركز الدنيوي ما يدهش الناظرين له، وقد يكون قد طال عمره وطال أمله حتى مل ومل منه.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٢١٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبينما هو في حال من النشاط قويًّا مشدودًا أسره، ذا همة تضيق بها الدنيا، قد أقبلت عليه الدنيا من كل جهة، وزهت له، إذ تراه جثة هامدة أشبه بأعجاز النخل الخاوية، لا حس له، ولا حركة، ولا أقوال، ولا أفعال، قد ضيق على من حوله، وإذا لم يسرعوا به إلى الدفن يكون جيفة من الجيف تؤذي رائحتها الكريهة كل من قرب منها، هذا كله يكون بعد ذلك النشاط والقوى؛ لأن هادم اللذات نزل به)[1].

❁ ❁ ❁

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان (٢٨٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثامنة والسبعون**: عدة فوائد على الحديث من كتاب نزهة المجالس.

ذكر الصفوري في [نزهة المجالس] قال: (وشبهها بالنخلة؛ قال الله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]؛ فإن النخلة لا تثبت في كل أرض، وهذه الكلمة لا تنبت في كل قلب، والنخلة أطول الأشجار، وهذه الكلمة أصلها في القلب وفرعها تحت العرش.

* **(قال جامعه)**: ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

وما يك من خير أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطِّيّ إلا وشيجه ... وتغرس إلا في منابتها النخل[1]

[ومنها قوله]: والثمرة لا تنقص قيمتها بالنواة، والمؤمن لا تنقص قيمته بالمعصية التي بينه وبين الله تعالى.

[ومنها قوله]: والنخلة أسفلها شوك، وأعلاها رطب، وهذه الكلمة أولها تكاليف؛ فمن أتى بها وصل إلى ثمرتها.

ثم نقل عن الرازي كلامًا مطولًا فقال: (... بين النخلة والحيوان ـبل الإنسانـ مناسبة ومشابهة بخلاف غيرها من الشجر؛ ولهذا قال ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة؛ فإنها خلقت من بقية طين آدم عليه السلام». أي: لأن آدم لما هبط طال شعره وتشعث بدنه، فجاء جبريل بالمقراض فقص شعره وظفره، وأزال الوسخ عن جسمه ودفنه في الأرض، ثم قام فاستيقظ وقد خلق الله تعالى النخلة إلى جانبه بدنها ـأي: جذعهاـ من

(١) لزهير بن أبي سلمى في ديوانه (٦٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جسمه، وليفها من شعره، وجريدها من ظفره)[١].

وكل ما نقله فخر الدين الرازي لا دليل صحيح عليه، والأولى الوقوف عند ما ثبت نقله.

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس (١/ ١٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة التاسعة والسبعون: في غضب عمر ﷺ في الحق.

جاء في رواية صححها العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم شجرةً يُنتفع بها، مثل المؤمِن، هي التي لا يُنْفَض ورقها». قال ابن عمر: أردتُ أن أقول: هي النخلة. ففرِقْتُ من عمر، ثم سمعتُه بعدُ يقول: هي النخلة[1].

قوله: (ففرِقت منه) أي: فزعت منه، والفرق: الفزع والخوف الشديد، ومنه قوله ﷺ في قصة الملكين اللذين أتياه في صغره فشقَّا بطنه: «ثم انطلقا وتركاني، ففرقت فرقًا شديدًا». أي: فزعت فزعًا شديدًا.

ووجه المناسبة للترجمة ما اشتهر به عمر ﷺ من الغضب في الحق، وأنه لا يؤجل البيان والإنكار عن وقت الحاجة إذا دعت الضرورة لذلك. وهذا ما استظهره ابنه ﷺ بإلجام نفسه عن الجواب، حيث غلب على ظنه غضب أبيه ووجده عليه إذا تقدم بين يدي الأكابر من الحاضرين بالكلام والجواب، وهو مازال غلامًا شابًّا، فدلل بفزعه على غضب عمر في الحق، وحرصه على أن يكون من ولده أكمل الأدب وأحسن الأخلاق.

(١) مسند أحمد (٥٩٥٥) بتعليق أحمد شاكر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⇦ **الفائدة الثمانون: ما قيل في ذم النخل.**

قال أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢ هـ): (ذمّ النخل ووصف الرديء منه: عاب أعرابي النخل فقال: صعبة المرتقي، بعيدة الهوى، مهولة المجتنى، دقيقة السلاء، شديدة المئونة، قليلة المعونة، خشنة المس، ضئيلة الظل.

وأهدى رجل إلى جحظة نخلة زعمها قرشية، فغرسها ولم يزل يتعاهدها حتى حملت، فإذا هي دقلة، فجاء الرجل فسأله عنها فقال: ما فعلت قرشيتك؟ فقال: هي قرشية من ولد زياد.

قال بعضهم في نخلة قطعت فجعلت جذوعًا:

إلى الله أشكو هجمة هجرية تحرمها مرّ السنين الغوابر

فأضحت رذايا تحمل الطين بعدما تكون غنى للمقترين المفاقر. أ.هـ[1].

* **(قال جامعه)**: وهذا الوصف وإن كان في ظاهره شيء من الحقيقة، إلا إن وضعه في الأصل من باب الإغراب، والتندر وإظهار قوة البراعة في مدح الشيء وذمه في آن واحد، أو التفاخر بالاقتدار على ذم ما عادته أن يُمدح أو مدح ما عده أن يذم.

يقول علي بن منجب بن سليمان، أبو القاسم، تاج الرياسة، ابن الصيرفي (المتوفى: ٥٤٢هـ) في [الأفضليات]: (وجودة العبارة ختمت باستحسان ذم ما عادته أن يمدح، كما قال عبد الله بن التوءم يذم النخلة

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ٦٢٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التي طاب جناها، وزاد نفعها وتناهى: إنها صعبة المرتقى، مهولة المجتنى بعيدة المهوى، حسنة المس، قليلة الظل.

وكما حكي عن سهل بن هرون من أنه عمل كتابًا يمدح فيه البخل، ويذم الجود، ليري بلاغته، وطول لسانه، وأهداه إلى الحسن بن سهل، إلا أن الحسن وقع عليه: لقد مدحت ما ذمه الله، وحسنت ما قبحه الله، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك، وقد جعلنا ثوابك عليه قبول قولك فيك، ولم يعطه شيئًا.

وقد اعتمد جماعة من البلغاء مدح الشيء وذمه إظهارًا لاقتدارهم، وإبانة عن محلهم ومقدارهم، وعملًا بقول القائل: ما من شيء إلا وله وجهان، فالمادح يذكر أحسنهما، والذام يذكر أقبحهما.

وقد روي عن عيسى عليه السلام أنه مر هو وأصحابه على كلب ميت فقال بعضهم: ما أنتن ريحه!! فقال عيسى عليه السلام : ما أشد بياض أسنانه. فسلم لعائبه ما ادعاه من مساوئه، وذكر من محاسنه ما لم ينازعه فيه.

والمملوك يقول: إن من أبدع الكلام قول الحكيم: لا عشت ليوم أمدح فيه ما ذممته، ولا أذم فيه ما مدحته؛ ذلك يوم ظفر الهوى بالرأي[1].

ومن هذا الوجه أيضاً، ما حكاه علي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (المتوفى: ١١١٩هـ) قال: (وحكى الشريف المرتضى علم الهدى رضي الله عنه في كتاب (الغرر والدرر) قال: حكي أن أبا النظام جاء به وهو حدث

(١) الأفضليات (٤١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى الخليل بن أحمد ليعلمه، فقال له الخليل يومًا يمتحنه وفي يده قدح زجاج: يا بني صف لي هذه الزجاجة فقال: بمدح أم بذم؟ فقال: بمدح. قال: نعم، تريك القذى ولا تقبل الأذى، ولا تستر ما ورا.

قال: فذمها. قال: سريع كسرها بطيء جبرها. قال: فصف هذه النخلة ـوأومأ إلى نخلة في داره ـ قال: أبمدح أم بذم؟ قال: بمدح، قال: هي حلو مجتناها، باسق منتهاها، ناضر أعلاها. قال: فذمها. قال: هي صعبة المرتقى؛ بعيدة المجتنى؛ محفوفة بالأذى. فقال الخليل: يا بني، نحن إلى التعلم منك أحوج)[1].

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع (١٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

أحمد الله العلى القدير على هذا المحصول والمجموع، وإلا فلو طهرت القلوب وصفت الأذهان ما ملّ القلم عن سبر المنح من الفوائد والنكات على هذا الحديث المبارك، فإن كان متنزّلاً على المراد، موافقاً له، فهو بتوفيق الله وحده، وإن كان غير ذلك فبتقصير مني وجناية. ومنه تعالى أسأل العفو؛ فإنه الأهل لذلك، وأختم بكلمات جامعات، ساقها ابن القيم الجوزية، في كتابه القيم [إعلام الموقعين] بعد أن ذكر بعض الفوائد على هذا الحديث. يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (... هذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الأسرار والحكم، ولعلها قطرة من بحر بحسب أذهاننا الواقفة، وقلوبنا المخطئة، وعلومنا القاصرة، وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار، وإلا فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان، وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت لهم التلقي عن الله ورسوله؛ لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق، وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم، وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل، والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله، ومن يختص برحمته). أ.هـ[1].

والحمد لله في الأولى والآخرة؛؛؛

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٧٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
المبحث الأول: ذكر بعض ما كان عليه أهل العلم من استخراج الفوائد من الحديث النبوي والغوص في أسراره	٨
المبحث الثاني: الألفاظ والروايات التي جاء بها الحديث	١٥
أولاً: متن الرواية المعتمدة في الشرح	١٥
ثانياً: روايات الحديث والزيادات عليه	١٥
المبحث الثالث: الفوائد والمسالك التربوية في الحديث	١٩
الفائدة الأولى: النخلة هي المراد من قوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤].	١٩
الفائدة الثانية: نفع المؤمن وثمرة عمله	٢٢
الفائدة الثالثة: الصبر والتحمل ... القاسم المشترك	٣١
الفائدة الرابعة: تفاوت الشجر والناس في النفع ـ وأنه درجات	٣٤
الفائدة الخامسة: استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه، ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر واليقظة ... حدثوني ما هي؟	٤٠
الفائدة السادسة: خير النخل ما زاد عمره وطابت ثمرته وخير الناس من طال عمره وحسن عمله	٤٦
الفائدة السابعة: شجرة خضراء لا يحتّ ورقها صيفًا ولا شتاءً	٥٠
الفائدة الثامنة: قلب المؤمن كقلب النخلة، بجامع الرقة واللين	٥٢
الفائدة التاسعة: ضرب الأمثال ضرورة	٥٤
الفائدة العاشرة: بركة المسلم	٦١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الحادية عشرة: لا تسقط للنخلة أنملة ولا تسقط للمؤمن دعوة ٦٥
الفائدة الثانية عشرة: حُسْن الهيئة وبهجة المنظر ٦٨
الفائدة الثالثة عشرة: فقه وفوائد التعليم بالألغاز ٧١
الفائدة الرابعة عشرة: المؤمن على عملٍ جارٍ وأجرٍ سارٍ بعد موته ٧٩
الفائدة الخامسة عشرة: أسماء النخلة في مراحل عمرها ٨٣
الفائدة السادسة عشرة: سرور الوالد بنجابة ولده ٨٥
الفائدة السابعة عشرة: حنين الجذع وعظيم محبة المؤمنين للرسول ٨٩
الفائدة الثامنة عشرة: الفرق بين التمثيل والقياس ٩٢
الفائدة التاسعة عشرة: فائدة بلاغية ٩٨
الفائدة العشرون: حسن أدب الأصاغر في حضرة الأكابر ١٠٠
الفائدة الواحدة والعشرون: تشبيه الثواب بثمرة النخل ١٠٦
الفائدة الثانية والعشرون: في الحديث رد على المشبهة والمعطلة بأن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات ١٠٧
الفائدة الثالثة والعشرون: أوجه ضعيفة في تأويل الحديث ١١٠
الفائدة الرابعة والعشرون (تتمة للفائدة السابقة): تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون نظيره من جميع الوجوه ١١٢
الفائدة الخامسة والعشرون: العلم مواهب، ومواهبه لا تختص بكبر سنٍّ أو حسب..... ١١٤
الفائدة السادسة والعشرون: الشوكة من النخلة موضع الغلظة من المؤمن على المخالفين لأمر الله وهدى رسوله ﷺ ١١٦
الفائدة السابعة والعشرون: اختلاف الظواهر سببٌ لاختلاف البواطن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعكس ١١٨
الفائدة الثامنة والعشرون: فائدة للقاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ (الأحوال العشرة)..... ١٢١
الفائدة التاسعة والعشرون: أطيب الثمار (صنو) أطيب الكلام ١٢٢
الفائدة الثلاثون: أصلها ثابت وفرعها في السماء ١٢٤
الفائدة الواحدة والثلاثون: تُأتى أكلها كل حين ١٣١
الفائدة الثانية والثلاثون: الفهم قدرٌ زائدٌ على العلم يخص الله به من شاء من عباده ١٣٣
الفائدة الثالثة والثلاثون: الخواطر التي تقع في القلب من محبة الثناء على أعمال الخير ١٣٧
الفائدة الرابعة والثلاثون: من هم الطيبون؟ ١٤٠
الفائدة الخامسة والثلاثون: فائدة نحوية وبلاغيَّة ١٤٧
الفائدة السادسة والثلاثون: فائدة عن زرع النخيل وبلاده ١٤٩
الفائدة السابعة والثلاثون: دنو القطوف مع سموه ١٥٢
الفائدة الثامنة والثلاثون: لا يمنع الصغار _ ممن يدرك العلم _ من مجالسة الشيوخ ١٥٤
الفائدة التاسعة والثلاثون: أمثال ضربت للمؤمن غير النخلة ١٥٨
الفائدة الأربعون: قوله في الحديث: ولا ولا ولا، ثلاث مرات ١٦٤
الفائدة الواحدة والأربعون: في قوله (فرأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان) ١٦٧
الفائدة الثانية والأربعون: فائدة حديثية ١٦٩
الفائدة الثالثة والأربعون: ضعف حديث (أكرموا النخلة عمتكم) ١٧٣
الفائدة الرابعة والأربعون: إطلاق التشبيه بالنفع على وصف الأيمان ١٧٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الخامسة والأربعون: فائدة في قوله: (فوقع الناس في شجر البوادي)... ١٧٨
الفائدة السادسة والأربعون: المؤمن قليل الكلفة كثير المعونة ١٨١
الفائدة السابعة والأربعون: رد السيئة بالحسنة ١٨٣
الفائدة الثامنة والأربعون: دوام الستر باللباس والزينة ١٨٦
الفائدة التاسعة والأربعون: أربع فوائد ذكرها الصفوري في [نزهة المجالس] على الحديث ١٨٨
الفائدة الخمسون: ثبات الأصول ١٨٩
الفائدة الواحدة والخمسون: فائدة أدبية من كتاب [أمثال الحديث] للرامهرمزي ١٩٢
الفائدة الثانية والخمسون: ستر الله ـ تعالى ـ على عبده المؤمن في الدارين... ١٩٤
الفائدة الثالثة والخمسون: ليس لأهل الباطل عمل يرفع ولا ذكر يسمع ١٩٦
الفائدة الرابعة والخمسون: ما جاء في تشبيه المؤمن بالنحلة (بالحاء المهملة) ١٩٩
الفائدة الخامسة والخمسون: الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها..... ٢٠١
الفائدة السادسة والخمسون: بعض أسرار تشبيه المؤمن بالشجرة ٢٠٣
الفائدة السابعة والخمسون: ما جاء في شرف النخلة على غيرها ـ وأن شرف المَثَل دليل على شرف المُمَثَّل به ٢٠٤
الفائدة الثامنة والخمسون: النخلة في التراث والأدب العربي ٢١٢
الفائدة التاسعة والخمسون: حريم النخلة ٢١٨
الفائدة الستون: حقارة الدنيا في عين عمر ﷺ ٢٢٢
الفائدة الواحدة والستون: فوائد على جمّار النخل ٢٢٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة الثانية والستون: فائدة أخرى من قوله تعالى ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥] ٢٢٧

الفائدة الثالثة والستون: لا يفرغ المؤمن من صلاته حتى تتفرق منه ذنوبه كما تفرق عذوق النخلة يمينا وشمالا ٢٢٩

الفائدة الرابعة والستون: إذا لم يتكلم الكبير، هل للصغير أن يتكلم ٢٣٢

الفائدة الخامسة والستون: من آفات بعض الطلاب المبادرة بالجواب والفتح على المعلم دون طلب منه أو سؤال ٢٣٦

الفائدة السادسة والستون: سرعة الاستجابة إلى امتثال الأمر ٢٣٩

الفائدة السابعة والستون: هل قول الصحابي يخصص عموم الحديث؟ .. ٢٤٢

الفائدة الثامنة والستون: ذهاب بركة الثمرة عن أهلها بسبب نقص إيمانهم .. ٢٤٧

الفائدة التاسعة والستون: ينبغي للمرء أن يتفقد الصدق في قلبه كما يتفقد الزرّاع فسيلة النخل ٢٤٨

الفائدة السبعون: أكل المعلم بين الطلاب، والحاكم بين الرعية ٢٤٩

الفائدة الحادية والسبعون: ما يُلقي في روع الصالحين مما يوافق الحق ٢٥١

الفائدة الثانية والسبعون: مهما يكن عند المؤمن من نقص، فهو خير من مِلْء الأرض من كفار اليهود والنصارى والوثنيين والملاحدة ٢٥٦

الفائدة الثالثة والسبعون: إجابة المعلم لمن عجز عن الجواب من طلابه ٢٥٨

الفائدة الرابعة والسبعون: فضل عبد الله بن عمر ٢٥٩

الفائدة الخامسة والسبعون: بذل الجهد من الطالب في إيجاد جواب لسؤال الشيخ ٢٦٠

الفائدة السادسة والسبعون: التَشْذيب ٢٦١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفائدة السابعة والسبعون: صيرورة المبطلين والهالكين إلى ما يصير إليه الجذع الخاوي النَخِرِ ٢٦٢

الفائدة الثامنة والسبعون: عدة فوائد على الحديث من كتاب نزهة المجالس ٢٦٥

الفائدة التاسعة والسبعون: في غضب عمر ﷺ في الحق ٢٦٧

الفائدة الثمانون: ما قيل في ذم النخل ٢٦٨

الخاتمة ٢٧١

فهرس الموضوعات ٢٧٢